جامعة قطر

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

الدلالات السياقية لقصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم

إعداد

ناهد إبراهيم عبد الرزاق السليطي

قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلّبات

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستيرفي

التفسير وعلوم القرآن

يناير ٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

© ٢٠٢١م. ناهد إبراهيم عبد الرزاق السليطي

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالبة ناهد إبراهيم عبد الرزاق السليطي بتاريخ ٢٠٢٠/١١/٢٦م، وَوُوفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالبة المذكور اسمها أعلاه . وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالبة.

دكتور رمضان خميس

مشرف

دكتوره فاطمة النعيمي

مشرف مشارك

أستاذ دكتور أحمد شكري

مناقش

أستاذ دكتور محمد آيدين

مناقش

تمّت الموافقة:

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَّص

ناهد إبراهيم عبد الرزاق السليطي، ماجستير في التفسير وعلوم القرآن :

يناير ٢٠٢١م.

العنوان: الدلالات السياقية لقصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم

المشرف على الرسالة: الدكتور رمضان عبد التواب ، المشرف المساعد: الدكتورة فاطمة النعيمي

هذه الدراسة تسلط الضوء على ورود قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم ودلالات هذا الورود في تجلي المعاني الموضحة لقصة هذا الرسول الكريم في كتاب الله تعالى، ومدى اصطباغ محور السور القرآنية وظلالها على تلك الدلالات في المجالات العقدية والدعوية والخلقية والتربوية، تحتوي هذه الرسالة على أربعة فصول؛ تناولت أهم الموضوعات المتعلقة بموضوع الرسالة، على النحو التالي: تناول الفصل الأول تعريف الحوار ومجالاته وخصائصه وضوابطه وقواعده، أما الفصل الثاني فتناول تعريف السياق وأركانه وقواعده وتأصيل النظرية السياقية بالقصص القرآني، مع تعريف القصص القرآني ودلالة الألفاظ فيه، واشتمل الفصل الثالث على دراسة تطبيقية لورود قصة نوح عليه السلام في اتجاهين أساسيين أولهما: الورود الدعوي، وكان في ست سور قرآنية هي: (الأعراف، يونس، المؤمنون، هود، الشعراء، نوح). وثانيهما: الورود الخبري، وكان في أربع سور قرآنية هي: (الأنبياء، العنكبوت، الصافات، القمر)، وأخيرًا الفصل الرابع في الدلالات السياقية لورود قصة نوح عليه السلام في تلك السور العشر مشتملًا على أربع دلالات وهي: الدلالة العقدية والدلالة الدعوية والدلالة الأخلاقية والدلالة التربوية في ثلاثة مسارات؛ أولهم: في علاقته مع ربه، وثانيهم: في علاقته مع الغير، وثالثهم: في طبيعة نوح عليه السلام الشخصية.

ABSATRCT

The contextual implications of the story of Noah, peace be upon him, in the Holy Quran

This study sheds light on the sources of the story of Noah in the Noble Qur'an and the implications of this occurring in the manifestation of the meanings explained to the story of this noble Messenger in the Book of Allah, and the extent of staining the axis of the Qur'anic surahs and their shadows on those indications in the dogmatic, advocational, ethical and educational fields.

The thesis contains four chapters dealing with the most important topics related to the thesis topic.

The first chapter deals with the topic of dialogue in its definition and clarification of its fields, characteristics, controls and rules.

The second chapter's topic was the context in its definition, clarification of its pillars and rules, and the consolidation of the contextual theory of the Qur'anic stories, with the definition of Qur'anic stories and the meaning of the words in them.

The third chapter deals with an applied study of the sources of the story of Noah in two main directions, the first of which is the advocacy occurring, and it was in six surahs of the Qur'an: (The Heights, Yunus, The Believers, Hud, the Poets, Noah). And the second of them: the occurring of the narratives, and it was in four surahs of the Qur'an: (The Prophets, The Spider, Those Who Set the Ranks, and The Moon).

The fourth chapter discusses the contextual implications of the sources of Noah's story in those ten surahs, including four connotations: the doctrinal significance, the advocacy significance, the moral significance and the educational significance in three tracks, the first of which is in his relationship with his Lord, the second is in his relationship with others, and the third is in the nature of Noah Personality.

شكر وتقدير

أحمد الله عز جلاله، وتقدّست أسماؤه، على ما هيأه لي من فسحة في العمر، وتوفيق في تدارس كتابه العزيز، الذي لا يضاهيه شيء أعز منه، وقوة في العمل، تحققت معها قدرته سبحانه، بتطويع الأسباب لظهور هذا العمل المتواضع، راجيةً من الله قبوله ورضاه ومباركته.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من مدّ يد العون إليّ، وتحمل انشغالي، وتقصيري معه، وأخص بالذكر، زوجي الكريم، وأبنائي وأحفادي الأعزاء..

وأشكر جميع شيوخي الكرام بجامعة قطر في صرح العلم الشرعي الجليل متمثلًا:

بعميد الكلية الدكتور إبراهيم الأنصاري، أسأل الله أن يجعله خير مُعين على خدمة كتاب الله العزيز.

وأساتذتي الكرام جميعًا لما تركوه من آثار طيبة في مجال التعامل مع القرآن العظيم، علمًا وعملًا.

وأخص بالذكر المشرف الدكتور رمضان عبد التواب، الذي أكرمني بالنصح والإرشاد في مسيرة دراستي في المقررات النظرية، وفي مراحل بحث الرسالة، التي تكللت باليسر والخير.

وأشيد بعطاء الدكتور محمد عبد اللطيف، الذي كانت له البصمة الواضحة في إخراج بحث الرسالة، لما حباه الله من بعد نظر، وسلامة تخطيط.

ولا يفوتني أن أشكر الدكتور نايف الشمري، لعونه الصادق، ومبادراته المبتكرة، في تذليل العقبات، وتمهيد سبيل هذه الدراسة الطيبة.

الإهداء

أهدي بحثي المتواضع إلى كل من كان له الحق في حصد ثمرة ما نما في داخلي، وأظهره الله عليَّ، من علم نافع، وعمل صالح.. والديّ الكريمين..

فأسأل الله الرحمة لمن توفاه الله، والحفظ لمن مد الله بعمره.

وأدعو الله أن يُكتبَ أجرُ الانتفاع بهذا العمل، في ميزان حسناتهما، وأن تُرفع به درجاتهما يوم القيامة.

كما أهدي بحثي.. لصديقة دربي كوثر التايه، التي دلتني على هذه الدراسة، ولمسْت في تعاملي معها أجمل معاني الإخلاص، والنصح، والعطاء، فأسأل الله أن يرفع قدرها.

وأهدي بحثي كذلك.. لكل شيوخي الذين تلقيت على أياديهم جلّ العلوم الشرعية، فما زال عطاؤهم سيلًا لا ينضب بعون الله، وكرمه، وأخص بالذكر الدكتور أحمد الفرجابي، والدكتور سعيد مصطفى.

فهرس المحتويات

شكر وتقدير.....هـ

الإهداء.....و

المقدمة.....١

التمهيد: الحوار ودلالة السياق في القصص القرآني.....١٠

المبحث الأول: الحوار في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني:.....١٠

المطلب الأول ـ أولاً: الحوار في اللغة:.....١٠

المطلب الثاني: خصائص الحوار القرآني:.....١٦

المطلب الثالث: ضوابط وقواعد الحوار القرآني الناجح:.....٢٣

المبحث الثاني: دلالة السياق وأركانه وأصوله النظرية:.....٢٨

المطلب الأول: مفهوما الدلالة والسياق في اللغة والاصطلاح:.....٢٨

المطلب الثاني: أركان السياق وأنواع دلالاته:.....٣٦

المطلب الثالث ـ أصول النظرية السياقية:.....٤١

المبحث الثالث: القصص القرآني: المفهوم والدلالة:.....٤٧

المطلب الأول: مفهوم القصص في اللغة والاصطلاح:.....٤٧

المطلب الثاني: أنواع البناء في قصص القرآن الكريم:.....٤٨

المطلب الثالث: دلالة الألفاظ في القصص القرآني:.....٤٩

الفصل الأول: سياق ورود قصة نوح في القرآن الكريم ٥٥

المبحث الأول: سياق ورود قصة نوح عليه السلام في أسلوب الحوار الإنشائي:..... ٥٨

المطلب الأول . محور سورة الأعراف وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه:..... ٥٨

المطلب الثاني: محور سورة يونس وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه: ٧٠

المطلب الثالث: محور سورة هود وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه: ٨١

المطلب الرابع: محور سورة المؤمنون وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه: ٩٨

المطلب الخامس: محور سورة الشعراء وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه: ١٠٨

المطلب السادس: محور سورة نوح وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه: ١١٧

المبحث الثاني: سياق ورود قصة نوح عليه السلام في أسلوب الحوار الخبري: ١٢٧

المطلب الأول: محور سورة الأنبياء وعلاقته بمشد قصة نوح وأسلوبه: ١٢٧

المطلب الثاني: محور سورة العنكبوت وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه:..... ١٣١

المطلب الثالث: محور سورة الصافات وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه:..... ١٣٤

المطلب الرابع: محور سورة القمر وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه:..... ١٣٨

المطلب الخامس: الموازنة بين ورود قصة نوح في سياقاتها المختلفة في السور: .. ١٤٣

الفصل الثاني: دلالات سياق ورود قصة نوح في القرآن الكريم ١٥١

المبحث الأول: الدلالات العقدية في حوار نوح عليه السلام:..... ١٥١

المطلب الأول: دلالات الإيمان بالله وحده: ١٥٢

المطلب الثاني: دلالات الإيمان بالملائكة: ١٥٥

المطلب الثالث: دلالات الإيمان بالكتب: ١٥٦

المطلب الرابع: دلالات الإيمان بالرسل: ١٥٧

المطلب الخامس: دلالات الإيمان باليوم الآخر: ١٥٨

المطلب السادس: دلالات الإيمان بالقدر خيره وشره: ١٥٩

المبحث الثاني: الدلالات الدعوية في قصة نوح عليه السلام: ١٦١

المطلب الأول: الدلالات الدعوية علاقة نوح مع ربه: ١٦١

المطلب الثاني: الدلالات الدعوية في حوار نوح مع الغير: ١٦٣

المطلب الثالث: دلالات شخصية نوح الدعوية: ١٦٧

المبحث الثالث: الدلالات الاخلاقية في قصة نوح: ١٦٩

المطلب الأول: الدلالات الاخلاقية في علاقة نوح مع ربه: ١٦٩

المطلب الثاني: الدلالات الاخلاقية في علاقة نوح مع الغير: ١٧٠

المطلب الثالث: دلالات شخصية نوح الاخلاقية: ١٧٣

المبحث الرابع: الدلالات التربوية في قصة نوح: ١٧٥

المطلب الأول: الدلالات التربوية في علاقة نوح مع ربه: ١٧٥

المطلب الثاني: الدلالات التربوية في علاقة نوح مع الغير: ١٧٨

المطلب الثالث: دلالات شخصية نوح التربوية: ١٨٤

الخاتمة ١٨٧

التوصيات ١٩٠

قائمة المصادر والمراجع ١٩١

المراجع باللغة العربية: ١٩١

مراجع شبكة الإنترنت: ٢١٤

رسائل جامعية: ٢١٤

أبحاث ومقالات: ٢١٦

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، خالق السماوات والأرضين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، محمد ﷺ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد

تعتبر دراسة الدلالة السياقية للآيات القرآنية، أداة معرفية وإجرائية حديثة، حققت نجاحًا ملموسًا في دراسة النصوص القرآنية، فقضية السياق، تعد من أهم قضايا تفسير النصوص، ومن أبرز القرائن المعينة على فهم النص، وإعطاء الدلالة الحقيقية لمعاني الكلمات، فتحديد المعنى ونقله من معنى إلى آخر، وهو خارج السياق، يتنافى مع طبيعة اللغة، التي هي في حقيقتها استعمال، والاستعمال سياق وتراكيب، والسياق نوعان؛ الأول: سياق داخلي متعلق بتراكيب الألفاظ، والثاني: سياق خارجي متمثل بالملابسات، والأحوال والظروف النفسية، والمكانية، والاجتماعية، من ثقافات، وأعراف، ولا يمكن الاستغناء عن هذين النوعين من السياق، في فهم معنى النص، وإعطاء المدلولات، التي تتجلى في علاقات التركيب اللغوي، داخل سياق من التفاعل[1].

كما تمثل استجابة لدعوة القرآن الكريم إلى تدبر معانيه وفهم مقاصده، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُواْ الْأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩]، ومما لا شك فيه أن الدَّلالة السياقية تبلور معنى اللفظة القرآنية، من خلال وجودها في النص القرآني في محيط الوحدات الدلالية المتجاورة، وتطبعها بمعانٍ خاصة، تتناسب مع جو السياق الخاص بالسورة المنتمية إليه،

---

[1] ينظر: الغويل، المهدي بن إبراهيم، **السياق وأثره في المعنى دراسة أسلوبية**، (ليبيا، أكاديمية الفكر الجماهيري، ط٢٠١١م)، ص٥-٨

مما يقطع الطريق على الشبهات المضلة الداعية إلى اتّهام القرآن الكريم بالتكرار، وخاصة في القصص القرآني

جاء البحث ليوضح مدلولات الورود القرآني لقصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم في كيان سياقي، وبناء لغوي، وتركيب نحوي، وأساس بلاغي، تتفاعل فيه اللفظة القرآنية، وتتمازج مع ظلال السورة القرآنية، ومحورها الأصيل، لتجلي معانيَ جديدة، واستنباطات عميقة، لتقف شاهدة على عظمة الإعجاز القرآني.

أولًا: فكرة البحث:

نظراً لغياب الدراسات التي تعود بالحكم السديد على مقاصد القرآن، وتنفي الاحتمالات، وتقطع الطريق على المقاصد المغرضة، التي لمْ يُرِدْها الشّارعُ الحكيمُ ولم يَرُمْها ، كاقتطاع النص من سياقه، والاستدلال به معزولًا عن محيطه الذي نزل فيه، جاءت الحاجة إلى دراسة دلالة السياق للنص القرآني، الذي يعد من أعظم الدلالات القرآنية؛ لأنها تُنمي قوة الملاحظة، واتصال المرابطة، وتجعل النص كلًّا متماسكًا، ووحدة متلاحمة، بفعل العلاقات التركيبية بين العناصر الداخلية، فتضفي على النص عوامل استقراره ورسوخه، وتنفي تشتت الدلالات الواردة في الجمل المكونة للنص، فيسهل الوصول إلى تحديد المعاني، وفق الرؤية القرآنية.

جاءت الدراسة لتوضح دورَ السياق الذي يعد من أهم الأدوات المعرفية الإجرائية، التي تَوَفرَ لها قدرٌ مهم من الكفاية العلمية في اللسانيات المعاصرة[1]، وعلم الدلالة الحديث، لفهم سياقات

---

[1] ينظر: السراقبي، وليد بن محمد، **الألسنية مفهومها، مبانيها المعرفية ومدارسها، (**لبنان، العتبة العباسية المقدسة، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م**)** ص١٤-١٦، وعلي، محمد بن يونس، **مدخل إلى اللسانيات، (**ليبيا، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م**)**، ص٩-١٢، وشبكة النخبة للنشر العلمي، **مفهوم اللسانيات وفروعها،** ذكر فيها علم اللسانيات: بأنه علم موضوعي حديث للسان البشري، أسسه في مطلع العشرين العالم السويسري" دو سويسر" مؤسس المدرسة البنيوية في اللسانيات، من خلال محاضراته، في علم اللغة العام، فحدد إشكالية اللسانيات، وأشار لقضايا مهمة تتعلق باستقلال علم اللغة عن غيره من العلوم الأخرى، كعلم النفس، والفلسفة،

ورود قصة نوح عليه السلام، في القرآن الكريم، ومدى اصطباغ ملامحها مع تفاعلها مع محور سور الكتاب العزيز، والوقوف على مضامينها الدلالية المستنبطة في الجوانب العقدية والدعوية والأخلاقية والتربوية.

ثانيًا: إشكالية البحث وتساؤلاته:

تبرز مشكلة الدراسة في بيان السياقات القرآنية لقصة نوح عليه السلام وحواره مع قومه في دعوتهم إلى توحيد الله تعالى، بقصد التوصل إلى الإجابة على التساؤلات الآتية:

١. ما مواضع ورود قصة نوح عليه السلام في سور القرآن الكريم؟

٢. ما أسباب اختلاف ورود قصة نوح عليه السلام؟

٣. ما دلالات ورود قصة نوح عليه السلام؟

٤. ما الجوانب المستفادة من ورود قصة نوح عليه السلام؟

ثالثاً: أهمية البحث ودواعي الكتابة فيه:

١. توجيه النظر إلى الدلالة السياقية، باعتبارها أهم المباحث التي اهتم بها العلماء قديمًا وحديثًا، وعليها قامت النظريات العديدة، وأهمها النظرية السياقية الموصلة إلى الوحدات الدلالية، المعينة على تحليل معاني الكلمات القرآنية.

كما فرق بين ثلاثة أشياء، وهي: (اللسان، واللغة المعينة، والكلام)، ويرى أن دراسة الكلام مختلفة عن دراسة اللغة، فهو يركز على دراسة اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية ذات المستويات المختلفة: الصوتي، والنحوي، والصرفي، والدلالي، والكشف عن العلاقات التي ترتبط بينها، وتربطها بالظواهر النفسية، وبالمجتمع، والبيئة الجغرافية، فمفهوم علم اللسانيات هو العلم الذي يدرس اللغات الإنسانية، وخصائصها، وتراكيبها، أي يركز على اللغة التي يتكلم الناس بها لا المكتوبة. والمسدي، عبد السلام، **اللسانيات وأسسها المعرفية**، (الجزائر، الدار التونسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦م)، ص١١٥.

٢. ترسيخ حضور القصص القرآني، في بناء الأفراد إيمانيًّا وأخلاقيًّا وتربويًّا، وإعادة الأصل للنص القرآني؛ لأنه هو الذي يُبنى عليه فهم الدين.

٣. تعميق البناء المعرفي الصحيح، في إطار تفسيري إيماني أصيل، يهتم بمنهجية الرسل؛ لعودة البشرية جمعاء للنور الرباني، والفطرة القويمة، والبصيرة السليمة.

رابعاً: أهداف البحث:

١ . إبراز مهمة السياق القرآني في تحديد المراد من الكلام، وإعطاء النص الأثر في الفهم والمعنى، فالعناية بالسياق القرآني هو من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، وهو من أعلى ما يبين معنى آية، ويفصح عن مرادها، ويقف على أسرار القرآن، وإعجازه، وأسرار ترتيب سوره؛ مما يلبي الحاجة الماسة لمثل هذه الدراسات العميقة والدقيقة.

٢ . دراسة وظيفة الحوار القرآني في حوارات الأنبياء في القرآن الكريم بصورة موضوعية، واستنباط الأساليب الناجحة في دعوة التوحيد، والنهوض بالإنسان خلقيًّا، وتربويًّا.

٣ . بيان رسالة نوح عليه السلام الموصلة إلى مسالك الحق القويم، ونبذ الباطل.

٤ . كشف ورود قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم وأسباب اختلافها بين سورة وأخرى.

٥ . تتبع الدلالات المتضمنة لورود قصة نوح عليه السلام، وتحليلها.

٦ استقراء الآيات التي أوردت قصة نوح عليه السلام، وذكرت حواره، وبيان المعاني المستخلصة.

٧ تكوين منهجية للحوار، والتخاطب مع الغير، بما يناسب مختلف المذاهب الفكرية، والنزعات المزاجية، والمخالفات السلوكية؛ للوصول لأنجح الطرق في المعالجة

خامسًا: حدود البحث:

ستتناول الدراسة قصة النبي نوح عليه السلام فقط، من خلال ورودها في عشر سور من القرآن الكريم.

سادسًا: منهج البحث:

١. المنهج الاستقرائي، حيث يتم تتبع الآيات التي قصّت لنا قصة نوح عليه السلام وحواره مع قومه في عشر سور قرآنية.

٢. المنهج الوصفي في وصف الألفاظ القرآنية الواردة .

٣. المنهج التحليلي للخروج بمعانٍ ودلالات جديدة.

سابعًا: إضافة البحث على الدراسات السابقة:

من خلال استعراض الدراسات السابقة، تبين للباحثة عدم توفر أي دراسة تناولت قصة نوح عليه السلام مع قومه بصورة خاصة؛ لتكشف لنا أسرار ورودها في كتاب الله ومكانتها وغرضها وترتيبها بين القصص ومدى ارتباطها بمحور كل سورة وسبب التنوع في تلك الورود.

فقد جاءت دراسات تتضمن إحدى مباحثها، عرضًا عامًّا لحوارات الرسل مع أقوامهم، وكان التركيز على أسلوب الحوار وآدابه وقواعده لا أكثر، مثل:

١. **(حوار الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم)** لأبي بكر، الوليد صديق خالد، وهي رسالة ماجستير، في جامعة أم درمان، السودان، عام ٢٠٠٥م، حيث جاء في عنوان الفصل الثاني من الدراسة (الحوار بين الأنبياء وأقوامهم) (حوارات عامة للرسل)، وتم إدراج حوار نوح عليه السلام ضمن حوارات ستة من الأنبياء، وكان التركيز على الحوار فقط، وهذا يختلف عن موضوع البحث الذي يهدف إلى بيان ورود قصة نوح عليه السلام في جميع السور القرآنية؛ واستنباط الدلالات المستخلصة منها.

٢. **(حوار الأنبياء مع أقوامهم ـ دراسة موضوعية)** لعبده، عبد الله محمد الحميدي، وهي رسالة دكتوراه، في جامعة أم درمان، عام ٢٠٠١م، وقد ذكر في المبحث الثاني، وهو بعنوان (أهداف الحوار في القرآن وبيان حكمة التكرار)، في مطلبه الأول، بعنوان (المحاورات في القرآن)، مستعرضًا محاورات الأنبياء ككل، وبيان الهدف منها، فذكر محاورة نوح عليه السلام، كما ورد في المبحث الرابع، وهو بعنوان (أسلوب الحوار المكي في مخاطبة المدعوين)، وبين فيه أولًا الاستدلال العقلي المحض، وثانيًا الاستدلال بالآيات الكونية المنظورة، والاستشهاد بالآيات المتعلقة بجميع الأنبياء، ومن ضمنهم نوح عليه السلام، وهذه الدراسة أيضًا تبتعد عن هدف البحث، في تتبع دلالات ورود قصة نوح عليه السلام.

٣. **(الدروس المستفادة من خطابات الرسل مع أقوامهم من خلال سورة هود)** لعبد الملك، خديجة محمد، وهي رسالة ماجستير، في جامعة الخرطوم، السودان، عام٢٠١٧م، فقد اقتصرت على سورة واحدة في القرآن الكريم وهي سورة هود فقط، بينت الباحثة، في الفصل الثاني خطاب كلٍّ من نوح وهود (عليهما السلام)، فاختلفت عن حدود البحث، الذي يتناول تسع سور قرآنية، فالدراسة الحالية تتسم بالشمولية، في عرض قصة نوح عليه السلام، كما وردت في عشر سور؛ لاستخلاص الدروس المستفادة والمعاني المتضمنة.

٤. **(المعايير السياقية في قصة الأنبياء آدم وإبراهيم وعيسى (عليهم السلام)** دزه يى، دلخوش جار الله حسين، في جامعة صلاح الدين، أربيل، عام ٢٠١٥م، تناولت المعايير السياقية، ومقومات السياق، وجهود العلماء، وتحليل الخطاب القرآني في الآيات التي المتعلقة بالأنبياء الثلاثة فقط، فتغايرت عن حدود البحث.

كما لم تتوافر دراسة خصت قصة نوح عليه السلام، وبينت دلالات ورودها في السور القرآنية، بصورة متكاملة (عقديًّا ودعويًّا وأخلاقيًّا وتربويًّا)، فقد جاءت الدراسات مبينة لجانب دون جانب مثل:

١. **(معالم الدعوة في سورة نوح)** لصواب، صالح بن يحيى، في جامعة القاهرة، مصر،٢٠٠٥م، وكانت مقتصرة على الجانب الدعوي فقط، كما كانت متقيدة بسورة واحدة في القرآن الكريم، وهي سورة نوح، فلذلك كانت مختلفة عما يهدف البحث استقراءَه في جميع السور، وعما سيتم بحثه في جميع الجوانب المستفادة لذلك.

٢. **(مناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها من خلال سورة نوح)** لعالم، نورة محمد حسن بشير، وهي رسالة ماجستير، في جامعة أم درمان، عام ٢٠٠٦م، وهي أيضًا – كسابقتها – تقتصر على سورة واحدة، وجانب واحد فقط.

٣. **(المضامين التربوية المستنبطة في قصة نوح في القرآن وتطبيقاتها التربوية)** للجمعية، خالد بن جميعان، وهي رسالة ماجستير، في جامعة الرياض، السعودية، عام ٢٠١٣ م، وإن كانت تتناول القصة في كل آيات القرآن، إلا إنها تختلف عن البحث، في الابتعاد عن كشف أسرار ورودها في تلك السور، وعدم شمول المضامين المستخرجة، فقد اقتصرت على المجال التربوي.

٤. **(جدل الدلالة والتداول في جدال سيدنا نوح مع قومه في سورة هود)** لهديم، عائشة، في جامعة منوية، تونس، عام ٢٠١٠ م، استعرضت نظرية السياق والدلالة، وتطبيقات ومساهمات العلماء، وسلطت الضوء على الحجاج، وأنواع العلاقات بين المتخاطبين، إلا أن التطبيق اقتصر على جدال النبي نوح عليه السلام مع قومه في سورة هود فقط، ولم تتناول قصته في السور الأخرى.

٥. **(المضامين التربوية في قصة ابن نوح)** لرجب، مصطفى، وهي دراسة صادرة من اللجنة الوطنية الفطرية للتربية والثقافة والعلوم، عام ١٩٩٣م، تبين دور الأم ورابطة العقيدة، وعدم جدوى القوى المادية، وهي أيضاً بعيدة عن مقاصد البحث.

٦. **(الدلالات السياقية للقصص القرآني: قصة النبي موسى أنموذجًا)** لرحمون، أبو زيد، وهي رسالة ماجستير، في جامعة فرحات عباس، الجزائر ،عام٢٠١١ م، اهتمت بالسياق في القصص القرآني، تم في الفصل الأول منه دراسة السياق لغة واصطلاحًا، وبيان أركانه، ودلالته، وأنواعه، وتأصيل النظرية السياقية في التراث العربي، وتناول كذلك تعريف القصص القرآني لغة واصطلاحًا، وأنواع البنى القصصية في القرآن ودلالة الألفاظ فيها، و في الفصليين التاليين تم تتبع قصة موسى عليه السلام في دراسة تطبيقية استقرائية، خلال فترتين زمنيتين، هما الفترة المصرية، والفترة الإسرائيلية، وبذلك ابتعدت عن موضوع البحث، الذي يهدف إلى تتبع قصة نوح عليه السلام بصورة خاصة، كما يهدف إلى كشف دلالات السياق، في مجالات أربعة هي: العقيدة والدعوة والأخلاق والتربية.

من أجل ذلك جاءت الرغبة في القيام بدراسة جديدة، يتم فيها تتبع قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم، في جميع سوره التي ذكرتها، وتدارك جوانب قد أغفلتها الدراسات السابقة، من تبيان لكيفية الورود، وتنوع الإضافة في أهدافها، وترتيبها، وأساليبها، ومنهجها، ومحورها الأساسي، وتحليل هذا الورود بصورة مفصلة، في الجوانب العقدية والدعوية والأخلاقية والتربوية مجتمعة، والتي لم تتوافر إلى الآن في ساحة الدراسات.

التمهيد: الحوار ودلالة السياق في القصص القرآني

المبحث الأول: الحوار في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني:

المطلب الأول ـ أولاً: الحوار في اللغة.

المطلب الثاني: خصائص الحوار القرآني.

المطلب الثالث: ضوابط وقواعد الحوار القرآني الناجح.

المبحث الثاني: دلالة السياق وأركانه وأصوله النظرية:

المطلب الأول: مفهومي الدلالة والسياق في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: أركان السياق وأنواع دلالاته.

المطلب الثالث ـ أصول النظرية السياقية.

المبحث الثالث: القصص القرآني: المفهوم والدلالة:

المطلب الأول: مفهوم القصص في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: أنواع البناء في قصص القرآن الكريم.

المطلب الثالث: دلالة الألفاظ في القصص القرآني.

التمهيد: الحوار ودلالة السياق في القصص القرآني

المبحث الأول: الحوار في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني:

المطلب الأول ـ أولاً: الحوار في اللغة:

أصل المادة في اللغة من الفعل (حور) الحاء، والواو، والراء، ثلاثة أصول: أحدها لون، والآخر الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دورًا.[١] فجاءت لفظة الحوار بعدة معانٍ منها:

١. الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حار إلى الشيء وعنه حَوْرًا ومَحارًا ومحارةً وحؤورًا: رجع عنه وإليه... يقال حار بعد ما كار. والحَوْر: النقصان بعد الزيادة؛ لأنه رجوع من حال إلى حال. وفي الحديث: "نعوذ بالله من الحور بعد الكور" معناه من النقصان بعد الزيادة[٢].

٢. المحاورة: المجاوبة، والتحاوُر: التجاوب، يقال: كلمته فما رد إليَّ حورًا أي جوابًا. وتعني مراجعة المنطق والكلام. والمَحار: المرجع. وأحار عليه جوابه: ردَّه.

---

[١] ينظر: ابن فارس: أبي الحسين أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام بن محمد بن هارون (بيروت، دار الجيل، د.ط، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، ج٢، ص١١٥-١١٧، وابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، (مصر، دار ابن الجوزي، د.ط، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م، ج٢، ص٥٥٨، ٥٥٩، والرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح** (د.م، دار الفكر، د. ط ١٤٠١هـ، ١٩٨١م)، ص١٦١، والمقري، محمد بن علي الفيومي، **المصباح المنير**، (مصر، دار ابن الجوزي، ط١ ، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م)، ص١٠١، ومجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، (مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط٥، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م)، ص٢١٢، ٢١٣، فالأصل الأول للحور: اللون وهو شدة البياض، والثاني: الرجوع، والثالث: أن يدور الشيء دورًا.

[٢] ينظر: السندي، نور الدين بن محمد بن عبد الهادي، **حاشية مسند أحمد بن حنبل**، تحقيق نور الدين بن طالب، رقم الحديث (٨٨٧٦)، (لبنان، دار النوادر، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م) ج١٢، ص٢٧٢، جاء بالكور: بمعنى الرجوع من الإيمان إلى الكفر، أو من الطاعة إلى المعصية، والكور من تكوير العمامة: إذا لفها وجمعها، وجاء الثاني بالكون: بمعنى على الحالة الجميلة.

٣. والأحْور العقل، وما يعيش فلان بأحور، أي ما يعيش بعقل يرجع إليه.[١]

ثانياً: الحوار في الاصطلاح والسياق القرآني:

لتتضح دلالة الحوار في الاصطلاح القرآني، لابد من النظر إلى مواضع ورود هذه المفردة في القرآن الكريم، ودلالتها في السياق القرآني، فنجدها قد استعملت في عدة معانٍ كالآتي:

أولًا. ورود مفردة (الحوار) كصفة[٢] وهذا لا يتعلق بموضوع البحث.

ثانيًا . ورود مفردة (الحوار) كفعل، ويبدو ذلك فيما يلي:

أ. في سورة الكهف وردت المفردة في حالة يبدو فيها التخاصم الشديد بين الأخوين، صاحب الجنتين، فقد كان أحدهما مؤمنًا سخيًّا، والآخر كافرًا شحيحًا، ولكن الحالة هنا قد توصف بأنها حالة خصومة فعلية بينهما، إلا أنها من الناحية الاجتماعية، والواضح أمام الناس لا تمثل خصومة، وإنما تمثل اختلافًا بينهما في الدين والمنهج، فجاء القرآن معبرًا عن موقفهما بلفظ التحاور، والمنبئ عن مجرد المراجعة في الكلام، ولم يأت بلفظ الجدال الذي يرتبط بالخصومة[٣].

---

[١] ينظر: الأزهري، محمد بن أحمد، **معجم تهذيب اللغة**، تحقيق رياض بن زكي، (لبنان، دار المعرفة، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، ج١، ص٦٩٥-٦٩٩، وابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص٥٥٦-٥٦١، والفيروزآبادي، مجد الدين بن محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، (لبنان، دار الكتاب العربي، د.ط، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م)، ص٤٠٥، ٤٠٦، والكفوي، أيوب بن موسى، **الكليات**، (لبنان، مؤسسة الرسالة ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، ص٧٧٣، أي المحاورة التي تكون في النفس والعقل لا يدركها إلا صاحبها والمعنى: أن من لا يحاور عقله السليم، فكأنه ميت فلا يصل إلى الحق.

[٢] ينظر: عبد الباقي، محمد بن فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (مصر، دار ومطابع الشعب، د.ط، د.ت)، ص٢٢٠، وردت لفظة حوار في القرآن الكريم ثلاث عشر مرة بين معناها كصفة وكفعل.

[٣] ينظر: حنفي، عبد الحليم، **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٨٥م)، ص١٣.

ب. في سورة المجادلة كان السياق مفرقًا بين الجدل والحوار، فحديث المرأة عن زوجها كان خصومة؛ لذلك كان التعبير حينئذٍ بالمجادلة، ولكن حديثها مع النبي ﷺ كان مواجهة في الكلام، ولذلك كان تعبيره بالمحاورة[١].

ج. في سورة الانشقاق ورد الحوار بمعنى التردد إما بالذات وإما بالفكر وقوله: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ [الانشقاق:١٤]، أي؛ لن يُبعث وذلك على نحو قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ [التغابن:٧]"[٢]

يمثل القرآن الكريم المصدر الإسلامي الأصيل الذي انطلق منه النبي ﷺ وأصحابه في حوارهم مع أقوامهم؛ لتطبيق المنهج القرآني، محولًا العقيدة كلها إلى موقف مستمر للحوار، يبدأ من ذات الإنسان، ليشمل الحياة كلها، ويمتد وحيه إلى الآخرة؛ حيث ينتهي إلى حوار آخر أمام الله تعالى في أحسم المواقف؛ حيث حوار المسؤولية ومواجهة النعيم أو الجحيم[٣].

ومن هنا كان دخول عنصر الحوار القرآني متدرجًا بالقصة من الإشارة إلى التفصيل، ومن العام إلى الخاص، مستخدمًا مسلكًا أمينًا في رسم معالم الشخصيات الإنسانية، ومعبرًا عن خواطرهم ومواقفهم في صياغته للمعاني وفق أسلوبه الإعجازي، محققًا بذلك إعجازًا بيانيًا، فلم ينقل المعاني

---

[١] ينظر: حنفي، **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، ص١٣، وعبد الله، عودة، **الحوار في القرآن**، (د.م، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٢م)، ع ٤، ص١٣٤.

[٢] الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، **مفردات ألفاظ القرآن**، (دمشق: دار القلم، بيروت: دار الشامية، جدة: دار البشير ط١، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م)، ص٢١٨، وينظر: المناوي، عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان (مصر، عالم الكتب ط١، ٩٥٢هـ، ١٠٣١م)، ص، ١٤٨، والفيروزآبادي،مجد الدين بن محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، (مصر، مطابع الأهرام، ط٣، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م)، ص٥٠٦ ومثله محارة الأذن لظاهره المنقعر، تشبيهًا بمحارة الماء لتردد الهواء بالصوت كتردد الماء في المحارة. وحار الماء في الغدير: تردد فيه.

[٣] ينظر: فضل الله، محمد بن حسين، **الحوار في القرآن**، (لبنان، دار الملاك، ط٣، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م)، ص١٠، ١١.

على الصيغة الصادرة فيها، كما لم ينقل كل ما دار بينهم، بل اختار اللقطات الموحية والعناصر الحية التي تبين الغاية والدلالة[١]

ولابد للحوار من مناخ يعيش فيه؛ ليكون عنصرًا منتجًا، توافر العناصر الآتية:

١. شخصية المحاور الذي يدير عملية الحوار.

٢. شخصية الطرف الآخر للحوار.

٣. خلق الجو الهادئ للتفكير المستقل.

٤. معرفة المتحاورين للفكرة (موضوع الحوار).

٥. أسلوب الحوار[٢].

ثالثاً: مجالات الحوار:

اعتنى القرآن الكريم من خلال استعماله للحوار القصصي بخطاب الإنسان، في كافة المجالات التي تسهم في بنائه بصورة تكاملية، وكانت كالآتي:

١ . المجال العقدي:

اهتم الحوار ببناء العقيدة الصحيحة للإنسان، وهي عبادة الله وحدة، وهذا واضح في حوارات الأنبياء مع أقوامهم، مثل حوار إلياس عليه السلام مع قومه: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات:١٢٣-١٢٦]، فتتجلى غاية الحوار في تصحيح العقيدة، ونبذ الشرك والضلال.

---

[١] ينظر: نفرة، التهامي، **سيكولوجية القصة في القرآن**، رسالة دكتوراه، (الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع، د.ط، ١٩٧١م)، ص٤١٠، ٤١١.

[٢] ينظر: فضل الله، **الحوار في القرآن**، ص٣٥، ٣٦، ومورجان، تشارلس، **الكاتب وعالمه**، ترجمة شكري بن محمد، (مصر، مؤسسة سجل العرب د.ط، ١٩٦٤م)، ص٢٦٨ وخلف الله، محمد بن أحمد، **الفن القصصي في القرآن الكريم**، (د.م، الانتشار العربي، ط٤، ١٩٩٩م)، ص٢٨٣، ٤٦٤.

٢ . المجال الاجتماعي: جاء الحوار القرآني يدعو إلى بناء العلاقات الاجتماعية الصحيحة، إخوة بين أفراد المجتمع كافة، ومن أمثلة ذلك حوار يوسف عليه السلام وأبيه يعقوب عليه السلام بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف:٤، ٥]، فيبين الحوار قوة علاقة يوسف بأبيه، في مصارحته بحلمه وحرص والده، ونهيه عن قص الرؤيا على إخوته؛ لشعوره بحسدهم وبغضهم له، فيعملوا الحيلة على هلاكه.[١]

٣ . المجال السياسي: ويتضح في الحوار الذي يحدد الأسس الثابتة لشكل السلطة والمجتمع ويحقق التكافل، والصلاح، للفرد والمجتمع، ولتوطيد العلاقات بين الدول القوية؛ لكف خطرها مثل حوار سليمان عليه السلام كما وصفه الله تعالى ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ *إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُولُواْ قُوَّةٍ وَأُولُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل:٢٩-٣٥]

٤ . المجال الاقتصادي: الذي يُعنى بالأمور الاقتصادية وبناء المجتمع والحفاظ على خيراته، ويتمثل في حوار يوسف عليه السلام مع الملك كما ذكره الله تعالى ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا

---

[١] ينظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق مجموعة من الباحثين، (قطر، إدارة الأوقاف، ط١، ١٤٣٦ هـ، ٢٠١٥م)، ج٥، ص٤١٠، ومكي، محمد بن أحمد، **المعين على تدبر الكتاب المبين**، (لبنان، الريان د.ط، د.ت)، ص٢٣٦.

تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف:٤٦-٤٩]، وهذا حوار يبين الحاجة إلى التخطيط؛ لمواجهة تحدي الأمن الاقتصادي، الذي ستتعرض له الأمة خلال سبع سنوات.

وهذا الذي بينه مكي في تفسيره لهذه الآية بقوله: " قال يوسف معبرًا لتلك الرؤيا التي تشير إلى الوضع الزراعي، والاقتصادي، والمالي، خلال الخمس عشرة سنة القادمة، من رخاء ثم قحط ثم غَوْثٍ: ازرعوا سبع سنين بجدٍّ واجتهاد من غير فتور على عادتكم المستمرة في الزراعة، فما حصدتم من الحنطة، فاتركوه في سنبله، لئلا يفسد ويقع فيه السوس، واحفظوا أَكْثَرَهُ لوقت الحاجة، إلا قيلًا مما تأكلونه من الحبوب"[١]

٥ . المجال العقدي: فقد اهتم القرآن بالإنسان وراعى حقه في التفكير المستقل في جميع شؤون الحياة، وما يحيط إدراكه من ظواهر، وأعطاه الحق في النظر، وإبداء الرأي، الذي يقتنع به، ويصل به إلى الحق والإيمان، ويتبين ذلك في حوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود كما ورد في القرآن الكريم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨].[٢]

يوضح سيد قطب رحمه الله، في تفسيره لهذا الحوار، بعدم رغبة إبراهيم عليه السلام، في الاسترسال في جدله، حول معنى الإحياء والإماتة، مع رجل يماري في تلك الحقيقة، فانتقل عن هذه السنة الكونية الخفية، إلى سنة أخرى ظاهرة مرئية، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ

---

[١] مكي، **المعين على تدبر الكتاب المبين**، ص٢٤١.

[٢] ينظر: إسماعيل، محمد بن أحمد بن محمد وآخرين، **الأبعاد التربوية المتضمنة في الحوار القرآني وتطبيقاتها التربوية بين طلاب كليات التربية في بعض جامعات جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية**، (جامعة عين شمس، دراسات في التعليم الجامعي، ٢٠١٤م)، ع٢٨، ص٣٨٤-٣٨٨.

مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾، فيقول: "فالرسالات تخاطب فطرة الكائن البشري، في أية مرحلة من مراحل نموه العقلي، والثقافي، والاجتماعي؛ لتأخذ بيده من الموضع الذي هو فيه"[١]

المطلب الثاني: خصائص الحوار القرآني:

أولاً: البلاغة في النصوص الحوارية: تظهر في ثلاثة جوانب:

الجانب الأول ـ خصائص بلاغية في الجملة الحوارية:

وهذه الخصائص تنطوي تحت الأسلوب البياني، ومن هذه الأنواع:

١. التأكيد: فالمعروف أن علم المعاني: هو علم تعرف منه أصول اللفظ العربي الذي يُطابق مقتضى الحال.[٢]

فقد نرى بعض الجمل الحوارية، تخلو من أدوات التوكيد، وبعضها الآخر تحتوي على أكثر من أداة من أدوات التوكيد، كما نجد في بعض الأحيان، بعض الجمل الحوارية تكشف بما حوته من أدوات التوكيد، على أسرار دقيقة، مثل ما ورد على لسان إخوة يوسف: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف:١٢]، قال ابن الأثير: "فإنما جيء باللام هنا؛ لزيادة التوكيد في إظهار المحبة ليوسف والإشفاق عليه؛ ليبلغوا من أبيهم السماحة بإرساله معهم."[٣]

٢. التقديم والتأخير: فنجد في المواقف الحوارية، تقديم كلمة على أخرى؛ لأغراض بيانية مثل ما ورد على لسان سحرة فرعون في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ

---

[١] قطب، سيد الشاذلي، **في ظلال القرآن**، (مصر، دار الشروق، ط٣٨، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩م)، مج١، ج٣، ص٢٩٨.

[٢] ينظر: الجرجاني، علي بن محمد، **معجم التعريفات**، (مصر، دار الفضيلة، د، ط، د.ت)، ص١٣١.

[٣] ابن الأثير، ضياء الدين، نصر الله بن محمد، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق أحمد الحوفي، (مصر، دار النهضة، ط٢، د.ت)، ص٢٣٦.

وجاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:١١٥، ١١٦]، فقد ذكر ابن عاشور "ابتدأ السحرة موسى بالتخيير في التقدم إظهارًا لثقتهم بمقدرتهم وإنهم الغالبون، سواء ابتدأ موسى بالأعمال أم كانوا هم المبتدئين، ووجه دلالة التخيير على أن التقدم في التَّخْييلات والشعوذة أنجح للبادئ؛ لأن بَدِيهَتَها تمضي في النفوس وتستقر فيها، فتكون النفوس أشد تَأثُّرًا بما يأتي بعدها، ولعلهم مع ذلك أرادوا أن يَسْبُرُوا مقدار ثقة موسى بمعرفته مما يبدو منه من استواء الأمرين عنده أو من الحرص على أن يكون هو المُقَدَّمَ."[١]

٣. الفصل والوصل: وهو من أجل المباحث البلاغية ومن أمثلة ذلك، ما جاء من قول موسى للسامري في كتاب الله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه:٩٧]، فقد جيء بـ (ثم) لتنقل لنا إحساس موسى عليه السلام النفسي، ورغبته في التشفي، التي تبرز من خلال معادة الفعل مرة بعد مرة، كما يشير التشديد في لفظة (لنحرقَّنه).[٢]

٤. الحذف: وهذا كثير في الجمل الحوارية، فتارة تظهر في الكلمة، وتارة تظهر في الجملة، ومن وظائف الحذف، مراعاة النفس في محنتها وشدتها، فالنفس من طبيعتها اختصار الكلام عندما تصاب بكرب، وتعاف طول الكلام، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف:٨٤]، إذ أن الأصل في الكلام تولى عنهم، وذهب بعيدًا، وأخذ يبكي، ويشكو ربه، فالحذف يصور لنا حال يعقوب حين تفجَّعت نفسه على يوسف عليه

---

[١] ابن عاشور، محمد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير**، (تونس، دار سحنون، د. ط، د.ت)، مج٨، ج١٩، ص٤٧.

[٢] ينظر: الخضري، محمد بن أمين، **من أسرار حروف العطف**، (مصر، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م)، ص١٦٨.

السلام، فحذف أكثر من جملة، وعندما تكون النفس في حالة استئناس يبسط لها الكلام.[١]

الجانب الثاني ـ خصائص متعلقة بموضوعات الحوار:

١. الشمولية: فالمواقف الحوارية التي يعرضها القرآن الكريم شاملة، يدل على حضور الحوار في التعبير القرآني بشكل كبير، فنجد الحوار مع الملائكة، ومع الأنبياء، ومع أتباعهم، ومع مخالفيهم، ومع إبليس، ومع الحيوانات، من طيور وحشرات.

كما يدخل الحوار في كل الشؤون الحياتية، فنجد الحوارَ مع النفس، ومع الأسرة، ومع أفراد المجتمع، ومع قياداته، بل يعبر القرآن في نصوصه عن كل أنماط الأسرة، فتارة يكون الحوار مع زوج مؤمن في حين الزوجة كافرة، كما في قصة نوح عليه السلام، وتارة يكون الزوج كافرًا وامرأته مؤمنة، كما في قصة فرعون وزوجته، وتارة يكون الابن مؤمنًا وأبيه كافرًا، كما في قصة إبراهيم عليه السلام، وتارة يكون الابن كافر وأبيه مؤمنًا، كما في قصة نوح وابنه، وتارة يكون الأبناء ذكورًا، كما في قصة يوسف عليه السلام، وتارة يكون الأبناء إناثًا، كما في قصة ابنتي شعيب.

٢. الواقعية: لو تأملنا في حوارات القرآن، التي يقصها الله علينا، لوجدنا أن ثبات شخصية المتحاورين يؤكد واقعية الشخصية، فالقارئ يستشعر تصرف الشخصية بمحض اختيارها، دون أن يكون هناك تلقين للألفاظ التي تُنطق.[٢]

كما تظهر واقعية الحوار القرآني، من كون القرآن يحدد أحيانًا مسرحي الزمان، والمكان، المصاحبين للموقف الحواري، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ

---

[١] ينظر: الجيوسي، عبد الله، **أسلوب الحوار في القرآن الكريم**، (الأردن، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م)، ع٢، ص١٠٩، ١١٠.

[٢] ينظر: الخطيب، عبد الكريم، **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، (لبنان، دار المعرفة، ط٢، ٢٣٩٥هـ، ١٩٧٥م)، ص١٢٩.

ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ "القصص:٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف:١٦]

٣. الصدق ودقة النقل: فالقرآن الكريم ينقل لنا ما دار من حوار بين أصحاب الدعوة وخصومها، بكل موضوعية ونزاهة، ويدل على ذلك ما يلي:

أ. القرآن الكريم يذكر الرأي الآخر، رغم رفضه، مثل قوله تعالى: على لسان فرعون ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩]

ب. يبرز على الرأي الآخر جمال لغته، وبيانه، ويعطيه الفرصة الكافية للحضور التاريخي، والحضور الجمالي في الوقت نفسه، ومن ذلك ما قاله ابن عاشور عند تفسيره لما ورد على لسان الملأ من قوم صالح في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف:٧٥-٧٦]، حيث بيّن أن مراجعته الذين استكبروا بقولهم ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ تدل على تصلبهم في كفرهم، وثباتهم فيه، فصيغ الكلام بالجملة الاسمية المؤكدة، والاسم الموصول، في قولهم ﴿بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ﴾، هو ما أرسل به صالح عليه السلام. وهذا كلام جامِعٌ؛ لِرَدِّ ما جَمَعَهُ كَلامُ المُسْتَضْعَفِينَ حين ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾، وهذا من بلاغة القرآن، في حكاية كلامهم، وليس من بلاغة كلامهم.[١]

---

[١] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٨، ج٢١، ص٢٢٣، ٢٢٤.

ج. في عرض القرآن لرأي الخصم، ما يشير إلى خلود هذا الكلام، فقد تكفل الله بحفظ القرآن، وفيه الكثير من الكلام الوارد على ألسنة الخصوم، وفي حفظ مواقفهم الحوارية؛ ضمانًا لاستمرار الحوار، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر:٢٩]

د. ينتقل القرآن الكريم في الحوار من التركيز على الأشخاص، إلى صفة العموم، فمثلًا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ [المجادلة:٢]، فيأتي الخطاب بصيغة العموم، والجمع، أو التنكير، كما أن التعبير بالاسم الموصول علامة واضحة على العمومية، وإبعاد ساحة الحوار عن الشخصية، وإبقائه خارجًا من إطار الزمان والمكان.[١]

وكذلك النداءات في الخطاب القرآني جاءت في أغلبها عامة، وليست خاصة لأشخاص بأعيانهم، كما جاءت النداءات بوظائف الأشخاص، لا بأسمائهم، فمثلًا الرسول ﷺ، لم يذكر اسمه إلا في أربعة مواضع"[٢]، أما بقية المواضع كان النداء، إما بوظيفة الرسالة ﴿ياأيها الرسول﴾ أو بوظيفة النبوة ﴿ياأيها النبي﴾، ولم يذكر أحدًا من أصحابه في القرآن، إلا زيد بن حارثة على الرغم من كثرتهم.[٣]

---

[١] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج١١، ج٢٨، ص١١، والقرضاوي، يوسف، **كيف نتعامل مع القرآن العظيم**، (القاهرة، دار الشروق ط٣، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، ص٤٩-٧٠، **الخصائص العامة للإسلام**، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط٧، ١٤٢٤هـ، ٢٠١٣م)، ص١٠٥-١٠٧.

[٢] هي {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ} [آل عمران:١٤٤]، {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ} [الأحزاب:٤٠]، {وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ} [محمد:٢]، {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ} [الفتح:٢٩].

[٣] وهي: {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ} [الأحزاب:٣٧].

كذلك في أسباب نزول الآيات، فقد اختلف أهل الأصول: هل العبرة بعموم اللفظ، أم بخصوص السبب؟ والأصح عند السيوطي الأول.[١]

الجانب الثالث . خصائص متعلقة في الأسلوب:

يتميز الخطاب القرآني الذي ينقل المواقف الحوارية بتنوع أسلوبه، تبعًا لاختلاف أحوال المخاطبين، وهذا هو عين البلاغة، وامتداد للإعجاز البياني، فنجد:

أ. غلبة أسلوب التصوير على التعبير القرآني، وهذا منسجم مع المشاهد الحوارية، فالعلماء أجمعوا على وجود اختلاف بين المكي والمدني، من حيث الأسلوب.[٢]

فمن أمثلة القصص النازل في أوائل الفترة المكية كان لأقوام سابقة لا حضور فيه للحوار، مثل قوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [الفجر:٧-١٠]

أما في الآيات المدنية، فتحول التفاهم من الخطابات الحوارية إلى السلوك العملي، وهذا ما فسره كثرة التشريعات والأحكام، فكانت ساحة الحوار مفتوحة والدعوة متاحة أكثر إلى الحوار بالأسلوب الهادئ، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٣]، "فالتغير لم يطرأ على موقف القرآن من الحوار،

---

[١] ينظر: السيوطي، الحافظ أبو الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، (السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، د.ت)، ج١، ص١٩٦، و**لباب النقول في أسباب النزول**، (لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م)، ص٩٠.

[٢] ينظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ص٤٣-٥٠.

بل كان على طريقة الرد على الحوار، والتدرج فيها، فحينما أغلق خصوم الدعوة باب التحاور والتفاهم أمام الدين الجديد، نجده انتقل بهم إلى ساحة القتال.[١]

ب. مخاطبة العقل والوجدان: فالحوار القرآني يخاطب العقل والوجدان، فنجد فيه الفائدة العقلية، والمتعة الوجدانية بصورة متعادلة، فمن إعجاز القرآن الكريم إقناع العقل، وإمتاع العاطفة، بما يفي بحاجة النفس البشرية تفكيرًا ووجدانًا، في تكافؤ واتزان.[٢]

ج. وضوح وبساطة الحوار القرآني: فهو خالٍ من التعقيدات المنطقية الجدلية، كما بيّن الزركشي بأن القرآن العظيم قد اشتمل على أنواع البراهين والأدلة، ونطق بكل كليات المعلومات العقلية والسمعية، ولكن أورده تعالى على عادة العرب مبسطة لأمرين:

١. بسبب ما قاله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم:٤].

٢. أن المائل إلى دقيق المحاجة، هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون، لم يتخط إلى الأغمض الذي لا يعرفه الأقلون.[٣]

---

[١] ينظر: الجيوسي، **أسلوب الحوار في القرآن الكريم**، ص١١٤.

[٢] ينظر: القطان، مناع بن خليل، **مباحث في علوم القرآن**، (مصر، مكتبة وهبة، ط١٣، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، ص٢٥٩، والرافعي، مصطفى صادق، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، (لبنان، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م)، ص١٨٦، ذُكِر فصل في إحكام السياسة المنطقية؛ اجتماع البيان والعقل والشعور؛ على طريق البلاغة المعجزة.

[٣] ينظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، (مصر، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م)، ص٣١٤.

لذا فالأدلة والبراهين التي حاج القرآن الكريم خصومه في صورة واضحة جلية يفهمها العامة والخاصة، وأبطل بها كل شبهة فاسدة، ونقضها بالمعارضة والمنع.[١]

د. قوة حوارات القرآن: فأدلة القرآن لا يمكن ردّها إلا من مكابر جاحد، كما تتميز بعدم وجود تناقضٍ، أو تعارض لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، قال ابن كثير: "أي لو كان مفتعلًا مختلفًا، كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ أي اضطرابًا وتضادًا كثيرًا: أي وهذا سالم من الاختلاف، فهو من عند الله."[٢].

المطلب الثالث: ضوابط وقواعد الحوار القرآني الناجح:

أولاً . ضوابط الحوار القرآني:

١. اعتقاد كمال دين الإسلام في أصوله، ومبادئه، وتعاليمه، وأحكامه، ليس فيه نقص بأي وجه من الوجوه، فقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، فنصوص الكتاب والسنة كفيلة بحل كل مشكلة، وفيها بيان لجميع مستجدات الحياة المعاصرة.

٢. عدم المساس بمسلمات الدين وثوابته، فالأمور التي تُعَدّ من الثوابت في الإسلام لا يمكن أن يخضعها التحاور للتغيير، فهي من القضايا التي ثبتت بنصوص الكتاب والسنة، عُلِم من دين الإسلام بالضرورة، كأصول العقائد، وأصول العبادات، وأصول الأخلاق، والقضايا القطعية،

---

[١] ينظر: القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ص٢٩٩.

[٢] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، **تفسير القرآن العظيم**، (مصر، دار الآثار، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م)، ج٢، ص٤٦١، وينظر: إسماعيل، محمد أحمد وآخرين، **الأبعاد التربوية المتضمنة في الحوار من المنظور القرآني وتطبيقاتها التربوية لدى طلاب كليات التربية في جامعات جمهورية مصر والمملكة العربية السعودية**، (مصر، جامعة عين شمس، ٢٠١٤م)، ع٢٨، ص٣٧١-٣٧٥.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]

٣. أهلية المحاور: فالعالم هو أهلٌ للمحاورة، وليس الجاهل الذي يُفْسِد أكثر مما يُصْلِح، فالأهلية مطلب هام، وبخاصة في المسائل الدقيقة، التي تحتاج إلى الاجتهاد، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [الحج:٨]

٤. تحديد المرجعية للتحاكم إليها: فيجب على المتحاورين أن يحددا المرجعية، التي يتحاكمان إليها عند النزاع، وهي كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وفهم أصحاب خير القرون، من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم بإحسان.

٥. تحديد نقاط الاختلاف والاتفاق: ولا بد للمتحاورين قبل البدء في الحوار من تحديد الأمور التي يتفقان عليها، فيجعلانها أساسًا وقاعدة، ينطلقان منها في حوارهما للمسائل التي يختلفان بشأنها، حتى لا تتبعثر جهودهما.

٦. تحديد الغاية وتوضيحها: يهتم الحوار القرآني بإبراز الهدف، والتركيز الشديد على أن يكون واضحًا، ومحددًا، ومقبولًا من النفوس، بعد تخطيه مرحلة القبول العقلي[١].

٧. تحديد الهجوم: فالمحاورة ليست كلها رفق، ولكن القوي حقًّا، من يتبع الحكمة في معالجة خصمه، فيحاول الداعية المحاور كسب محاوره إلى صفه[٢].

---

[١] ينظر: حنفي، **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، ص٣٥.

[٢] ينظر: آل الشيخ، عبد العزيز بن عبد الله بن محمد، **الحوار: مفهومه، حكمه، أصوله، وضوابطه في ضوء نصوص الكتاب والسنة وقواعد الشريعة**، (السعودية، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ٢٠١٢م) ع٩٧، ص١٤-١٦.

ثانياً . قواعد ومبادئ الحوار الناجح:

لكي يتحقق للحوار النجاح والوصول إلى الغاية والهدف، لا بد من مرتكزات وأساسيات ثلاثة هي:

المرتكز الأول . أساسيات متعلقة بالعملية الحوارية:

١. إنصاف الآخر، وعدم التعصب؛ لتكوين أرضية مشتركة مع الخصم، وتبني قوله، منتقلًا إلى إظهار النصفة، والمبالغة فيها، إلى إظهار الحق[١].

٢. الموضوعية ونبذ الشخصانية: من خلال توجيه الأسئلة وطلب جواب الخصم[٢].

٣. اعتماد العقل والمنطق في الحوار، بمطالبة الخصم بتقديم تعليل منطقي، فإن سكت فقد قامت الحجة عليه، وإلا المطالبة بدليل، كقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء ٧٢، ٧٣].

٤. تحديد الهدف وتوضيحه وهو متعلق بالنتيجة، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٧٩].

٥. المعرفة التامة بالآخر، والتخطيط العلمي المسبق للحوار: كما كان في معرفة إبراهيم بطبائع قومه من مكابرة، وعلمهم بالنجوم، فتخير يوم عيدهم، ليحطم الأصنام.

---

[١] ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم**، (لبنان، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت) ج٣، ص١٥٣، ١٥٤، مشيراً في تفسيره إلى المبالغة في موقف إبراهيم في إظهار النصفة، في قوله تعالى: {قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ} [الأنعام:٧٧] ثم التأكيد عليها، مع إشارة خفية إلى فساد معتقد عبدة الكواكب في قوله تعالى: " هَذَا أَكْبَرُ"[الأنعام:٧٨] ، ثم خاطب الكل صادعاً بالحق، في قوله تعالى: {قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} [الأنعام:٧٨]

[٢] ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم**، ج٣، ص١٥٦، في قوله تعالى: {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنعام:٨١] فقال المفسر: "وإنما جيء بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة، لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف، بسوق الكلام على سنن الإنصاف".

٦. الاتساق التام في الدعوى والدليل، وعدم التناقض.

٧. تهيئة الأجواء المناسبة للحوار، وتلافي ما يعوقه، من خلال الانتقال من حجة إلى أخرى أوضح، وترك الجدال، مثبتًا الحق، كما كان في حوار إبراهيم مع الملك[١].

٨. التسليم بحرية الآخر في الإقناع أو عدمه، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت:١٨][٢]

المرتكز الثاني . ارتباط الحوار بمجموعة من الآداب الفاضلة مثل:

١. الرفق: كإبداء الخوف، بقوله تعالى: ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود:٣].

٢. التواضع، وتجنب تزكية النفس، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء:٨٢].

٣. رقي الألفاظ، وعفة اللسان، ومقابلة السيئة بالحسنة.

٤. حسن الإنصات، وعدم المقاطعة.

٥. الحرص على الاحترام، والمودة بين الطرفين[٣].

المرتكز الثالث ـ شخصية المحاور وتمتعه بمهارات مثل:

١. انتقاء العبارة، التي تجمع بين الوضوح والسهولة، وفي الوقت نفسه تتميز بالقوة ودقة التعبير، كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾

---

[١] ينظر: الخالدي، صلاح بن عبد الفتاح، **مواقف الأنبياء في القرآن**، (دمشق، دار القلم، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م)، ط٢، ص١١١-١١٣.

[٢] ينظر: أحمد، علي بن بهلول بن علي بن أحمد، **حوار إبراهيم عليه السلام مع الآخرين في القرآن الكريم**، (جامعة أسيوط، المجلة العلمية لكلية الآداب، ٢٠١١م)، ع ٤٠، ص٦٢٨-٦٣٧.

[٣] ينظر: زمزمي، يحي بن محمد بن حسن، **آداب الحوار وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، (مكة، دار التربية والتراث، رمادي للنشر، الدمام ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م)، ص١١٦-٥٣١، وعبد الله، **الحوار في القرآن الكريم**، ص١٤٢-١٤٥.

"الاستفسار عن سبب العبادة، والتوبيخ عليها بألطف أسلوب"[١].

٢. ضبط الانفعالات، والتحلي بالهدوء التام، كحال إبراهيم في حواره مع قومه، في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٣].

٣. التروي والصبر في الحوار، وعدم التسرع؛ لإقامة جسور التفاهم والتعاون.[٢]

٤. سرعة البديهة، والانتقال بين الحجج دون مغالطة؛ لإفحام الخصم كقوله تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

٥. حسن الاستدلال بتنوع الأدلة، وطرق عرضها في الحوار الواحد، في تدرج وترتيب حسب الأهمية، والاستشهاد بمصادر تتعلق بأهمية الطرف الآخر، ومصداقيته، كما استشهد إبراهيم بتحطيم الأصنام بذلك الفأس المعلق على أكبرهم، وبتكرار يزيل الغفلة، كقوله ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٨]

٦. المساس بحاجات الطرف الآخر، واتجاهاته، وتقديم البديل الصحيح، كقوله ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧].

٧. إبداء الرأي الآخر، وتوضيحه بأحسن عرض، وأجود تقديم، فيتحقق بذلك حصول كل طرف على فرصة كاملة، في توضيح رأيه، وإبراز أدلته.[٣]

---

[١] الألوسي، السيد محمود بن شكري البغدادي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (لبنان، دار إحياء التراث العربي د.ط، د.ت)، ج١٧، ص٥٩.

[٢] ينظر: أندرسون، باربارا، **التفاوض الفعال مهارات التفاوض الاحترافي**، (القاهرة، مكتبة الهلال، الدولية للنشر والتوزيع د.ط، د.ت)، ص٧٥.

[٣] ينظر: أندرسون، **التفاوض الفعال مهارات التفاوض الاحترافي**، ص١١.

٨. تخير أمثل أسلوب يجاري قضية الحوار: كأسلوب إبراهيم في (حكاية قول الخصم على لسانه)، والعدول عن الحوار المباشر؛ لمراعاة مقتضى الحال، كمعرفة إبراهيم لتقليد قومه لأسلافهم، وبُعد طباعهم عن قبول الدلائل، فلو صرح بالدعوة إلى الله تعالى، لم يقبلوه ولم يلتفتوا إليه، فلذلك مال إلى طريق يستدرجهم، ليسمعهم الحجة.[١]

المبحث الثاني: دلالة السياق وأركانه وأصوله النظرية:

المطلب الأول: مفهوما الدلالة والسياق في اللغة والاصطلاح:

أولًا: الدلالة

١ . مفهوم الدلالة في اللغة: "(دل) الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلّمها، والآخر اضطرابٌ في الشيء.

فالأول قولهم: دلَلْتُ فلانًا على الطريق. والدليل الأمارة في الشيء، وهو بيّن الدَّلالة والدِّلالة.."[٢]

وفي الحديث: "قلنا لحذيفة: أخبرنا برجل قريب السمت والهدي والدَّل من رسول الله ﷺ حتى نلزمه، فقال: ما أحد أقرب سمتًا ولا هديًا ولا دلًّا من رسول الله ﷺ حتى يواريه جِدارُ الأرض من ابن أم عبد. فسره الهروي في الغَرِيبَين، بأنه بمعنى السكينة وحسن المنظر. وفي الحديث أن أصحاب ابن مسعود كانوا يرحلون إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فينظرون إلى سمته وهديه ودَلّه، فيتشبهون به، قال أبو عبيد:" فإن السمت يكون بمعنيين: إما أرادوا هيئة الإسلام، أو طريقة أهل الإسلام ... قال سيبويه: والدليلي عِلْمُه بالدلالة، ورسوخه فيها. وفي حديث علي رضي الله

---

[١] ينظر: الرازي، محمد ابن عمر، **التفسير الكبير**، (لبنان، دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م)، ج١٣، ص٥٣.

[٢] الأزهري، **معجم تهذيب اللغة**، ج٢، ص١٢٢١، ١٢٢٢، ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٢، ص٢٥٩، ٢٦٠، والمقري، **المصباح المنير**، ص١٢٦، ومجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ص٣٠٤.

عنه، في صفة الصحابة: "ويخرجون من عنده أَدِلَّة، فيدُلون عليه الناس"، بمعنى يخرجون من عنده فقهاء، فجعلهم أنفسهم أدلة مبالغة."[١]

وأدلى بحجته أي احتج بها وهو يدلي برحمه، أي يمت بها وأدلى بماله دفعه إليه.[٢]

فالدلالة لغة تدور حول إبانة الشيء، وظهوره بأمارات تتعلمها.

٢ . **مفهوم الدلالة** في الاصطلاح:

الدلالة؛ "ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكناية، والعقود في الحساب، سواء كان ذلك بقصد أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حيّ، قال تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ [سبأ:١٤]. أصل الدلالة مصدر كالكتابة والإمارة. والدال: من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة، كعالم وعليم، وقادر وقدير، ثم يسمى الدَّل والدَّليل دِلالة، كتسمية الشيء بمصدره."[٣]

والدلالة اللفظية الوضعية: كون اللفظ متى أطلق أو تخيل فُهم منه معناه للعلم بوضعه، فينقسم إلى: المطابقة، والتضمين، والالتزام، فاللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمين إن كان له جزء، وعلى ما يلازمه على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة وعلى أحدهما بالتضمين وعلى قابل العلم بالالتزام.[٤]

فالدلالة في الاصطلاح: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، ويُعرف

---

[١] ابن منظور، **لسان العرب**، ص١٨١، ١٨٢، والفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص١٠٧٥، ١٠٧٦.

[٢] ينظر: الرازي، **مختار الصحاح**، ص٢٠١.

[٣] الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص٢٦١، والفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج١، ص٦٠٥، والكفوي، **الكليات**، ص٤٣٩.

[٤] ينظر: المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص١٦٧، والجرجاني، **التعريفات**، ص٩٢، والميداني، **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة**، (دمشق، دار القلم، ط١٥، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م)، ص٢٦-٣٣.

الشيء الأول بالدَّال والثاني بالمَدْلول.[١]

٣ . علم الدلالة: يعرف بأنه دراسة المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، والذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز؛ حتى يكون قادرًا على حمل المعنى[٢].

إن اللغويين العرب قد أولوا اللغة العربية أقصى اهتمامهم، وقدموا بالتالي الملاحظات المتعددة والقيمة حول قضايا اللغة، وكانت لهم جهود هائلة في مجال دراسة اللغة، وأصول اللغة ولمّ شتاتها، واستنباط أحكامها[٣].

والمعنى على هذا النحو هو الذي يحمل مفهوم القصد، ويوضح الأستاذ "إبراهيم أنيس" تعريفًا للدلالة منطلقًا من مفهوم المركز والهامش، فيبين أن الناس عندما يجمعهم مكان يضم خلفياتهم المتعددة ومصالحهم المتنوعة، فيترك ذلك أثرًا قويًا في فهمهم للألفاظ، ومع تنازلهم عن الفروق التي تلون الدلالات اللفظية، يتكون قدر مشترك من الدلالة، هو ما يسجله اللغوي في معجمه، وتسمى بالدلالة المركزية[٤].

إن الدراسات اللغوية والدلالية لم يعرف لها شكلًا منظمًا، إلا في نسق حضاري يرقى بها نحو التجريد، فتقيم القوانين، ويعود بها نحو المعاينة، فتربط بين الكلام بوصفه حدثًا، وبين الدلالة[٥].

---

[١] ينظر: الجرجاني، **معجم التعريفات**، ص٩١.

[٢] ينظر: يونس، محمد بن محمد، **مدخل إلى اللسانيات**، (لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م)، ص١٧، وعياشي، منذر، **اللسانيات والدلالة**، (حلب، مركز الإنماء الحضاري، ط١، ١٩٩٦م)، ص٣٢، ذكر فيه:" أن مصطلح "علم الدلالة" يختلف في دلالته الإجرائية عن المعنى في دلالته الحدوثية".

[٣] ينظر: االبهنساوي، حسام، **أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث**، (مصر، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م)، ص٢.

[٤] ينظر: أنيس، إبراهيم، **دلالة الألفاظ**، (مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٨٤م)، ص١٠٦.

[٥] ينظر: عياشي، **اللسانيات والدلالة**، ص٩١.

ثانياً . مفهوم السياق في اللغة والاصطلاح:

١ ـ مفهوم السياق في اللغة:

تتفق المعاجم العربية على معنى هذه اللفظة فنجد أن أصل "(السوق) السين، والواو، والقاف، أصل واحد، وهو: حدود الشيء، ويأتي بعدة معانٍ، وهي:

أ. الموت: "السوق: معروف، يقول: سُقناهم سوقًا وتقول: رأيت فلانًا يسوق سُووقًا؛ أي ينزع نزعًا، يعني الموت.. ويقال: فلان في السياق أي في النزع. ومنه حديث ابن شماسة المهري، قال حضرنا عمرو بن العاص، وهو في سياقة الموت، فبكى طويلًا، وحول وجهه إلى الجدار.."[١]

ب. المهر أو الصداق: "ساق فلان من امرأته: أي أعطاها مهرها، ويقال: سقتُ إلى امرأتي صَدَاقها، وأسَقْتُه. والسُّق مشتقة من هذا، لما يُساق إليها من كل شيء، وإن كان دراهم أو دنانير؛ لأن أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما، والجمع أسواق. والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، وإنما سميت بذلك؛ لأن الماشي ينساق عليها.

ج. سوق الماشية: يقال ساقه يسوقه سوقًا. والسَّيِّقه: ما استيق من الدوابّ، وساق الإبل وغيرها يسوقها سَوْقًا وسياقًا،... وقد انْساقت وتساوقت الإبل تساوقًا، إذا تتابعت، وكذلك تقاودت، فهي مُتَقاوِدة ومُتَساوِقة. كما في حديث أم بعضها يسوق بعضًا."[٢]

---

[١] رواه مسلم، **في صحيح مسلم**، مراجعة عبد الباقي، محمد بن فؤاد، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م)، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله والهجرة والحج، رقم (١٢١)، ج١، ص١١٢.

[٢] الأزهري، **معجم تهذيب اللغة**، ج٢، ١٥٩٩، ص١٥٩٨، ١٥٩٩، وابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٣، ص١١٧، والرازي، **مختار الصحاح**، ص٣٢٢، وابن منظور، **لسان العرب**، ج٥، ص٣٧٦، ٣٧٧، والمقري، **المصباح المنير**، ص١٨٥، والفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص٩٦٢.

د. والسوق: "الموضع الذي يجلب إليه المتاع والسلع، للبيع والابتياع."[١]

هـ. المساق: اسم الزمان واسم المكان، دون المصدر، كما جاء في خطبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه " كل امرئٍ ملاق ما يفر منه في فراره، والأجل مُساقُ النفس، والهرب من آفاته[٢] يعني المكان، الذي تساق إليه، أو الزمان الذي ينتهي سوقها إليه. لذا نجد أن أغلب التعريفات تدور حول معنى التتابع، والجمع، والاتصال، والتسلسل.[٣]

٢ ـ مفهوم السياق في الاصطلاح:

سياق الأمر: طريقة سوقه للمؤثرات والقرائن المحيطة والدلالات التي ترجع معنى على غيره، وهذا المعنى الذي جاء في تفسير لفظة (الأحوذي) من حديث عائشة رضي الله عنها في مناقب عمر رضي الله عنهما: "الأحوذي الجاد المنكمش في أموره، الحسن السياق للأمور"[٤] فالسياق اصطلاحيًّا: "هو علاقة لغوية وخارج نطاق اللغة يظهر فيها الحدث الكلامي."[٥]

فلفظ السياق يراد به المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية، سواء أكانت كلمة، أو جملة، في إطار من العناصر اللغوية، أو غير اللغوية.[٦]

---

[١] مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ص٤٨٣، والكفوي، **الكليات**، ٥١٨.

[٢] ينظر: الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، **المعجم الكبير**، مراجعة حمدي بن عبد المجيد السلفي، (الموصل، مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م)، ج١، رقم١٦٧، ص٩٦.

[٣] ينظر: المطيري، عبد الرحمن بن عبد الله، **السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير**، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، (السعودية، جامعة أم القرى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م)، ص٦٣.

[٤] ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق محمود بن محمد الطناحي وآخرين، (القاهرة، المكتبة الإسلامية، ط١، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م)، ج١، ص٤٥٧.

[٥] بيبية، علية، **السياق ودلالته في القصص القرآني قصة موسى أنموذجاً**، (الأمارات العربية المتحدة، دار العرب، دار نور حوران، د.ط، ٢٠١٧م)، ص١٢.

[٦] ينظر: الطلحي، ردة الله بن ردة بن ضيف الله، **دلالة السياق**، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، (السعودية، جامعة أم القرى، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م)، ص٤٠.

ويرى هاليداي أن السياق بمثابة النص المصاحب للنص الظاهر، ويمثل الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية.[١]

لقد أكسبت نظرية فيرث[٢] أو النظرية السياقية للدرس اللغوي، حين أصبح تناول المعنى يعني

تناولًا لنوعين من السياق، السياق اللغوي والسياق غير اللغوي، فيميز بين صورتين من السياق:

١. سياق المقال، أو سياق النص (السياق اللغوي).

٢. سياق المقام، أو سياق الموقف (السياق غير اللغوي).

وبهذا المعنى "يصبح للعلم الجديد، الذي يأتي من امتزاج النحو والمعاني "مضمون"؛ لشدة ارتباطه بمعاني الجمل، ومواطن استعمالها."[٣]، وهناك مصطلح ثالث وهو:

٣. سياق الثقافة، وهو السياق الذي تدخل تحته السياقات الأخرى، لغوية أو غير لغوية.[٤]

---

[١] ينظر: عوض، يوسف بن نور، **علم النص ونظرية الترجمة**، (السعودية، دار الثقة، ط١، ١٤١٠م)، ص٢٩.

[٢] ينظر: بصل، **ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث**،(جامعة سمنان الإيرانيّة بالتعاون مع جامعة تشرين السوريّة، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، ١٣٩٣هـ، ٢٠١٤م)، مج٥، ع١٨، ص١، تم ذكر دراسة السياق وتأثيرها على المعنى، عند علماء اللغة قديمًا وحديثًا، حتى صارت نظرية متكاملة، على يد العالم اللغوي الإنجليزي "جون فيرث"، أحد رواد البحث اللساني، والقطب المؤسس للمدرسة الاجتماعية الإنجليزية في لندن، حيث تدرس بحوثه ونظريته اللغوية الحديثة، حول السياق بنوعيه (اللغوي) الذي يهتم بالصوت، والنحو، والصرف، و(الحالي أو المقام) الذي يشتمل على، المكان، والأشخاص، وغاية الخطاب، فجعل للسياق الدور في تجميع المعاني المراد فهمها، وتوصيلها إلى ذهن القارئ، وفق قرائن لفظية ومعنوية، توصل بالمعنى إلى الهدف المقصود، وتومي، غنية، **السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث**، (جامعة بسكرة، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ٢٠١٠م)،ع٦، ص١، ٢.

[٣] ديبوجراند، روبرت، **النص والخطاب والإجراء**، **ترجمة**، ترجمة تمام بن حسان (مصر، عالم الكتب، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م)، هامش ص٩١، وحسان، تمام، **اللغة العربية معناها ومبناها**، (المغرب، دار الثقافة، ١٩٩٤م)، ص٣٣٧، وبيبية، **السياق ودلالته في القصص القرآني**، ص١٥.

[٤] ينظر: الطلحي، **دلالة السياق**، ص٤١.

والملاحظ من خلال التعريفين (اللغوي والاصطلاحي) للسياق، أن هناك علاقة مشابهة بينهما، ففي اللغة تتابعٌ للجمل، الواحدة منها تتبع السابقة، وتسبق اللاحقة، وفق نظام نحوي، كما تحيط بها ملابسات خارجية تحدد ملامحها الدقيقة وطرقها في توصيل الرسالة[١]، فالسياق لغة هو: الغرض ومقصود المتكلم من إيراد كلامه، في نظم لفظي للكلمة، واصطلاحاً هو: ما يتصل بالكلمة من ظروف وأحداث ورد فيها النص بشأنها، وكلاهما محيط مؤثر في معنى اللفظة.

٣ . السياق ومقتضى الدلالة (السياق والمعنى):

والحق أن الأسبقية في تحديد دلالة السياق ترجع إلى الجرجاني، حينما تكلم عن بيان دور (نظم الكَلِم) في اقتفاء آثار المعاني، وتَرتُّبها على حسب ترَتُّب المعاني في النفس، فهو نظم يُعبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضَم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق، فيكون لوضع كلٍّ في موضعه سبب يدعوا لذلك، لا يصلح معه وضعه في مكان آخر.[٢]

كما يوضح الجرجاني أن تفاضل الألفاظ، من خلال الخصوصية في كيفية النظم، والتأليف، والترتيب، والنسج، والصياغة، ووصولًا إلى الفصاحة.[٣]

---

[١] ينظر: بيبية، **السياق ودلالته في القصص القرآني**، ص٦.

[٢] ينظر: الجرجاني، عبد القادر بن عبدالرحمن بن محمد، **دلائل الإعجاز**، تعليق محمد بن رشيد بن رضا، (مصر، دار المنار، ط٣، ١٣٦٦هـ)، ص٤٠، ٤١، والجنابي، سيروان بن عبد الزهرة بن هاشم وآخرين، **جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية: النص القرآني أنموذجًا**، (جامعة الكوفة، مجلة مركز دراسات الكوفة، ٢٠١١م)، ع ٩، ص٣٥.

[٣] ينظر: الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تعليق محمود بن شاكر، ص٣٥-٣٧، تعليق محمد بن رضا، ص٢٩، ٣٠.

إن المنشأ الأول للغة هو ما أدرك أولًا بالحس، مع إدراك العقل البشري البسيط للمدلولات الخارجية، وبالتالي أخذت موصوفًا، ومتى أُخذ موصوفًا بسائر المقولات أُخذت مدلولًا عليه باسم مشتق، فظهرت المفردات بدلالتها الأولية.[١]

إن السياق هو الحكم في تحديد دلالة المعنى وتوجيهه، فالكلمات من حيث المفهوم المعجمي، لها دلالة على معانٍ كثيرة.

والذي يحدد هذه المعاني ويفصلها هو السياق في مورد النص؛ لذا فاللغويون يصفون المعنى المعجمي للكلمة، بأنه يحتمل أكثر من معنًى واحد، في حين يصفون المعنى السياقي لها، بأنه لا يحتمل غير معنًى واحد.[٢]

إن المعنى السياقي يتعلق بأمرين مرتبطين ببعضهما البعض، يكمل أحدهما الآخر:

١. إن معنى اللفظ مرتبط بالسياق اللغوي، وهو جزء من معنى السياق الوارد فيه.

٢. إن السياق لا يكون إلا بوجود النص، وإن معرفة معناه تقوم على أساس معرفة معاني الألفاظ، التي تربطها علاقات قوية، وبناء متماسك.

ولذا نرى أن المعنى السياقي للعبارة يتألف من معاني الألفاظ، التي تتكون منها، وأي لفظة ليس لها إلا معنى واحد يحدده السياق؛ لأن:

١. السياق يحتوي على قرائن معينة على اختيار معنى واحد من بين المعاني المختلفة.

٢. السياق يرتبط بمقام معين يحدد المعنى في ضوء القرائن الحالية.[٣]

---

[١] ينظر: الفارابي، أبو نصر، **كتاب الحروف**، تحقيق محسن بن مهدي، (لبنان، دار المشرق، د.ط، ١٩٨٦م)، ص٧٢، ٧٣.

[٢] ينظر: زوين، علي، **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث**، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، د.ط، ١٩٨٦م)، ص١٨٥.

[٣] ينظر: حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص٣٦٥.

المطلب الثاني: أركان السياق وأنواع دلالاته:

أولاً . أركان السياق: يتكون السياق من مجموعة من الأركان وهي:

الركن الأول: الخطاب:

يعتبر الخطاب النص اللغوي بعد استعماله، ووسيلة موصلة للهدف البلاغي بين المتخاطبين.

ويرتبط في داخله ترابطًا تعلقيًّا، ويرتبط بالواقع الخارجي، من حيث المطابقة وعدمها، كما يرتبط الخطاب بالمتخاطبين، من حيث تكوين المفردات التي تشير إلى موجودات خارج اللغة، ومن حيث كيفية تخيل الصور الذهنية، عند تلقيه كلام المتكلم.[١]

الركن الثاني: مصدر الخطاب:

فالمتحدث يشرع في الحديث عندما يوجد ما يحفزه إلى الكلام، فقد ترد على ذهنه فكرة، أو يُطْرح عليه سؤال، يدعوه للرد عليه، فيلجأ إلى اللغة، باعتبارها علامات متواضعًا عليها من قبل المجتمع، تحقق رغبته في توصيل كلامه إلى الغير،.. مختارًا منها حاجته في عملية التخاطب، ومراعيًا لقواعد الصرف والنحو التي توفرها اللغة، ومطبقًا عملية (تأليف الكلام).[٢]

الركن الثالث: متلقي الخطاب (المخاطَب):

ويظهر دور المخاطَب في عملية الخطاب، بتفكيك الرسالة اللغوية، وله دور إيجابي بصفته مكملًا لعملية التركيب، التي قام بها المخاطب، فلا يُتَصور أن يكون هناك اجتياز لعملية تخاطب دون المرور بمرحلتي التركيب والتفكيك، مثل قوله تعالى: ﴿وَما تِلكَ بِيَمينِكَ يا موسى * قالَ هِيَ

---

[١] ينظر: يونس، محمد محمد، **المعنى وظلال المعنى**، (لبنان، دار المدار الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٧م)، ص١٥٨، ١٥٩، وبيبية، **السياق ودلالته في القصص القرآني**، ص٤٢.

[٢] ينظر: يونس، **المعنى وظلال المعنى**، ص١٥٢، وبيبية، **السياق ودلالته في القصص القرآني**، ص٤١.

عَصايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيها وَأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمي وَلِيَ فيها مآرِبُ أُخر﴾ [طه:١٨]، فحرص موسى اعلى إطالة الخطاب مع الله، جعله يطيل في وصف عصاه مع أن المطلوب هو بيان ما بيمينه فقط.[١]

الركن الرابع . المساق:

وهو جملة من الملابسات والأحوال والظروف التي تتكاثف جميعًا في التأثير في دلالة الخطاب الحرفية، وقد يستخدم المتكلم أحيانًا الإشارات والإيماءات، وتلعب شخصيات المتخاطبين دورًا كبيرًا في عملية التخاطب، كثقافة المتخاطبين وتاريخهم الاجتماعي، وعلاقاتهم، والظروف الزمانية والمكانية (القرائن الخارجة عن التعبيرات اللغوية الحرفية)، كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن:٦٠]، فالخطاب في هذه الآية خارج عن الدلالة اللغوية الحرفية؛ حيث أن الاستفهام جاء للنفي، وهذا يتأتى بالعلم بحال المخاطبين.[٢]

ويتضمن هذا الركن أيضًا معرفة أسباب النزول، ومعرفة أحوال النبي ﷺ وأحوال أصحابه وسيرته، ومعرفة المكي والمدني، وجميع أحوال نزول القرآن الكريم، وهذا له أثره في فهم المعنى.

ويبين ابن تيمية أهمية سبب النزول في تحديد المعنى بقوله: "فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب."[٣]

الركن الخامس . ألفاظ الخطاب ودلالات تراكيبه:

وهذا الركن يتكون من ثلاثة أمور، هي أركان يستند عليها:

الأمر الأول: المفردات:

---

[١] ينظر: يونس، **المعنى وظلال المعنى**، ص١٥٥-١٥٧، ينظر: بيبية، **السياق ودلالته في القصص القرآني**، ص٤٢.

[٢] ينظر: يونس، **المعنى وظلال المعنى**، ص١٦٠-١٦٢، وبيبية، **السياق ودلالته في القصص القرآني**، ص٤٤.

[٣] ابن تيمية، تقي الدين أحمد، **مجموع فتاوي ابن تيمية**، تخريج عامر الجزار وآخرين، د.ط، (د.م، د.ت)، ج١٣، ص١٨١.

وفي هذا ما قاله ابن جني في باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني:" اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه، وتلقَّته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته. قال الخليل: كأنهم توهَّموا في صوت الجندب استطالة ومدًّا، فقالوا: "صَرَّ" وتوهموا في صوت البازي تقطيعًا فقالوا: "صَرْ صَر"

وقال سيبويه: في المصادر التي جاءت على الفعلان: أنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو النقزان والغليان والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال."[١]

الأمر الثاني: هيئة الكلمة: ويكون ذلك بمعرفة تصريف الكلمة واشتقاقها، فتتعد المعاني، وهو أهم من معرفة النحو؛ لأن التصريف نظر في ذات الكلمة، والنحو نظر في عوارض الكلمة.[٢]

الأمر الثالث: النظر في نظم الجملة الواحدة، ثم في نظم الجمل، وعلاقتها ببعض:

لقد كان لجهود علماء النحو والبلاغة فائدة جليلة في دراسة الجملة، ونظرًا لامتزاج الدراسات النحوية بالمسائل البلاغية، جعل من الصعب الفصل لدارس الجملة أن يفصل بين النحو والبلاغة، أو يحدد بينهما تحديدًا تامًّا.[٣]، فيقتضي على المفسر البدء بتحقيق الألفاظ المفردة، وتحصيل معانيها، ثم المركب، والنظر في التفسير بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها[٤].

---

[١] ابن جني، أبي الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق الشربيني شريدة، (مصر، دار الحديث، د.ط، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م)، ج٢، ص١٥١، وفاخر، أمين محمد، **نظريات ابن جني في دلالة الألفاظ وموقف المحدَثين**، (جامعة قطر، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، ع١، ص١٩٥، سمى هذه النظرية "مناسبة الألفاظ للمعاني".

[٢] ينظر: العكبري، مجد الدين عبد الله الحسين، **اللباب في علل البناء والأعراب**، تحقيق محمد عثمان، (لبنان، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٩م)، ص٤٢٧، ذكر فيه تعريف التصريف بأنه: تغيير يطرأ على الحروف الأصلية للكلمة، بالزيادة أو النقصان أو الأبدال حسب المعاني الخاصة بها.

[٣] ينظر: أبي موسى، محمد حسنين، **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية**، (مصر، دار الفكر العربي، د.ط، د . ت)، ص٢٦٩.

[٤] ينظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ص٤٠٣، وبيبية، **السياق ودلالته في القصص القرآني**، ص٤٣.

ثانياً . أنواع دلالات السياق في القرآن:

القرآن الكريم يحتوي على سياقات متعددة، فهناك سياق يضاف إلى مجموعة من الآيات، التي تدور حول غرض أساسي واحد، وهناك سياق يقتصر على آية واحدة، وقد يمتد السياق ليشمل السورة كاملة، وقد يطلق السياق على القرآن بأجمعه، وفيما يلي بيان لتلك الأنواع السياقية:

النوع الأول: سياق الآية:

هذا النوع يرتبط بالغرض من الآية، فإذا كان هناك اختلاف في معنى الآية، أو حصل لفظ مشترك، فإننا ننظر في السياق، فمثلًا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيم﴾ [النساء:٢٥]، فلفظ الإحصان الذي يطلق على الإسلام، والعفاف، والحرية، والتزويج[١] جاء في هذه الآية بمعنى التزويج، فالمراد عند ابن كثير بالإحصان هنا التزويج؛ لأن السياق يدل عليه، وسياق الآية كلها عن الفتيات المؤمنات.[٢]

النوع الثاني: سياق الجملة:

هذا النوع متحدٌّ مع الغرض، ويتضح كثيرًا في سياق القصص، ويكون الترجيح بناء على سياق النص، فمثلًا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج:٣]، فيرى النحاس: "في معناه قولان: قول ابن زيد: يَبتدئ خلق الخلق، ثم يعيدهم يوم القيامة، وقول ابن عباس: يُبدئ العد في

---

[١] ينظر: الشنقيطي، محمد الأمين محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (السعودية، الدار العالمية، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م)، ج١، ص٣٤١.

[٢] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٣٥٤.

الدنيا، ثم يعيده عليهم في الآخرة. وقال أبو جعفر: وهذا أشبه بالمعنى؛ لأن سياق القصة أنهم أُحرِقوا في الدنيا، ولهم عذاب جهنم[١].

النوع الثالث: سياق السورة:

وهذا السياق مرتبط بغرض السورة الرئيسي، وقد تنبه إليه العلماء والمفسرون، فتوصل ابن القيم في بحثه عن وجه مناسبة الأمثال الواردة في سورة التحريم، فبين أن في هذه الأمثال، من الأسرار البديعة، ما يناسب سياق السورة، فقد سيقت في ذكر أزواج النبي ﷺ، والتحذير من تظاهرهن عليه، وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله ﷺ، ولم يردن الدار الآخرة لن ينفعهن اتصالهن برسول الله ﷺ، كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصال النكاح دون الإيمان[٢].

النوع الرابع . سياق القرآن:

ويقصد به المقاصد الأساسية والأغراض الكلية، التي تدور على جميع معاني القرآن الكريم، ولقد أشار إلى هذا النوع السياقي الزمخشري، في تفسيره لقول الله تعالى ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٣]، فاعترض على كون المراد بالنكاح الوطء لسببين: أحدهما أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن، لم ترد إلا في معنى العقد، والثاني فساد المعنى وأداؤه، بمعنى: الزاني لا يزني إلا بزانية، والزانية لا يزني بها إلا زان[٣]، فتنزه القرآن عن ذلك.

---

[١] ينظر: النحاس، أحمد محمد، **إعراب القرآن**، اعتنى به خالد العلي، (لبنان، دار المعرفة، ط٢، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م)، ص١٣٠١.

[٢] ينظر: ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبو بكر بن ايوب، **الأمثال في القرآن**، تحقيق سعيد بن محمد، (لبنان، دار المعرفة، د.ط، ١٩٨١م)، ص٢٦٦.

[٣] ينظر: الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، (لبنان، دار المعرفة، ط٣، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م)، ص٧١٩.

المطلب الثالث . أصول النظرية السياقية:

أولاً . السياق عند اللغويين:

لقد اعتنى اللغويون بمسألة تركيب الألفاظ مع بعضها البعض، وأشار إلى ذلك سيبويه في باب الاستقامة من الكلام، والإحالة إلى، المستقيم الحسن مثل: أتيتك أمس وسآتيك غدًا، والمستقيم الكذب مثل: حَمَلتُ الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه، والمستقيم القبيح فتضع اللفظ في غير موضعه، مثل: قد زيدًا رأيت، وكي زيدٌ يأتيك، والمحال: بأن تنقض أوَّل كلامك بآخره، مثل: أتيتك غدًا، وسآتيك أمس، والمحال الكذب مثل: سوف أشرب ماء البحر أمس.[١]

إن كلام العرب يرتبط بعضه ببعض، ويُعْرَف معنى الخطاب منه، باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فقد تقع اللفظة على معنيين متضادين؛ لأنه يتقدمها، ويأتي بعدها ما يخص أحد المعنيين دون الآخر، فما يراد حال التكلم إلا معنًى واحدًا.[٢]

فالسياق يحدد دلالة اللفظ الوارد فيه، والسابق على اللفظ، واللاحق به، يعد سياقًا للنص، وهو ما يحدد الدلالة، ويذكر ابن عصفور في حديثه عن معاني "مِنْ" فتكون زائدة ولابتداء الغاية والتبعيض ولاستغراق الجنس، والحرف لا يعطي في وقت واحد أكثر من معنى واحد في غيره.[٣] كما أشار ابن جني في باب نقض المراتب إذا عرض هناك عارض، فقد يتقدم المفعول به على الفاعل، ويتقدم الخبر على المبتدأ ويتقدم المضمر على الظاهر.. لارتباط السياق بالمعنى المراد[٤]

---

[١] ينظر: سيبويه، عمرو عثمان قنبر، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (مصر، مطبعة المدني، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، ج١، ص٢٥،٢٦.

[٢] ينظر: الأنباري، محمد قاسم، **كتاب الأضداد**، (لبنان، المكتبة العصرية، د.ط، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، ص٢.

[٣] ينظر: ابن عصفور، علي مؤمن محمد، **شرح جمل الزجاجي**، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، ج١، ص٥٠٠-٥١٠.

[٤] ينظر: ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٣٦٠-٣٦٦، وابن سراج، محمد سهل، **الأصول في النحو**، تحقيق عبد الحسين الفتلي، (لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م)، ج٢، ص٢٣٨.

ثانياً . السياق عند البلاغيين:

يرى البلاغيون إن المعاني لا حدود لها، بينما الألفاظ غير ذلك، فحكم المعاني تختلف عن حكم الألفاظ؛ لأن المعاني ممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة ومحدودة[١].

وأصناف الدلالات على المعاني من لفظ، وغير لفظ خمسة أشياءَ هي: "أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العَقْد، ثم الخَط، ثمَّ الحالُ التي تسمّى نِصْبةً، والنِّصبة هي الحال الدّالةُ، التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصِّرُ عن تلك الدَّلالات، ولكل واحدٍ من هذه الخمسة صورة بائِنة من صورة صاحبتها، وحليةٌ مخالفةٌ لحِلْية أُختها، وهي التي تكشف عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصِّها وعامِّها، وعن طبقاتها في السارّ والضارّ، وعما يكون منها لَغْوًا بَهْرَجًا، وساقطًا مُطَّرَحًا، فالإشارة واللفظ يشتركان معًا، ويبين أحدهما الآخر، وينوب أحدهما عن الآخر، وينقلان معاني خاصة يفهمها الناس كالإشارة بالطرف أو الحا[٢]

لقد احتفى البلاغيون بالقول المشهور "لكل مقام مقال" الذي ورد في بيت شعر نظمه الحطيئة، مخاطبًا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول فيه:

تحنن علي هداك المليك فإن لكل مقامٍ مقالا[٣]

---

[١] ينظر: الجاحظ، عمرو بحر، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (د.م، د.ط، د.ت)، ج١، ص٧٦.

[٢] ينظر: الجاحظ، **البيان والتبين**، ٧٦-٧٨.

[٣] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج٦، ص٤١٢، وهي مروية في أشعار العرب، وابن السكيت، **ديوان الحطيئة**، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م)، ص١٦٤، ودودو، محمد سالم، **كتاب الأمة. نظرية السياق في التراث الإسلامي محاولة في البناء**، (قطر، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م) ع١٧٣، ص٦٣، ذكر فيه أن البلاغيين جعلوا من المقولة الشهيرة هذه شعارًا لمراميهم.

ويبين بشر بن المعتمر ناقلًا عن الجاحظ" أهمية معرفة المتكلم لأقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، جاعلًا لكل طبقة من ذلك كلامًا، ولكل حالةٍ من ذلك مقامًا، فيقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[١].

ويوضح الجرجاني أن نظم الكلام فيه تتبع لآثار المعاني، وترتبها في النفس، فهو نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض[٢].

إن الحال عند البلاغيين وصف لحال الكلام ومقاماته، وحال المتكلم وحال المستمع، وإن الفصاحة والبلاغة، التي ينادي بها البلاغيون – كما عبر عنها الخطابي – هو قيام الكلام على ثلاثة أشياء: "لفظ حامل، ومعنى قائم، ورباط لهما ناظم."[٣]

ثالثاً . السياق عند المفسرين:

لقد اهتم المفسرون بالسياق غاية الاهتمام، فعرفوا التفسير بأنه "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية، والتركيبية، ومعانيها التي تبنى عليها حالة التركيب، وتتمات ذلك.[٤]، وهو بذلك يركز على علوم اللسان.

---

[١] الجاحظ، **البيان والتبين**، ص١٣٨، ١٣٩.

[٢] ينظر: الجرجاني، عبد القادر عبد الرحمن محمد، **دلائل الإعجاز**، تعليق محمود محمد شاكر، (القاهرة، مكتبة الخانجي، د.ط، د.ت)، ص٤٩.

[٣] الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، تحقيق محمد بن خلف الله بن أحمد وآخرين (مصر، دار المعارف، ط٣، د.ت)، ص٢٧، الخطابي هو صاحب الكلام المنقول في بيان إعجاز القرآن الكريم.

[٤] ينظر: أبو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، تحقيق عادل بن أحمد بن عبد الموجود وآخرين، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م)، ج١، ص١٢١.

كما يرى الزركشي بأن التفسير بمثابة العلم الذي يعرف به فهم كتاب الله المنزل على خاتم المرسلين، مبينًا معانيه، ومستخرجًا أحكامه وحكمه من علوم اللغة والنحو والتصريف والبيان وأصول الفقه والقراءات ومعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.[١]

وفي تفسير القرآن لدى المفسرين ثلاثة طرق؛ التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، فمن المفسرين من يرى بأن أصح الطريق إلى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في موضع فقد بُسط في موضع آخر، فإن لم يجد التفسير في القرآن، فالسنة فهي شارحة للقرآن، فإن لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ففي أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك؛ لما شاهدوا من القرائن والأحوال، ولفهمهم وعلمهم الصحيح، كالأئمة الأربعة، والخلفاء الراشدين، والأئمة المهدي[٢]

وهذه الطرق الثلاثة لتفسير القرآن، تعتمد على السياق بنوعيه، فاستقراء النصوص عند تفسير القرآن بالقرآن والسنة، تشمل القول، والفعل، والتقرير، كما يمثل سياق الموقف في أقوال الصحابة؛ لبروز القرائن في هذا النوع من التفسير، كأسباب النزول، التي تربط بين الوقائع.

رابعاً . السياق عند الأصوليين:

يعتبر الأصوليون من أحرص علماء الشرع في معرفة السياق؛ لكونه وسيلة إلى الوصول للمعاني، التي تكشف وتوصل إلى الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية، فقد أشار الشافعي إلى السياق بنوعيه، فتحدث عن سياق النص، وإن لم يسمَ بهذا المصطلح في عصره، مخبرًا أن الله خاطب العرب في كتابه بلسانها، على ما تَعْرِف من معانيها..[٣]

---

[١] ينظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ط١، ص١١.

[٢] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٢٠-٢٧.

[٣] ينظر: الشافعي، محمد بن إدريس، **الرسالة**، تحقيق أحمد بن شكري، (مصر، مطبعة مصطفى الحلبي،١٣٥٧هـ،١٩٣٨م)، ص٥١، ٥٢.

كما أشار إلى سياق المقام أو الحال، فبين "أن التكلم بالشيء تُعَرِّفُهُ بالمعنى دون الإيضاح باللفظ، كما تُعَرِّفُ الإشارة، فيكون عندها من أعلى كلامها، لانفراد أهل عِلْمِها ب."[١]

كما ذكر ابن القيم في فوائده: "وإن قرأه شاعر، فسيجد من الأبيات الفائقة، والأشعار الرائقة ما يزيد في ملكة اقتداره ومخزونه اللغوي، ورصيده من المعاني المنسجمة والمبتكرة، والاستشهادات المناسبة لمقام المقال، ومناسبة الأحوال."[٢]

وأفرد الغزالي في كتابه عنوانًا خاصًّا للسياق سماه (فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق الكلام ومقصوده) "كفهم تحريم الشتم والقتل والضرب من قوله تعالى: ﴿فَلا تَقُل لَهُما أُفٍّ وَلا تَنهَرهُما﴾ [الإسراء:٢٣]، وفهم تحريم إحراق مال اليتيم وإهلاكه من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء:١٠]"[٣]

ولقد أكد العز بن عبد السلام على وظائف السياق، في إعطاء المعنى الصحيح، موضحًا أن السياق يبيّن المجملات، ويرجح المحتملات، ويقرر الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال.

فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحًا، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذمًّا بعرف الاستعمال، مثاله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩]، أي الذليل المهان؛ لوقوع ذلك في سياق الذم، وكذلك قول قوم شعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود:٨٧]، أي السفيه الجاهل، لوقوعه في سياق الإنكار عليه.[٤]

---

[١] الشافعي، **الرسالة** ص٥٢.

[٢] ابن القيم، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبو بكر بن أيوب، **فوائد الفوائد**، (السعودية، دار ابن الجوزي، ط٧، ١٤٢٤هـ)، ص٩.

[٣] الغزالي، محمد بن محمد، **المستصفى من علم الأصول**، تحقيق حمزة بن زهير بن حافظ، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، د.ت)، ج٣، ص١٥٣.

[٤] ينظر: ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز، **الإمام في بيان أدلة الأحكام**، تحقيق رضوان مختار، (لبنان، دار البشائر، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، ص١٥٩، ١٦٠.

إن الأصوليين يعتبرون علم العربية علمًا مهمًّا بالنسبة للأصولي؛ نظرًا لتوقف معرفة دلالات الأدلة اللفظية من الكتاب، والسنة وأقوال أهل الحل والعقد من الأمة، على معرفة موضوعاتها، لغة، من جهة الحقيقة، والمجاز، والعموم، والخصوص، والإطلاق، والتقييد، والحذف، والإضمار، والمنطوق، والمفهوم، والإشارة، والتنبيه، والإيماء، وغيره مما لا يعرف في غير علم العربية.[١]

إن اللغة العربية من حيث هي ألفاظ دالة على معانٍ نظران:

أ. من جهة كونها ألفاظًا دالة على معانٍ مطلقة وهي الدلالة الأصلية، يشترك فيها جميع الألسنة.

ب. من جهة كونها ألفاظًا وعبارات مقيدة على معانٍ خادمة، وهي الدلالة التابعة، يختص بها لسان العرب في تلك الحكاية، وذلك الإخبار، فإن كل خبر يقتضي في هذه الجهة أمورًا خادمة لذلك الإخبار بحسب المخبر عنه والمخبر به، ونفس الإخبار في الحال والمساق، ونوع الأسلوب: من حيث الإيضاح، والخفاء، والإيجاز، والإطناب..[٢]

فالتعريفات والنصوص السابقة توضح أن اللغة قضية رئيسة عند الأصوليين، تقود إلى الدلالة التي ترتبط بالسياق في الإرشاد إلى الأحكام والأدلة.[٣]

---

[١] ينظر: الآمدي، علي محمد، **الإحكام في أصول الأحكام**، (السعودية، دار الصميعي، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م)، ج١، ص٢١، ٢٢.

[٢] ينظر: الشاطبي، إبراهيم موسى، **الموافقات**، (السعودية، دار بن عفان، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م)، ج٢، ص١٠٥.

[٣] ينظر: حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص٣٤٩، ٣٥٠، يشير إلى أن الأصوليين حتموا على من يتصدى لاستخراج الأحكام القرآنية تتبع "المقام" للفهم :(١. ألا يغفل عن بعض القرآن في تفسير بعضه، ٢. ألا يغفل عن السنة في تفسيره، ٣. أن يعرف أسباب النزول، ٤. أن يعرف النظم الاجتماعية عند العرب) ويرى المؤلف أن العناصر الأربعة هذه يمكن اختصارها في كلمة "مقام". والخالدي، صلاح عبد الفتاح، **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، (دمشق، دار القلم، ط٢، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م)، ص١٢٠.

المبحث الثالث: القصص القرآني: المفهوم والدلالة:

المطلب الأول: مفهوم القصص في اللغة والاصطلاح:

أولًا: القصص لغة: وردت لفظة قصة في عدة معانٍ لغوية، منها:

١. "قصَّ أثره، يَقُصَّه (قَصًّا وقَصِيصًا)، القص: اتِّباع الأثر، ويقال: خرج فلان قَصَصًا في أثر فلان وقَصًّا، وذلك إذا اقتص أثره، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [القصص:١١]، أي تتبعي أثره.

٢. والقصص: وهو الخبر المَقْصوص. والقاص: من يأتي بالقصة على وجهها، كأنه يتتبع معانيها وألفاظها.. وقيل القاص: يقص القصص لإتباعه خبرًا بعد خبر.

٣. القص: البيان، وقوله تعالى: ﴿نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ﴾ [يوسف:٣]، أي نبين لك أحسن البيان، قَصَّت الشاة أو الفرس: إذا استبان حملها أو ولدها.

٤. قص الشعر والظفر، يَقُصُّهما قَصًّا: قطع منهما بالمقَصّ، بالكَسْر، أَي المِقْراضِ.

٥. القصص: الصدر الشيء، أو وسطه، والقُصَّة من الفرس: شعر الناصية"[١]

وكل هذه المعاني اللغوية للكلمة لا تبتعد عن تتبع الأثر المادي.

---

[١] الأزهري، **معجم تهذيب اللغة**، ج٣، ص٢٩٧٦، والرازي، **مختار الصحاح**، د.ط، ص٥٣٧، ٥٣٨، وابن منظور، **لسان العرب**، ج٤، ص٥٣-٥٥، والزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق عبد الكريم العزباوي، (الكويت، التراث العربية، د.ط ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، ج١٨، ص٩٨-١٠٠، والمقري، **المصباح المنير**، ص٣١٥، والكفوي، **الكليات**، ص٧٣٤، والفيروزأبادي، **القاموس المحيط**، (القاهرة، دار الغد الجديد، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م) ص١٢٧٠، ١٢٧١، ومجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ص٧٦٦، ٧٦٧.

ثانيًا: القصص اصطلاحًا: نجد في كتب التفسير والمعاجم الاصطلاحية، أن اللفظة تأخذ اعتبارين: اعتبارًا لغويًّا مستمدًا من الحصيلة اللغوية، واعتبارًا دينيًّا من خلال مقاصد القرآن الكريم من القصص القرآني وأهدافه التي يرمي إليها.

قال المناوي: "القصص: تتبع الوقائع بالإخبار عنها شيئًا بعد شيء على ترتيبها في معنى قص الأثر، وهو اتباعه حتى ينتهي إلى محل ذي الأثر."[١]

وقصص القرآن: هو إخبار عن أحوال الأمم السابقة.[٢]

فالقصص: هي معرفة أحوال السابقين، الذين يعرفون منها ما كان عليه أسلافهم، وبعض مجاوريهم من الأحوال المأثورة، ووقائع أيامهم المشهورة، كقصة الفيل، وحرب البسوس...[٣]

فالقرآن الكريم أورد لفظ قصص على ما حدث به من أخبار القرون الأولى، حول الرسالات السماوية، وما حدث من صراع بين قوى الحق والضلال، وبين مواكب النور، وجحافل الظلام.[٤]

المطلب الثاني: أنواع البناء في قصص القرآن الكريم:

لم تلتزم القصة القرآنية طريقًا واحدًا من حيث الطول والقصر، والإجمال والتفصيل، فهناك القصة المجملة، كما في قصة نوح في سورة الأعراف، وقصة موسى في سورة هود، فأجملت كل من السورتين ما فصلته الأخرى.

---

(١) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص٢٧٢، والفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج٤، ص٢٧١.

(٢) ينظر: القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ص٣٠٠.

(٣) ينظر: الهاشمي، أحمد، **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، (لبنان، مؤسسة المعارف، د.ط، د.ت)، ج٢، ص٢٢.

(٤) ينظر: الخطيب، **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، ص٤٠، وحسن، أحمد بن عطا بن إبراهيم، **البناء الفني في القصة القرآنية قصة يوسف نموذجاً**، (مصر، دار غريب، ط٢، ٢٠٠٧)، د. ط، ص٧-١٣.

وهناك القصة المفصلة، حيث فصلت سورة يونس قصة موسى، وأجملت في قصة نوح. وهذا الإجمال، والتفصيل يتوافق مع الغرض الذي سيقت القصة من أجله.

وقد تُذكر بعض القصص في القرآن مرة واحدة، وبعضها تذكر أكثر من مرة، وهذا أيضًا مرتبط بغرض القرآن، فما ذكر أكثر من مرة من القصص في كتاب الله، كان الغرض متعلق بالدعوة إلى الله، وما ذكر منها مرة واحدة، يرتبط بسمو الحقائق والغايات. هذا باستثناء قصة وحيدة خرجت عن هذه القاعدة، وهي قصة آدم، التي ذكرت أكثر من مرة، ولم يرتبط غرضها بالدعوة، وإنما ارتبطت بجوانب فطرية في حياة الإنسان.[١]

وهذا يقودنا إلى التمييز بين شكلين من البناء القصصي في القرآن:

الشكل الأول . القصة المغلقة:

وهي القصة المكتملة، والتي جاءت في موضع قرآني واحد، في سورة قرآنية واحدة، مثل قصة يوسف في سورة يوسف، وقصة سليمان والملكة بلقيس.[٢]

الشكل الثاني: القصة المفتوحة:

وهي القصة التي ذكرت أكثر من مرة في كتاب الله، وبتنوعات إخبارية وسردية، لم تذكر في سورتين بطريقة واحدة، من حيث التفرد في المشاهد، فقد يقتضي السياق قضايا مشتركة بينهما ولكن على أساليب متنوعة.[٣]

المطلب الثالث: دلالة الألفاظ في القصص القرآني:

---

[١] ينظر: عباس، فضل حسن، **قصص القرآن الكريم**، (الأردن، دار النفائس، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠١٠م)، ص٧٥-٧٩، والسامرائي، فاضل بن صالح، **التعبير القرآني**، (الأردن، دار عمار، ط٤، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م)، ص٢٨٤.

[٢] ينظر: عباس، **قصص القرآن الكريم**، ص٦٩.

[٣] ينظر: عباس، **قصص القرآن الكريم**، ص٧٠، حسن، **البناء الفني في القصة القرآنية**، ص١٤.

ترتبط الدلالات بمعانيها، ولا تتضح دلالة اللفظ بمعزل عن دلالة الجملة أو العبارة، ولا يكون التعبير عن الغرض بكلمة مفردة، ومن هنا تتنوع الدلالات وهي:

أولًا: الدلالة المركزية:

وتعني مباحث الحقيقة، أو الدلالة الحقيقية، وبنى عليها الأصوليون أحكامهم الفقهية في حقيقة الكلمة في تراكيبها المختلفة، ويؤسس الآمدي مفهومها اللغوي والاصطلاحي، فيصف الحقيقة في اللغة بأنها مأخوذة من الحق، و هو الثابت اللازم، وهو نقيض الباطل ... وأما في اصطلاح الأصوليين، فإن الأسماء الحقيقية قد يطلقها الأصوليون على لغوية وشرعية، واللغوية تنقسم إلى وضعية وعرفية، كما يوضح الكلام بأنه: اللفظ المستعمل فيما وضع له أولًا في اللغة، كالأسد المستعمل في الحيوان الشجاع العريض الأعالي، والإنسان في الحيوان الناطق.[١]

وقد تكون الحقيقة عرفية، عندما يتعارف الناس على اقتران دال بمدلوله، وهو انتقال اللفظ من الوضع الأصلي إلى غيره، بغلبة الاستعمال، بحيث يصير الوضع الأصلي مهجورًا، وما انتقل إليه مشهورًا[٢]، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ البُكمُ﴾ [الأنفال:٢٢]، فحمل لفظ الدابة على كل ما يدب في الأرض، ولكنها خُصت عرفًا بذوات الأربع.

وقد تكون الحقيقة شرعية، إذا كان الواضع هو الشارع، فالألفاظ المستعملة في الشرع، أصلها مرتبط باللغة، ومعانيهما مشتركة، كلفظ (الصلاة) حيث التصق اسمها بالدلالة الشرعية، ثم انتقلت دلالتها من الوضع اللغوي، إلى معنى ذو دلالة شرعي.

---

[١] ينظر: الآمدي، **الأحكام في أصول الأحكام**، ج١، ص٤٦.

[٢] ينظر: السمرقندي، علاء الدين، **ميزان الأصول في نتائج العقول في أصول الفقه**، تحقيق عبد الملك السعدي، (السعودية، رسالة دكتوراه، ٢٠١٩م)، ص٣٧٦.

ثانيًا ـ الدلالة الهامشية: وهي أن يفتعل معنى، ثم يفضي ذلك المعنى إلى معنى آخر.[١]

فيرى إبراهيم أنيس أن التطور الدلالي جاء نتيجة أسباب منها، الاستعمال، فالألفاظ تستخدم عبر الأجيال، فيغرم الناس بمعاني الألفاظ الهامشية، ويرث الجيل التالي ما شاع من دلالات هامشية ومركزية. ومع توالي الأيام يتضخم هذا الانحراف وتصبح الدلالة الهامشية شائعة لدى الجيل الوارث معتقدًا أن للكلمة دلالتين مع أن الربط بينهما ضعيف.[٢]

ولكن الأصوليين لهم موقف واضح في التعامل مع هذه الدل[٣]

ثالثًا. الدلالة الإيحائية: وهي تحمل المعنى الإيحائي، أي ذلك النوع من المعنى الذي يتعلق بكلمات ذات مقدرة خاصة على الإيحاء نظرًا لشفافيتها.

ويتعلق بهذا المعنى ثلاثة أنواع من التأثيرات، أولها: التأثير الصوتي مثل: أصوات الحروف (صليل السيوف، مواء القطة،)، وثانيها: التأثير الصرفي مثل: الكلمات المركبة (صهصلق من صهل وصلق)، وثالثهما: التأثير الدلالي مثل: الكلمات المجازية.[٤] وهذا نجده في قول الله تعالى

---

[١] ينظر: القنوجي، صديق بن حسن، **أبجد العلوم**، (سوريا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ط، ١٣٠٧هـ، ١٨٨٩م)، ص١٣٠.

[٢] ينظر: أبو شريفة، عبد القادر، وآخرون، **علم الدلالة والمعجم العربي**، (د.م، دار الفكر، د.ط، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، ص٨١.

[٣] ينظر: الآمدي، **الإحكام في أصول الأحكام**، ص٢٨، ج٣، ذكر فيه ما أثبته اللغويون والبلاغيون والأصوليون في مباحثهم، بوجود المجاز والاستعارة والكناية متضمنة في الدلالة الهامشية في اللغة العربية وفي القرآن الكريم، كما اتبع الأصوليون حمل اللفظ على ظاهره، وأخذ ما هو عليه من القرآن والسنة، وهذا ما أشار إليه الآمدي، ودعى على وجوب حمل اللفظ لما يوافق الشرع؛ لأن النبي ﷺ إنما بعث لتعريف الأحكام الشرعية، التي لا تعرف إلا من جهته، لا لتعريف ما هو معروف لأهل اللغة.

[٤] ينظر: عمر، أحمد بن مختار، **علم الدلالة**، (مصر، عالم الكتب، ط٥ ،١٩٩٨م)، ص٣٩-٤١، يذكر فيه دخول المعنى المنعكس في التأثير الدلالي المتعلق بالكلمات المجازية، وهو متضح بصورة أكبر في الكلمات ذات المعاني المكروهة مثل "حانوتي"، وهنا ينبغي التلطف في التعبير عنها لجعلها أكثر قبولاً.

﴿إِن كُنتُم لِلرُّؤيا تَعبُرونَ﴾ [يوسف:٤٣]، فكلمةَ "تَعبُرونَ" مأخوذة من عبر النهر؛ أي: انتقل من شاطئ إلى آخر، وعبر العين للدمع، وعبر القوم: إذا ماتوا كأنهم عبروا قنطرة الدنيا.[١]

رابعًا. الدلالة النفسية: وهي مرتبطة بالنظام النفسي والعقلي للإنسان، الذي يختلف عن الجسم والنظام المادي المحسوس، وتكتسب الدلالة النفسية دلالة عند الملاحظين في معاني الألفاظ، يستمدونها من خيالهم، لارتباطها بالمعاني النفسية، ولا تتميز بالعمومية [٢]

فكلمة (السلطان) مأخوذة من السليط، وهو الزيت الذي يوقد به السُّرج قديمًا، حيث يوضع الزيت في وعاء مغلق، يخرج منه فتيلة توقد، فتمتص من الزيت فتضئ؛ لذلك سميت الحجة سلطانًا؛ لأنها تنير لصاحبها الحق، والسلطان: الحجة والبرهان.[٣]

خامسًا: الدلالة السياقية (الاجتماعية، الأسلوبية):

وهي التي ترتبط بالمعنى الأسلوبي الذي تحمله قطعة من اللغة، للظروف الاجتماعية والمنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها مستعملها.[٤]

ويكتسب أبناء اللغة كل هذه الدلالات عن طريق التَّلقي والمشافهة، ويتطلب هذا الكسب زمنًا ليس بالقصير، قبل أن يسيطر المرء على لغة أبويه، وتصبح أنظمتها بمثابة العادات الكلامية،

---

[١] ينظر: الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص٤٣٧.

[٢] ينظر: أنيس، **دلالة الألفاظ**، ص٥٦ عمر، **علم الدلالة**، ص٣٩، وقطب، سيد الشاذلي، **التصوير الفني في القرآن**، (مصر، دار الشروق، ط٦، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م)، ص٣٨-٤٥.

[٣] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج٤، ص٢٣٢.

[٤] ينظر: عمر، **علم الدلالة**، ص٣٨، والمسدي، عبد السلام، **الأسلوبية والأسلوب**، (د.م، الدار العربية للكتاب . مكتبة لسان العرب، ط٣، د، ت)، ص٣٩، ٤٠.

ويؤديها دون شعور بخصائصها[١]، ففي قوله تعالى: ﴿فَدَلّاهُما بِغُرورٍ﴾ [الأعراف:٢٢]، فلفظ "فَدَلّاهُما" مأخوذة من دلّى رجليه في البئر؛ ليرى الماء، أو دلّى حبل الدلو لينزله في البئر[٢].

سادسًا: الدلالة الاقترانية:

وهي الدلالة التي تبعد الألفاظ عن المعاني غير الدقيقة، وتكشف عن وصف للأحداث بطريقة اقتران الألفاظ، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَد أَرسَلنا موسى بِآياتِنا وَسُلطانٍ مُبينٍ﴾ [هود:٩٦]

وقوله تعالى: ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الذاريات:٣٨]

وما جاء في تفسير الرازي فيما عرض عليه من سؤال حمل الآيات المذكورة في قوله تعالى: (آيَاتِنَا) على المعجزات والسلطان وعلى الدلائل والمبين، وعلى كونه سببًا للظهور، فبين الفرق بين هذه المراتب الثلاثة، بأن الآيات اسم للقدر المشترك بين العلامات التي تفيد الظن، وبين الدلائل التي تفيد اليقين، وأما السلطان فهو اسم لما يفيد القطع واليقين، إلا أنه اسم للقدر المشترك بين الدلائل التي تؤكد بالحس، وبين الدلائل التي لم تتأكد بالحس، والدليل القاطع، الذي تأكد بالحس فهو السلطان المبين، ولكون معجزات موسى هكذا، وصفها الله بأنها سلطان مبين.[٣]

---

[١] ينظر: أنيس، **دلالة الألفاظ**، ص٥٠.

[٢] ينظر: عبد الكريم، حمو، **البحث الدلالي في تفسير الإمام محمد متولي الشعراوي**، (الجزائر، الفا للوثائق، ٢٠١٧م)، ص٦٩.

[٣] ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج١٨، ص٥٣، ٥٤.

الفصل الأول: سياق ورود قصة نوح في القرآن الكريم:

المبحث الأول: سياق ورود قصة نوح عليه السلام في أسلوب الحوار الإنشائي:

المطلب الأول . محور سورة الأعراف وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه.

المطلب الثاني: محور سورة يونس وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه .

المطلب الثالث: محور سورة هود وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه .

المطلب الرابع: محور سورة المؤمنون وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه.

المطلب الخامس: محور سورة الشعراء وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه.

المطلب السادس: محور سورة نوح وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه .

المبحث الثاني: سياق ورود قصة نوح عليه السلام في أسلوب الحوار الخبري:

المطلب الأول: محور سورة الأنبياء وعلاقته بمشد قصة نوح وأسلوبه .

المطلب الثاني: محور سورة العنكبوت وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه .

المطلب الثالث: محور سورة الصافات وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه.

المطلب الرابع: محور سورة القمر وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه .

المطلب الخامس: الموازنة بين ورود قصة نوح في سياقاتها المختلفة في السور .

الفصل الأول: سياق ورود قصة نوح في القرآن الكريم

ورد في الحديث بأن نوحاً عليه السلام أول الرسل[1]، وجاء ذكره في القرآن الكريم بأساليب متنوعة، منها ما ذكر فيها إشارات قرآنية، وجاءت في عشرين سورة، ومنها ما وردت مشاهد ولقطات من قصة نوح (عليه السلام)، وكانت في عشر سور.

فما جاء ذكر القصة إشارات كانت كالتالي:

١. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٣٣].

٢. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء:١٦٣].

٣. قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام:٨٤].

٤. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة:٧٠].

---

[1] أخرجه البخاري، **في صحيح البخاري**، محمد إسماعيل، تحقيق أحمد بن زهوة وآخرين، (لبنان، دار الكتاب العربي، د.ط، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجنده، رقم (٣٣٤٠)، ص٦٧٦، ورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث من يشفع من الأنبياء يوم القيامة حتى قال: "فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا، أما ترى إلى ما نحن فيه، أما ترى إلى ما بلغنا، ألا تشفع لنا إلى ربك..."

٥. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم:٩].

٦. قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:١٧].

٧. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم:٥٨].

٨. قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء:٧٦، ٧٧].

٩. قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾ [الحج:٤٢].

١٠. قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان:٣٧].

١١. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب:٧].

١٢. قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ [ص :١٢].

١٣. قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر:٥].

١٤. قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣].

١٥. قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ [ق:١٢].

١٦. قال تعالى: ﴿قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الذاريات:٤٦].

١٧. قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ [النجم:٥٢].

١٨. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد:٢٦].

١٩. قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم:١٠].

٢٠. قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة:١١، ١٢].

وما جاءت القصة في كتاب الله الكريم لقطات ومشاهد جزئية في عشر سور، وهي محور الدراسة التطبيقية في هذا البحث، حيث انقسمت القصة في أسلوب عرضها إلى قسمين:

١. سياق ورود قصة نوح عليه السلام في أسلوب الحوار الطلبي.

٢. سياق ورود قصة نوح عليه السلام في أسلوب الحوار الخبري.

المبحث الأول: سياق ورود قصة نوح عليه السلام في أسلوب الحوار الإنشائي:

المطلب الأول . محور سورة الأعراف وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه:

أ. وجه تسمية سورة الأعراف: سميت بالأعراف لورود لفظ (الأعراف) بقوله: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾، ولم يذكر في غيرها من السور بهذا اللفظ.

ب. محور سورة الأعراف وعلاقته بمشهد قصة نوح عليه السلام:

يبرز محور السورة في تقرير الرسالة والتوحيد والبعث، وهي الحقائق الثلاثة التي تدور في فلكها سائر السور المكية[1]، وتركز على عقيدة التوحيد من المنظور التاريخي، في تدرج متسلسل لرحلة الأنبياء في تبليغ الرسالة، من آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين، فتقرر توحيد الله وحده وعقيدة البعث والجزاء، والوحي والنبوة، كما تنهى عن الشرك بالله وإنذار المشركين بسوء العاقبة في الدنيا والآخرة، وتذكير الناس بنعمة خلق الله للإنسان، وتفضيله، والتحذير من عداوة الشيطان له، والتذكير ببديع صنع الله، وتسلية النبي ﷺ بتكذيب الكفار إياه، والتذكير بما أوجده الله في فطرة الإنسان منذ خلقه، بأن يقبل دعوة الرسل، ابتداءً من آدم عليه السلام وانتهاءً برسالة محمد ﷺ.[2]

---

[1] ينظر: شيبة، عبد القادر، **تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما الحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل**، (بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ط٢، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م)، ج٥، ص٢٠٣.

[2] ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، (لبنان، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، ج٣، ص٢٣٤، والألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج٨، ص١٤٨، وأبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، **زهرة التفاسير**، (مصر، مجمع البحوث الإسلامية، د.ط، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧م)، ص٢٨٧٦، ٢٨٧٧، والطباطبائي، محمد بن حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، (قم، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، د.ط، د.ت)، ج٨، ص٦، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٤، ج٨، ص٧-٩، والصابوني، محمد بن علي **قبس من نور القرآن الكريم**، (مكة، دار السلام، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م)، ج٣، ٤، ص٥، ٦ والبقاعي، برهان الدينأبو الحسن إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تخريج عبدالرزاق بن غالب، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط٤، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م)، ج٣، ص٣،

فمحور سورة الأعراف قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨]، تعرض نماذج من الهدي، الذي أنزله الله، وموقف هذه الأمم من هذا الهدي وما جوزيت به[١]، والسياق القرآني في هذه السورة يوحد ألفاظ جميع الرسل صلوات الله عليهم في نص واحد ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ محققًا معنًى وحدة العقيدة السماوية على مدار التاريخ[٢].

عرض سياق السورة قصة نوح أولًا كبداية تفصيلًا لما أوجز في النداء الرابع لبني آدم في إرسال الله للرسل، وجزاء اختيارهم، وتصوير أحوالهم في دار القرار، وأتبعه بالإنذار العام لجميع الأمم، وتبيان رحمة الله تعالى العامة والقريبة من عبادة المحسنين.[٣] فكانت سورة الأعراف البداية على مستوى السور كونها أول موضع وردت فيه قصة نوح كبداية لدعوة قومه إلى عبادة الله، وبداية رسالته، فلم يأتي ذكر الأتباع ولا تفاصيل أحداث قصته، فقد كان التركيز على إثبات أنه رسول من الله لدعوتهم إلى الإيمان به، حتى في رده عليه السلام على اتهامهم له بالضلالة، كان يؤكد أنه رسول مرسل من الله.

فالسورة بدأت بخبر نشأة الإنسان الأولى، مبينة سنة الله في فطرة الإنسان، وما يتوجب عليه من شكر وطاعة وتهذيب غرائزه لتأهيله للاستخلاف في أرضه، وجعله مستعدًا لتعلم كل شيء فيها، وتسخير ما فيها لمنفعته، وهيأه ليكون مميزًا بين الحق والباطل، وأكرمه بهداية الوحي

والفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ص٢٠٤، وشحاته، عبدالله بن محمود، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، (مصر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٧٦)، ج١، ص٩١، ٩٣، وعلماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، (الشارقة، مركز تفسير، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م)، ج٣، ص٤، ٦.

[١] ينظر: رضا، محمد بن رشيد، **تفسير المنار**، (مصر، مطبعة المنار، ط١، ١٣٣٨هـ، ١٢٩٨م)، ج٨، ص٤٨٣، وحوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، (مصر، دار السلام، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، ص١٨٣٥.

[٢] ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، مج٣، ج٨، ص١٣٠٤-١٣٠٩.

[٣] ينظر: رضا، **تفسير المنار**، ج٨، ص٤٠٩-٤٩٠.

الإلهي، وبعث إليه الرسل، وصور له حال فريقي البشر (الهادي والضال) في دار الآخرة، وقد جاءت قصة نوح عليه السلام في سياق تصويري رائع.

فقد حرّض الله تعالى العباد على عبادته وحده، وعدم الشرك به، لينالوا رحمته ورضاه ويتجنبوا غضبه وعقابه، ونهاهم عن الفساد في الأرض، ونبههم إلى بعض البراهين الدالة على آثار رحمته، الشاهدة بقدرته سبحانه على إحياء الموتى، كما أحيا الأرض الميتة بما أنزل عليها من الماء، وكأن حالها من الانتفاع بغيث الله كحال النفوس الطيبة بقبول هدى الله، وبين سبحانه بأن هناك نفوساً خبيثة، وقلوباً ميتة، لا تنتفع بهدى الله، كالأرض السبخة التي لا تنتفع بغيث الله وفي هذا مواساة لرسول الله ﷺ حتى لا يبتئس بجحود المكذبين، فشرع في ذكر قصص الأنبياء مع أممهم؛ لتثبيت فؤاده وللذكرى والعظة، وبدأ بقصة نوح عليه السلام؛ لأنه أول رسول كذبه قومه، باعتبار إرسال الرسل بالشرائع بمثابة ماء حياة القلوب إلى المكلفين.[1]، وعطف عليها قصص الأنبياء المرسلين المشهور ذكرهم في الأمة العربية بصورة موجزة وهم أقوام الرسل (هود وصالح ولوط وشعيب) عليهم السلام، لها سبق التمهيد له فيما تقدم من نداء الله الرابع لبني آدم في إرسال الرسل، ثم جاءت قصة موسى عليه السلام مع فرعون بعد فاصل سياقي في إسهاب واسع لتشابه قصته بقصة خاتم الأنبياء من حيث تكوين شريعة دينية دنيوية كوَّن الله به أمة عظيمة ذات ملك، كمثال لعدم تزكية النفس بالعلم الصحيح، اتبعها سياق لمثل عام لبيان سنة الله في المكذبين بآيات الله المنزلة على رسوله، التي تؤيدها الآيات العقلية والكونية، وإرشاد إلى ما يصلح الفطرة من الدعاء بأسماء الله الحسنى، والتفكر الموصل إلى فقه الأمور والنظر الهادي إلى مآخذ البرهان؛

---

[1] ينظر: الخازن، علاء الدين بن علي بن محمد، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ضبطه عبد السلام بن محمد بن علي، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، ج٢، ص٢١٤، وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج٣، ص٢٣٥، والشيبة، **تهذيب التفسير وتريد التأويل مما الحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل**، ص٢٠٢.

لمعرفة صدق الرسول، وحقيقة التوحيد وختمت السورة بوصايا الله تعالى لرسوله عليه السلام ؛لتجنب شرور المكذبين، ونزغات الشيطان، تأكيداً لمحور السورة في بناء العقيدة السليمة، والحفاظ على الفطرة القويمة.[١]

ج. أسلوب قصة نوح عليه السلام في سورة الأعراف:

تميزت قصة نوح عليه السلام في هذه السورة باستخدام الأسلوب الطلبي بصورة عامة، فيما عدا البداية فقط في (القَسَم)، كانت في أسلوب الإنشاء غير الطل[٢]، وبطريق الإخبار؛ "لأن أخبار الله لا تنفك عن وجود مُخْبَراتها[٣]؛ لأن قائله هو رب العزة خالق الخلق.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ *

---

[١] ينظر: رضا، **تفسير المنار**، ج٨، ص٤٩٠-٥١٠، ج٩، ص٥٣٧-٥٣٩.

[٢] ينظر: هارون، عبد السلام بن محمد، **الأساليب الإنشائية في النحو العربي**، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٥، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م)، ص١٣، ١٤، وحسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ط٣، ص٣٦: فالكلام إن احتمل الصدق والكذب، سمي كلامًا خبريًّا، فالمراد من الصادق ما طابقت نسبة الكلام فيه الواقع، وبالكاذب ما لم تطابق نسبة الكلام فيه الواقع. والأسلوب الإنشائي ينقسم إلى قسمين: ١. إنشاء طلبي: وهوما يستلزم مطلوباً ليس حاصلاً وقت الطلب، مثل الأمر والنهي والاستفهام والدعاء والتمني والترجي والنداء.٢. إنشاء غير طلبي: وهو مالا يستلزم مطلوباً ليس حاصلاً وقت الطلب، مثل أفعال المقاربة، وأفعال التعجب، والمدح والذم وصيغ العقود، والقسم، ورب، وكم الخبرية.

[٣] ينظر: الجصاص، أحمد بن علي بن أبي بكر، **أحكام القرآن**، تحقيق محمد بن صادق بن قمحاوي، (لبنان، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، د.ط، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م)، ج٢، ص٧٤، وسرحان، عبد الله بن عبد الغني، **البلاغة القرآنية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية**، (القاهرة، السعودية المغرب، مفكرون، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م)، ص١٦٢.

فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٩-٦٤].

ولنتتبع أثر الدلالة السياقية في توضيح معاني الألفاظ، وهي كالآتي:

١. حذف حرف العطف في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ لأنه لم يتقدم في سورة الأعراف ذكر رسول فيكون هذا عطفًا عليه، وإنما هو استئناف كلام. أما في سورة هود فتقدم ذكر رسالة محمد، وسورة المؤمنون تقدم ذكر نوح عليه السلام ضمنًا في قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون:٢٢، ٢٣]، لأنه أول من صنع السفينة، فعطف في السورتين بالواو بخلاف سورة الأعراف.[١]، كما أن هذه السورة لم يتقدمها ذكر إرسال الرسل إلى الأمم ودعاء الخلق إلى الإيمان، فقد تقدم قبلها ذكر أصحاب الأعراف.[٢]

---

[١] ينظر: الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ص٢١٠.

[٢] ينظر: الغرناطي، أحمد بن إبراهيم، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، (لبنان، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٩٧١م)، ج ١، ٢، ص١٨٩.

٢. أسلوب القسم: في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ فاللام جواب قسم محذوف؛ أي والله لقد أرسلنا نوحًا..[١]، أو "وعزتي وجلالي لقد أرسلت نوحًا، وهو بهذا يؤكد المقسم عليه."[٢] والداعي لهذا التأكيد كما يبينه حبنكة الميداني بأن المقصودين بهذا البيان هم المكذبون لرسول الله وما جاء به من رسالة التوحيد، فحالهم تستدعي تأكيد وقوع هذه القصة.[٣]

٣. لفظة (أرسلنا): جاءت في المكان الذي تقتضيه الدلالة السياقية، وظروف الواقف والحال، فلم تأتِ لفظة (بعثنا) فالمقام هنا موقف متنازع بين نوح عليه السلام الذي يريد أن يثبت رسالته وأنه مرسل من رب العالمين، وبين قومه المنكرين لرسالته، فكانت هذه اللفظة أليق.

---

[١] ينظر: البروسوي، إسماعيل حقي، **روح البيان**، (لبنان: دار إحياء التراث العربي، ط٧، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، ج٣، ص١٨٢، والقرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، (قطر: وزارة الأوقاف، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م)، ج١، ص٢٥٧، وأبو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، (بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣ م)، ج٤، ص٣١٩، والثعالبي، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق الطالبي، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، ١٩٨٥)، ج٢، ص٣٧، والشربيني، محمد بن أحمد الخطيب، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، تحقيق إبراهيم بن شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م) ج١، ص٥٥٨، وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج٣، ص٢٣٥، والشوكاني، محمد بن علي بن محمد، مراجعة هشام البخاري، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، (بيروت: المكتبة العصرية، ط٣، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، ج٢، ص٢٧٠، والصابوني، محمد بن علي، **صفوة التفاسير**، (دمشق: مكتبة الغزالي، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، ج١، ص٤٥٢، والقنوجي، صديق بن حسن، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، مراجعة عبدالله الأنصاري، (قطر: دار إحياء التراث الإسلامي، لبنان، المكتبة العصرية، ط٢، د.ط، ١٩٩٥م)، ج٤، ص٣٨٤، والقاسمي، محمد بن جمال الدين، **محاسن التأويل**، تخريج محمد بن فؤاد بن عبدالباقي، (لبنان، دار إحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م)، ج٣، ورضا، **المنار**، ج٨، ص٤٩٠، والمراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٨٥م)، ج٧، ص١٨٨، والشعراوي، محمد بن متولي، **خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم**، (مصر: الراية للنشر، ٢٠١٦م)، ج٤، ص٢١٢، والميداني، عبد الرحمن بن حسن بن حبنكة، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، (دمشق: دار القلم، ط٢، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م)، ج٤ ص٣١٨.

[٢] الشعراوي، **خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي**، ص٢١٢.

[٣] ينظر: الميداني، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، ص٣١٨.

٤. تكرار لفظ (قوم) وهذا يؤدي إلى تماسك البنى النصية التي يرد فيها التكرار، بحيث لا يمكن فك شفرتها، إلا بالنظر إلى النص كلاً مترابطاً، كما أن هذه اللفظة تعطي شعورًا برغبة نوح عليه السلام في استمالة قلوبهم نحو الحق، فهو يناديهم بصفة القومية مضافة إليه، استمالةً لهم إلى عبادة الله[١]، فيضيف ابن عاشور في تفسيره بأن نوحاً خاطب قومه كلّهم؛ لأن الدعوة لا تكون إلا عامة لهم، وعبر في ندائهم بوصف القوم لتذكيرهم بآصرة القرابة؛ ليتحققوا أنه ناصح ومشفق عليهم، وأضاف القوم إلى ضميره للتحبيب والترقيق لاستجلاب اهتدائهم[٢]، فوردت هذه اللفظة خمس مرات في قصة نوح عليه السلام في هذه السورة.

٥. تقديم حرف التعقيب (الفاء) في قوله: ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ﴾ يوحي بسرعة نوح عليه السلام في دعوة قومه، وإلحاحه المستمر لهم، وإشفاقه عليهم.

٦. تأخير ما حقه التقديم في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، فقد قرأ أبو جعفر والكسائي ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ﴾ بكسر الراء حيث كان على نعت الإله، وافق حمزة في سورة فاطر: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر:٣]، وقرأ الآخرون برفع الراء على التقديم، فتقديره: ما لكم غيره من إله[٣]، ولعل هذا التأخير للتقليل من شأن كل ما يُعبد من دون الله والحط من قدر عبادة الشركاء.[٤]

---

[١] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ص١٨٣، ورضا، **تفسير المنار**، ص٤٩٠.

[٢] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٤، ص١٨٨.

[٣] ينظر: الحافظ، أحمد بن الحسين بن مهران، **الغاية في القراءات العشر**، تعليق أحمد بن فريد المزيدي، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م)، ص٥٧، والداني، عثمان بن سعيد، **التيسير في القراءات السبع**، صححه أوتو يرنزك، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط٤، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م)، ص٩١، والبغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل**، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م)، ج٢، ص١٤٠.

[٤] ينظر: الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص١٠٨-١١٠.

٧. لفظة "أَخَافُ" لأن سياق السورة السابق تقدم بذكر أهوال يوم القيامة، ناسبه مقالات نوح لقومه[١]

٨. حذف الفعل من حرف التعقيب: في قوله تعالى" ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾؛ لأن ما في هذه القصة لا يليق بالجواب، وهو قولهم ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بخلاف ما جاء في سورة هود والمؤمنين[٢].

٩. إيثار صيغة (ضلالة بدلًا من ضلال): في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ* قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ [الأعراف:٦٠،٦١] وهذا الإيثار الذي جاء به القرآن الكريم في هذا السياق له من الدلائل والمعاني المتضمنة فيه، فقد بالغ نوح عليه السلام في النفي، حيث نفى عن نفسه ملابسة ضلالة واحدة، بمعنى ليس بي شيء من إفراد الضلال وجزئياته، ردًّا على ما بالغوا في الإثبات وما جعلوه مستقرًّا في الضلال الواضح البين.[٣]

كما بالغ في تأكيد المدح، عندما استدرك قائلاً: (ولكني) "وهذا الاستدراك في علم البيان يسمى تأكيد المدح بما يشبه الذم"[٤]

---

[١] ينظر: الغرناطي، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، ج١، ٢، ص١٩١

[٢] ينظر: الفيروزآبادي، **بصائر ذو التمييز غي لطائف الكتاب العزيز**، ص٢١١، فقد قال ﷺ "فَقَالَ الْمَلَأُ" فقال بالفاء لأنهم أجابوا فيهما بما اعتقدوا أنه جواب فقالوا: {مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا} [هود:٢٧] وفي سورة المؤمنين قالوا: {مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ} [المؤمنين:٢٤].

[٣] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ص١٨٣، وابن جزي، محمد بن أحمد بن عبد الله، **التسهيل لعلوم التنزيل**، (لبنان: دار الكتاب العربي ط٢، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م)، ج١، ص٣٦، والنسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق يوسف بديوي وآخرين، (لبنان، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، ج١، ص٥٧٦، والصابوني، **قبس من نور القرآن الكريم**، ج٣، ٤، ص٤١.

[٤] الصابوني، **قبس من نور القرآن الكريم**، ص٤١.

١٠. (رب) يوضح أبو حيان بأن هذه اللفظة تدل على أن الله سبحانه هو ربكم المالك لأموركم الناظر لمصلحتكم حيث أرسل إليكم رسولًا يدعوكم إلى إفراده بالعبادة.[١]

وقد وردت هذه اللفظة ثلاث مرات وهي ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾،﴿رَبِّي﴾ ﴿رَبِّكُمْ﴾، لتؤكد حقيقة الله تعالى الواحد الأحد فهو رب العالمين، ورب القوم، ورب نوح عليه السلام، وتدل على أنه مرسل من عند الله، وأن الله اختصه بالرسالة.

١١. مبدأ التدرج والترتيب في توجيه الحجة المراد طرحها: في قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وهذا المبدأ الذي تناوله الدارسون في مجال قواعد التخاطب والسلم الحجاجي[٢] يتضح في ترتيب قول نوح عليه السلام، فقد بيّن عموم الرسالات التي أوحى الله إليه وإلى النبيين من قبله وتخصيص ربوبيته تعالى" رَبِّي" بعد عمومها للعالمين للإشعار بموجبات امتثاله لأمر الله تعالى، ثم عطف (أنصح لكم) على أبلغكم مبينًا كيفية أداء الرسالة وزيادة اللام للدلالة على إمحاض النصح لهم، كما تدل صيغة المضارع على التجدد في النصح، ثم عطف (أعلم من الله مالا تعلمون) مقررًا لرسالته عليه السلام وعلمه بشؤون ربه وقدرته.[٣]

وكذلك جاء هذا المبدأ في قوله تعالى: ﴿لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، إن تسلسل تقديم الحجج على لسان نوح عليه السلام يُبنى على التدرج للوصول إلى الغاية، فالنذارة تدفع إلى التقوى، وهذه

---

[١] ينظر: ابو حيان، **البحر المحيط**، ص٣٢١.

[٢] ينظر: عبد الرحمن، طه، **أصول الحوار وتجديد علم الكلام** (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٠م)، ص١٠٥، فيعرف السلم الحجاجي: بأنه مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية، ومستوفية للشرطين التاليين: كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم القول الموجود في الطرف الأعلى، على جميع الأقوال الأخرى، كل قول في السلم كان دليلاً على مدلول معين كان يعلوه مرتبة دليلاً أقوى.

[٣] ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ص٢٣٤.

التقوى قد تكون سبب لرحمة الله، كما أن في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا﴾، فتكذيب الرسالة السماوية التي أوحاها الله على لسان نبيه نوح عليه السلام تدفع المصدقين بها للنجاة في الفلك، كما تقضي بالمنكرين لها إلى استحقاق الغرق، وهذا مبدأ الحجاج الذي يقدم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، ويتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها بمثابة حجج لغوية وبعضها بمثابة نتائج تستنتج منها.[١]

١٢. دلالة المستقبل في الفعل (أبلغكم) لوقوعه في ابتداء الرسالة (ما) وهذا يختلف عن لفظة (أبلغتكم) في الماضي، والتي وردت في قصة صالح وشعيب عليهما السلام، لوقوع الفعل في آخر الرسالة، ودنو العذاب.[٢]

١٣. إيثار الفعل على الاسم في كلمة (أنصح)؛ لأنها معطوفة على (أبلغكم) فعطف المستقبل على المستقبل من جهة، كما في قصة النبي هود عليه السلام مع قوم عاد من نفس السورة، ورد قوله تعالى: ﴿أَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ فناصح اسم فاعل، عُطفت على قولهم ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾؛ ليقابل الاسم بالاسم[٣]؛ ولأن الفعل يفيد التجدد، كدعوة نوح المتجددة والمستمرة، فهو يدعو قومه في كل حين صباح ومساء، وبكل أسلوب من وجهر وإسرار، وفي كل حال يبلغ الرسالة تلو الرسالة من رب العالمين.

---

[١] ينظر: الغزاوي، **اللغة والحجاج**، ص١٦.

[٢] ينظر: الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ص٢١٢.

[٣] ينظر: **المرجع السابق**، ص٢١١.

١٤. زيادة اللام في "وأنصح لكم" يقال نصحته ونصحت له، ففي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصح، وأنها وقعت خالصة للمنصوح مقصودًا بها لا سواه، وليس لغيره، ولا لذات الناصح مصلحة، بل كل ما فيها لصالح من تبلغه.[١]

١٥. الحذف: في قوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ فقد جاءت الهمزة للإنكار، والواو للعطف على مقدر، أي: كذبتم واستبعدتم وعجبتم أن جاء ذكر من ربكم.[٢]، وهذا الاستفهام توبيخي تقريري، وقد يشير الحذف على فظاعة الفعل المحذوف وبشاعته، وتمكنه في نفوسهم، فلا يتطلب المقام بيانه أكثر.

١٦. إضافة(من) ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ و ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ تفيد ابتداء الغالية، فهو رسول من الله.[٣]

١٧. استعمال الحروف لها دلالة، فحرف(على) رجل، بمعنى (مع) رجل، وقيل: على حذف مضاف تقديره (على لسان رجل)[٤]؛ ولوضوح دور اللسان في الحوار والدعوة، ومثولها في الإدراك حُذفِت اللفظة.

وقد يوحي حذف (اللسان)؛ للدلالة على أن مهمة الرسل صعبة، وغير قاصرة على التبليغ باللسان؛ لأن لها تبعات تجهد كل رسول، فالرسل عندما يختارهم الله، يعلمون أنها مهمة شاقة.[٥]

---

[١] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ص١٨٣، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**، ص٢٦١، والشربيني، **السراج المنير**، ص٥٥٩، والقنوجي، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ص٣٨٧، والشعراوي، **خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي**، ص٢١٦.

[٢] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ص١٨٣، وابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج٤، ص٣٠١، وابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ص٣٦، والشربيني، **السراج المنير**، ص٥٥٩، والشوكاني، **فتح القدير**، ص٢٧١، والشعراوي، **خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي**، ص٢١٧.

[٣] ينظر: القنوجي، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ص٣٨٧.

[٤] ينظر: الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، ص٣٧.

[٥] ينظر: الشعراوي، **خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي**، ص٢٢٢، ٢٢٣.

١٨. حرف الترجي ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ تنبه على أهمية المطلب، وأن التقوى غير موجبة للرحمة، بل هي متعلقة بفضل الله تعالى، وألَّا يعتمد المتقي على تقواه ولا يأمن عذاب الله.[١]

١٩. الزيادة في المبنى لزيادة المعنى: فلفظة (فأَنْجَيْنَاهُ) هنا تختلف عن لفظة(فَنَجَّيْنَاهُ) الواردة في سورة يونس كلاهما للتعدي، ولكن التشديد يدل على الكثرة والمبالغة، ففي سورة يونس ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ [يونس:٧٣]، لأن (مَن) تصلح للواحد والاثنين والجماعة، و تستعمل للصلة والاستفهام والشرط، كما تستخدم مع المذكر والمؤنث بخلاف (الذين)، فإنه لجمع المذكر فحسب،[٢] وكذلك ورود حرف الجر(مِن) وتنكير (أجر) وهما يفيدان العموم جاء التشديد مع (مَن) أليق وأنسب، ولأن المبالغة والتحدي في سورة يونس أشد، بينما الاسراع في سورة الأعراف أوضح لاختصار القصة فيها.

٢٠. استخدام صيغة فعيل، فلفظة (عَمِينَ) أي كفارًا، قال ابن عباس رضي الله عنه: عميت قلوبهم عن معرفة الله،

وهذه اللفظة جاءت في صيغة مبالغة لما يتطلبه السياق من وصف قوم نوح عليه السلام من تعطيل لحواسهم، وعدم الانتفاع بملكات الإدراك، التي أنعم الله بها عليهم.

ويرى الزجاج: بأنهم عَموا عن الحق والإيمان، فيقال: رجل عم في البصيرة، وأعمى في

---

[١] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ص١٨٣، البيضاوي، عبد الله بن عمر بن علي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق وتخريج محمد بن صبحي بن حسن، (لبنان، دمشق، دار الرشيد، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، مج١، ج٨، ص٥٥٠، (لبنان، دار العلم للملايين، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، ص٢٠٢، ٢٠٣.

[٢] ينظر: الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ص٢١٢.

البصر.[1]

وقد تعطي(عَمٍ) "دلالة على ثبوت الصفة واستقرارها كفَرِح وضَيِق، ولو أريد الحدوث لقيل عامٍ، كما يقال: فارِح وضائِق."[2]

٢١. ضمير الكاف: الذي استعمل للخطاب تبعًا للحوار الجاري بين نوح عليه السلام وبين قومه، فالسياق في قوله تعالى: ﴿نَرَاكَ﴾ يدل على أن نوحًا عليه السلام مقصود بالخطاب، وأنه في موضع إدراك القوم السلبي، فالكاف هنا ضمير متصل في محل نصب مفعول به، له دلالة هامة، وهو وقوع فعل الرؤية، بمعنى الإدراك عليه، وهو يشير بمبادرة قومه لمهاجمته.

وبالمقابل فإن تكرار الكاف في قول نوح عليه السلام ﴿لَكُمْ﴾،﴿عَلَيْكُمْ﴾، ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾، ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾، ﴿جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾، ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾ تشير إلى أن قوم نوح هم المقصودون بالخطاب، وهو خطاب النصح، ويدل على رغبته في النصح لهم.

المطلب الثاني: محور سورة يونس وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه:

أ. وجه تسمية سورة يونس:

عُرِفت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير بسورة يونس؛ لتفردها بذكر خصوصية لقوم يونس، حيث إنهم آمنو قبل نزول العذاب عليهم وعفا الله عنهم، في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس:٩٩]، وفي هذه الخصوصية تكريم من الله ليونس.

---

[1] ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، ص١٤١، والحريري، القاسم بن علي، **درة الغواص في أوهام الخواص**، (بغداد، مكتبة المثنى، د.ط، ١٩٦٤م)، ص٣٠، يذكر أن الأعمى من عمى القلب الذي يتولد الضلالة منه، لا من عمى البصر الذي يحجب المرئيات عنه.

[2] القنوجي، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ص٣٨٩.

ويعلل ابن عاشور بأنها سميت بذلك لتمييزها عن السور الأربع المفتتحة بـ "الر"، حيث أضيفت كل واحدة منها إلى نبي، أو قوم نبي.[١]

ويرى أكثر المفسرين أنها سورة مكية، ويعتقد ابن عاشور أن الأقوال الناشئة من اعتبار بعض آياتها نزلت في المدينة من جراء ظنهم الخاطئ بأن ما في القرآن من مجادلة مع أهل الكتاب لم ينزل إلا بالمدينة[٢]، كما يشير رشيد رضا إلى أنها مكية لا تقبل تجزيئَ بعض آياتها بأنها مدنية من جهة الدراية، حيث لم تثبت بذلك رواية.[٣]

كما يصرح سيد قطب بأن سياق السورة لحمة واحدة، تواجه واقعًا متصلًا يصعب تقسيمه، مما ينفي القول بمدنية بعض الآيات.[٤]

وبالنظر لسياق السورة نجد الترابط بين الآيات في مطلعها وختامها بالحديث عن قضية الوحي، في تناسب محكم، وكذلك المؤثرات، التي تتابعت في تسلسل، مثل الرد على استعجالهم بالوعيد، ثم ورود القصص بنسق متتابع، لا يدع مجالًا للشك بأن السورة نسيج واحد لا تتجزأ آياته، بين المكي والمدني.

---

[١] ينظر: وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٥، ج١١، ص٧٧.

[٢] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٥، ج١١، ص٧٨.

[٣] ينظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، (مصر، مطبعة المنار، ط١، ١٣٤٩هـ)، ج١١، ص١٤١.

[٤] ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، مج٣، ج ١١، ص١٧٥٢.

ب. محور سورة يونس وعلاقتها بمشهد قصة نوح عليه السلام:

تمحورت السورة حول إثبات رسالة محمد ﷺ من خلال دلالة عجز المشركين عن معارضة القرآن التي جاءت بأسلوب التعريض في تهجي الحروف المقطعة والآية التي تبعتها والمشيرة لذلك في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس:١]، وإثبات انفراد الله بالإلهية بدلالة أنه الخالق الرازق المدبر، وإثبات فساد معتقد الكفار في الشرك وعبادة الأصنام، وإثبات الحشر والجزاء، وبيان دلائل من المخلوقات، وذم أهل الكفر، ومدح أهل الإيمان، وبيان حقيقة الدنيا والعاقبة في الآخرة، وبيان فائدة نزول القرآن، وتميز أهل الولاية وتسلية النبي ﷺ بذكر قصص الأنبياء وعاقبة أمرهم، وتأكيد نبوة النبي ﷺ، وأمره بالصبر على أذى المشركين، حتى يحكم الله.[١] فأبطلت السورة التشكيك بالقرآن من جهتين: أولًا: ما ادّعاه الكافرون بأن الله تعالى أعظم من أن ينزل وحيًا، وبالتالي فالقرآن ليس وحيه، وفُند ذلك، وثانيًا: ادعاء الكافرين بأن الرسول افترى على الله في نسبة القرآن إليه، وفُند ذلك، وبين أنه من عند الله تعالى كما بين سبحانه خصائص كتابه، وما ورد فيه من قصص الرسل، وما أنزل عليهم من الوحي وما بشروا وأنذروا، دليلًا وحجَّة على نفي العجب بأن يرسل رسولًا.[٢]

---

[١] ينظر: الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج٢، ص٤٥٤، والفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج١، ص٢٣٨، ٢٣٩، والبقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، تحقيق حسنين، (الرياض، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م)، ج٢، ص١٦٤، ١٦٥، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٥، ج١١، ص٧٨، ٨٠، والميداني، عبد الرحمن بن حبنكة، **الوجيزة في العقيدة الإسلامية**، (لبنان، مؤسسة الريان، ط٢، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م)، ص١٤٤-١٤٧، وشحاته، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، ج١، ص١١٩-١٢٦.

[٢] ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج٤، ص١٦٤، والألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج١١، ص١٥٧، وأبو زهرة، زهرة التفاسير، ص٣٦١٤، والطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، ج١٠، ص٦، والدمشقي، عمر بن علي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق عادل بن عبد الموجود وآخرين، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، ج١٠، ص٣٧٥، وحوى،

فجاءت قصة نوح مجملة في السورة، تُذكِر بصنيع أهل التكذيب ومعاملة الله لهم، وتُنذِر بالقضاء العدل، بين النبي، وبين أمته، ليعتبر أهل التكذيب من أمة محمد ﷺ، أو ليقروا بصحة نبوته.

إن قصة نوح في هذه السورة تخدم سياق نفي العجب، عن إرسال الرسول المنذر، كما تخدم قضية كون القرآن موعظة وهدى، وتخدم قضية شفاء القلب من الشك، وتُربي المؤمن على مواجهة الكافرين، في مواقف صحيحة تمتلئ بالإيمان بالوحي المنزل.[١]، فقضية الألوهية، والعبودية وتجلية حقيقتهما، ومقتضياتهما في حياة الناس، هي القضية الأساسية، الذي يتكأ عليها السياق كله، وهي قضية القرآن كله، وقضية القرآن المكي بصفة خاصة.[٢]

فكان سياق السورة يحض على بيان جزاء الله للمكذبين الغافلين، كما يبين ثواب المؤمنين العاملين الصالحات، المستبصرين بهدي الله، فابتدأت بتكذيب قوم خاتم الأنبياء، وبيان سنة الله الباقية، في جزاء البغي والكفر، وجاءت قصة نوح في هذه السورة تستكمل الرد على اتهام نوح لقومه، كما جاء في سورة الأعراف، في جوٍّ مفعمٍ بالتحدي الشديد لهم، والتوكل الكبير على الله المنجي له، ولمن آمن معه، وجعلهم خلائف وإغراق المكذبين، وتعد آيات قصة نوح في هذه السورة "من أبلغ آيات القرآن عبارة وأجملها على إيجازها للمعاني الكثيرة من علم النفس ودرجة إيمان الأنبياء المرسلين وثقتهم بالله عز وجل وشجاعتهم واحتقارهم لكل ما في الحياة الدنيا من أسباب الخوف وغيره والرجاء فيما سواه، وبيان خاتمتهم لسنته تعالى فيهم وفي أقوامهم، وحسن وعظه لهم

الأساس في التفسير، ج٥، ص٢٤٨٩، وعلماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٣، ص٣٠٤.

[١] ينظر: رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٤٥٨، وحوى، **الأساس في التفسير**، ص٢٤٩٤.

[٢] ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، مج٣، ج١١، ص١٧٥٣.

بوحي ربه تعالى"[1]، متبعًا بإشارة لبعثة أنبياء كانت عاقبتهم مماثلة لقوم نوح، لم يهتم السياق بتفصيل قصصهم، ولكن فصلت قصة موسى وهارون مع فرعون، مبينًا فيها الجزاء العادل فيهم، ومثبتًا لقلب خاتم الرسل في صدق القرآن في دعوته ووعده ووعيده، وتوجيه الاعتبار لأهل مكة لبيان مشيئة الله في الأمم في إنزال عقابه عليهم لتعنتهم، ورفعه لمن آمن قبل وقوعه كقوم يونس، ثم ختمت بعدها بنداء عام في الدعوة إلى عقيدة الإسلام، كإجمال لما فُصل في السورة، وكعودة لمحورها، فالقصص في هذه السورة مجمل، وشاهد لتصديق الحقائق الاعتقادية، التي تستهدفها السورة.[2]

ج. أسلوب قصة نوح عليه السلام في سورة يونس:

عُرِضت قصة نوح في هذه السورة بأسلوب طلبي بصورة كاملة، فقد جاءت البداية بأسلوب التأكيد لفعل الأمر كافتتاح للحوار القائم بين النبي محمد ﷺ وقومه، في صورة سرد قصة نوح عليه السلام، وكان أسلوب الآيتين الأخيرتين من هذه القصة، هو أسلوب الجملة الخبرية، وهي كالآتي:

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس:٧١-٧٤]

ولنتتبع أثر الدلالة السياقية في توضيح معاني الألفاظ في هذه السورة:

---

[1] رضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٤٦٠.

[2] ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، مج٤، ج١٢، ص١٨٤٤.

١. حرف العطف: فحرف(الواو) جاء معطوفًا على ما سبق من آيات، تبين بطلان دين المشركين، وتدل على أن هذه الآية ليست استئنافية، بل متعلقة بتفنيد ما سبقتها من آيات، وفيها تعريض لما حلَّ بالأمم المماثلة لأحوالهم، واستقصاء لطرق الحجاج على أصحاب اللجاج، كدليل على نبوته في إخباره لأمور غيبية.[١]

٢. حذف الفاعل والمفعول به: في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ ولهذا الحذف دلالة تعلق المعنى بما سبق من آيات، أي اتل يا محمد على قومك المشركين الجاحدين خبر نوح عليه السلام مع قومه، الذين يشبه حالهم حالكم من النكران والكفر، فكان لهذا الحذف دوره في ربط أجزاء الكلام، وتفعيل بنى العلاقات الجامعة في السياق، وترابط مفاهيم النص؛ لعدم تعلق غرض بذكر المحذوف في سياق الآية.

٣. ذكر المبتدأ والخبر (نبأ نوح) لتأكيد غرض اقتضاه السياق لتوثيق رباط المعنى بجوهر السياق، والاعتراف بتاريخ نوح عليه السلام ورسالته مع قومه، و(إذ): ظرف يفيد تحقق وقوعه في ذلك الزمان.[٢]

٤. التأكيد بالتكرار: في قوله تعالى: ﴿قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ﴾، فتكرار لفظ القوم تفيد معنى من التودد، والتناصح، والتقرب، من نوح عليه السلام لقومه، فهو يؤكد على وشائج الصلة التي تربطه بهم.

---

[١] ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين بن عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، (المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، ج٣ ص٤٧، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٥، ج١١، ص٢٣٤، والألوسي، **روح العاني**، ص١٥٧، ورضا، **تفسير المنار**، ج١١، ص٤٥٨.

[٢] ينظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ص١٠٠٧.

٥. صيغة (فَعُلَ) في قوله: ﴿كَبُرَ﴾ تدل على معنى الأمر الصعب الشاق، على خروج الكلمة منهم. وفيها معنى الإصرار على التكذيب، فالسياق دال على تقدم تكذيبهم له كما تدل هذه اللفظة.[١]

٦. العدول عن الأفعال إلى الأسماء: في قوله تعالى: ﴿مَقَامِي وَتَذْكِيرِي﴾ تدل على ثبوت صفة تلك الأسماء في سلوك نوح، فقد كان دائم القيام برسالته في دعوة قومه للتوحيد وتذكيره لهم بالله الرب الخالق المستحق لإفراده بالعبادة، فعدول السياق من ذكر الأفعال، التي تفيد التجدد إلى الأسماء التي تعطي دلالة الثبوت في حق نوح عليه السلام لتميزه في دعوته بهذه الصفة، فقد كان دائم القيام على دعوة الإيمان، فلفظة (قيامي) تحمل عدة معانٍ، فقد تعني اسم مكان مثل ما يقال (المجلس السامي)، وقد تعني مصدرًا ميميًّا بمعنى الإقامة، فيقال: قمت بالمكان وأقمت فيه بمعنى إقامتي بين ظهرانيكم مدة طويلة، فالله ذكر ذلك القيام بنحو ألف سنة إلا خمسين عامًا، وقد تعني هيئة القيام في التذكير والوعظ، فهو قائم، وهم جلوس يستمعون لدعوته، كما كان يحكى عن عيسى عليه السلام، فقد كان يعظ الحوارين قائمًا، وهم قعود، وهذا نهج محمد ﷺ يقوم على المنبر فيعظ الجماعة، وهم قعود.[٢]

٧. حرف الباء في قوله تعالى: ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ تضفي دلالة اللصوق بالخالق الموجد، فآيات الله قد تعني دلائل وجودة في الكون، من خلق السموات والأرض والمخلوقات عامة، وقد تعني أن آيات الله معجزات وخوارق على يد الرسل؛ لتصديق الناس بأنهم مرسلون

---

[١] ينظر: الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر بن شهاب الدين ، **حاشية الشهاب (عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)**، (بيروت، دار صادر، د.ط، د.ت)، ج٥، ص٤٩.

[٢] ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج٢، ص٣٣، والألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج٨.٧ ص١٥٧.

من الله مؤيدون بنصره، وقد تعني آيات الله في القرآن الحكيم، وفي ذلك إثبات لوحدانية الله، وحرف الباء أعطى هذه الإشارة البليغة بصورة بليغة.

٨. التقديم للاختصاص في قوله تعالى: ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي دمت على تخصيص التوكل على الله تعالى فقط، أو يراد إحداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل.[١]

وذكر المضاف إليه يعطي مزيد لصوق وعظيم تأكيد بالله تعالى الذي يستدعي الحاجة إلى ذكره.

٩. صيغ الفعل الماضي في قوله تعالى: ﴿تَوَكَّلْتُ﴾ تضفي دلالة التجدد والاستمرار في عبادة التوكل على الله سبحانه.

١٠. صيغة فعل الأمر في لفظة تعالى ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ جاء بهمزة القطع وحذف حرف الجر فوصل الفعل، وكانت أفصح عند السدوسي مما لو جيء بحرف (على)، وهي مرتبطة بجمع ما تفرق في المعاني.[٢]

١١. استخدام حرفي التعقيب والمهلة حسب أدوارهما المقتضية في السياق: ففي قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ فجيء بحرف التعقيب (الفاء)؛ ليعطي دلالة السرعة في قضية جمع الأمر وزيادة تقريره، وجيء بحرف المهلة (ثم) في قضية النهي عن إخفاء أمر الجمع، وقضية القضاء؛ لإعطاء دلالة في تراخي في الرتب، وتراخي الزمان، واجعلوا في أنفسكم سعة وقت

---

[١] ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج٢، ص١٦٤، والشعراوي، **خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي**، ج٩، ١٠، ص٤٥٣.

[٢] ينظر: الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج٧، ٨ ص١٥٧، ١٥٨.

في كشف ستركم، والمجاهرة بعدواتكم لي، وأبرزوا شركم إلي وأخرجوه، وخذوا وقتكم كاملًا في ذلك.[١]

١٢. حرف (الواو) بمعنى (مع) في قوله تعالى: ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ وهي الأصنام، وإنما حثهم عليه السلام على الاستعانة بها من باب التوبيخ والتبكيت على مذهبهم الفاسد.[٢]

١٣. حرف العطف (الواو) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ لكي تفيد مطلق الجمع، فلا داعي لترتيب النظر، ولا إسراعه، ولا إمهاله، أي لا تؤخرون بعد إعلامكم إياي ما أنتم عليه، وما حكمتم به علي، وفي ذلك دلالة عدم اكتراثه بهم، وبلوغه غاية التوكل، وثقته بوعد الله تعالى، وعصمته، وأنهم لا يجدون إليه سبيل.[٣]

١٤. حرف التعقيب (الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾، ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ﴾، ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾، ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾، ﴿فَانْظُر﴾ تعطي دلالة على السرعة، وتعاقب الأفعال والأحداث تباعًا، فكأنها مقدمات تبنى عليها النتائج، فتوليهم عنه يقود إلى عدم اكتراثه بهم، وعدم سؤاله إياهم، ويصل بهم إلى تحقيق ما يصبون من تكذيب، يختم بها الله العادل سبحانه نجاة الفئة المؤمنة، وهلاك الكافرين.

١٥. صيغة الفعل الماضي في قوله" تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ﴾ فجاءت لفظتي التولي، وعدم السؤال، في صيغة الفعل الماضي؛ لتفيد التحقق والوقوع.

١٦. لفظة (أجر) جاءت لائقة مع سياق الآيات، وجاءت ﴿مِنْ أَجْر﴾ لزيادة التأكيد.

---

[١] ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج٥، ص٢١٧، والألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج٧، ٨، ص١٥٨.

[٢] ينظر: الشربيني، **السراج المنير**، ج٢، ص٣٤، والألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج٧، ٨، ص١٥٨، والقاسمي، **محاسن التأويل**، مج٤، ج٨، ٩، ص٢٧١.

[٣] ينظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق بشار بن عواد وآخرين (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م) مج٤، ص٢٢٩، والشربيني، **السراج المنير**، ج٢، ص٣٥.

١٧. التأكيد بـ (إن واللام) في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ مما يدل على إثبات الأجر لله وحده، فهو المتفضل به على عباده المؤمنين، وأن نوحًا عليه السلام تنازل عن الأجر منهم؛ لأنه أراد الأجر الأعلى من الله تعالى، فثمة وجود فارق بين إمكانات البشر المحدودة العطاء، ومن يعطي بلا حدود وهو الله.[١]

١٨. الاسترجاع السردي في لفظة ﴿وَأُمِرْتُ﴾ يعطي تأكيدًا باستجابة نوح من بدأ الرسالة بطاعة أمر الله[٢]

١٩. فاصلة ﴿الْمُسْلِمِينَ﴾ تبين أن دين الإسلام دين جميع الأنبياء، وإن تنوعت شرائعهم.[٣]

٢٠. لفظة ﴿وَمَنْ مَعَهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾؛ لأن (من) تصلح للواحد والاثنين والجماعة، كما تستخدم مع المذكر والمؤنث، بخلاف (الذين) فإنه لجمع المذكر فحسب، وكأن التشديد مع (من) أليق وأنسب.[٤] كما في المشهور أنهم كانوا ثمانين؛ أربعين رجلًا وأربعين امرأة.[٥]

٢١. لفظة (الفلك) من الألفاظ التي تطلق على المفرد والجماعة، وجاء حرف الجر (في)؛ ليفيد عدة معانٍ، منها أن الصالحين على ظهر السفينة أنجوا الصالحين من بعدهم.[٦]

---

[١] ينظر: الشعراوي، **خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي**، ج١٠، ص٤٥٨.

[٢] ينظر: الطحان، يوسف بن سليمان بن إسماعيل، **السرد في القصة القرآنية: قصة نوح علية السلام أنموذجًا**، (جامعة الموصل، مجلة كلية العلوم الإنسانية، ٢٠١٠م)، مج٥، ع ١٠، ص٥٢.

[٣] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٦٨٨.

[٤] ينظر: الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ص٢١٢.

[٥] ينظر: الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج٧، ٨، ص١٦٠.

[٦] ينظر: الشعراوي، **خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي**، ج١٠، ص٤٣٦.

٢٢. التقديم في قوله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾؛ لإظهار كمال العناية بشأن المقدم، ولتعجيل المسرة للمسلمين، وللإيذان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الربوبية على الغضب، الذي هو من مستتبعات جرائم المجرمين.[١]

٢٣. التأخير في قوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾؛ لبيان تدني رتبتهم، وإمعان في ازدرائهم.

إن الوعد والوعيد هو الأهم في سياق صدق الوعد والوعيد، وهو الأظهر في الحجة على أن الله وحده القادر على إيقاعهما، وهو ما يتناقض مع معتقد المشركين، بأن كثرتهم، وقلة أتباع النبي، وخلاف الأصل المعهود في المصائب العامة، التي تجعل من المادة الأثر في الإصابة دون التمييز بين الصالح والطالح، فتقرير سنة الله وأن بيده سبحانه الأمر وفق وعده ووعيده.[٢]

٢٤. التعبير بالاسم الموصول ﴿والَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ والتعبير عنهم بذلك؛ للدلالة على إصرارهم على التكذيب، حيث لم ينتفعوا بالإنذار ولذا مضت عليهم سنة الله الباقية، وهي الاستئصال.

٢٥. لفظة ﴿فَانْظُر﴾ وجاءت بمعنى البصر والبصيرة، بهدف تسلية الرسول وتحذير من كذبهم[٣]، كما تعطي دلالة التجسيم الحي الماثل أمام الرسول؛ لأنه مؤمن بالله مبلغ عنه كأنه يراه صدقًا.[٤]

---

[١] ينظر: الشعراوي، **خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي**، ج١٠، ص١٦٠، والخفاجي، **حاشية الشهاب، (عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)**، ج٥، ص٤٩ بقوله: "الفاء فصيحة أي حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه وقوله من الغرق بدلالة المقام".

[٢] ينظر: رضا، **تفسير المنار**، ج١٠، ص٤٦٣.

[٣] ينظر: الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج٧، ٨، ص١٦٠.

[٤] ينظر: الشعراوي، **خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي**، ج٩، ١٠، ص٤٦٥.

٢٦. الاستفهام بـ "كيف" في قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾، فأداة الاستفهام خرجت عن دلالتها على الحال، إلى معنى مختلف، وهو التعجب والتوبيخ، فأفادت النفي، والإنكار، والاستبعاد.

٢٧. فاصلة (المنذرين) ليبين الحق تعالى، أنه لم يعذب قبل أن ينذر، ولم يأخذ القوم على جهلهم.[١]

المطلب الثالث: محور سورة هود وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه:

أ. وجه تسمية سورة هود:

سميت بهذا الاسم ولا يعرف لها اسم غيره، "وورد هذا الاسم عن النبي ﷺ في حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) أن أبا بكر (رضي الله عنه) قال: يا رسول الله قد شِبتَ، قال: شيَّبتني هودٌ والواقعة والمرسلات وعمَّ يتَسَاءَلُونَ، وإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ"[٢]، كما تكرر فيها اسم هود خمس مرات، واشتملت على تفاصيل قصته مع قومه، وهي مكية بالإجماع.

ب. محور سورة هود وعلاقته بمشهد قصة نوح عليه السلام:

---

[١] ينظر: الشعراوي، **خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي**، ج٩، ١٠، ص٤٦١.

[٢] الترمذي، محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق رائد بن صبري بن أبي علفة، (الرياض، دار الحضارة، ط٢، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م)، باب ومن سورة الواقعة، رقم ٣٢٩٧، ص٦٣٦، " قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه وروى علي ابن صالح هذا الحديث عن أبي اسحاق عن أبي جُحيفة نحو هذا. وروي عن أبي إسحاق عن عكرمة عن النبي نحو حديث شيبان عن أبي إسحاق ولم يذكر فيه عن ابن عباس حدثنا بذلك هاشم بن الوليد الهروي، حدثنا أبو بكر ابن عياش"، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٥، ج١١، ص٣١١.

ينصب محور السورة على قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٢]، وعلى تفصيل الأمر (اعبدوا ربكم)، ومحله في دين الله، وفي رسالات الرسل.[١]

ابتدأت السورة بذكر بعثة محمد خاتم النبيين في دعوته إلى عبادة الله وحده، وبعثه نذيرًا وبشيرًا، ودعوته للإيمان بالبعث والجزاء، وبيان حال المؤمنين والمكذبين إزاء دعوته، فجاءت قصة نوح عليه السلام معطوفة عليها؛ ليُعلم قومه أنه عليه السلام ليس بدعًا من الرسل، وأن حاله معهم، كحال من قبله من الرسل.

ولما ذكر الله عناد المشركين وتكذيبهم لرسول الله ﷺ، واتهامهم له بافتراء القرآن ونسبه إلى الله، بين أحوال أهل الكفر من الخسران والعذاب في الآخرة، وذكر فوز أهل الإيمان بالجنات في دار الخلود، وضرب المثل في أحوال الفريقين بالأعمى والأصم، والبصير والسميع؛ للتحذير والتمييز بينهم، فناسب ذلك أن يتعظوا بمصير المكذبين قبلهم، وتسلية للنبي بما أصاب الرسل قبله مع أقوامهم.[٢]

فجاءت قصة نوح لتبين حال الفريقين من المؤمنين به، والكافرين لدعوته في عقيدة التوحيد، في تفصيل واسع، كتبيان لما أجمل في سورتي الأعراف ويونس، ذكرت فيها امتثال نوح عليه

---

[١] ينظر: حوى، **الأساس في التفسير**، ص٢٥٢٥.

[٢] ينظر: الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تخريج خليل مأمون شيحا، (لبنان، دار المعرفة، ط٣، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م)، ص٤٨١، وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج٤، ص١٩٩، والألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج١٢ص٣٥، وقطب، **في ظلال القرآن**، مج٤، ج١٢، ص١٨٣٩، ١٨٤١، وأبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ص٣٦٩٨، والطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، ج١٠، ص١٣٥، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٥، ج ١٢، ص٣٢-٤٢، وعلماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٣، ص٤٦١، ورضا، **تفسير المنار**، ج١٢، ص٦، ٧، ص٨٩.

السلام لأداء تكاليف الرسالة من دعوة قومه لعبادة الله وحده، وترغيبهم، وتخويفهم، ومجادلتهم في أعلى مواطن الجدال العقلي، ودفاعه عن أتباعه، وامتثاله لأمر ربه، في صناعة الفلك، ودعوته لابنه وحواره مع ربه، أتبعه تفصيل لقصص الأنبياء من بعده، وهم قوم (هود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى) عليهم السلام، مبينًا تعالى لخاتم الأنبياء ﷺ حال دعوتهم، وتكذيب أقوامهم لهم، وعاقبة أمرهم، وكونها من الأنباء الغيبية، المبينة لقدرة الله وعدالته في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وتميزت جميع قصص هذه السورة بالحوار المباشر للرسل مع أقوامهم، في مجادلات عقلية من جهة الرسل، واستهزاءات وتهديدات من جهة الأقوام، وجزاء إلهي عادل.

فمحور السورة يؤكد بيان حقيقة القرآن، من خلال الحروف المقطعة في بدايتها، وتقرير التوحيد الخالص، والرسالة، والبعث، وتثبيت النبي ﷺ عما يقوله المشركون، وتثبيت أسلوب البشارة والنذارة، وضرب مثل لفريقي المؤمنين والمشركين، وعاقبتهم، وسرد قصص أهل الكفر والإيمان، وأمر الرسول بالاستقامة، وتجنب أهل الضلال، والمحافظة على الصلوات الخمس، والطهارة، والصبر، والثبات، والتوكل على الله.[١]، وهذه السورة جَسمُها وقوامها القصص، التي جاءت في سياق تاريخي، مصدقًا للحقائق الاعتقادية، التي تستهدفها السورة.[٢]

ج. أسلوب قصة نوح عليه السلام في سورة هود:

---

[١] ينظر: الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج١، ص٢٤٧، والبقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ج٢، ص١٧٥، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٥، ج١١، ص٣١٢، ٣١٣، وشحاته، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، ج١، ص١٢٧.

[٢] ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، مج٤، ج١٢، ص١٨٤٤-١٨٧٠، وسرور، نظمية بنت عمران وآخرون، **أثر السياق في القصص القرآني دراسة في تفسير في ظلال القرآن**، (جامعة مؤتة، مؤتة للبحوث والدراسات، ٢٠١٣م)، مج٢٨، ع ٢، ص١٧٤.

تميزت قصة نوح عليه السلام في هذه السورة بسرد تفاصيل كثيرة، هي من عيون وقائع قصة نوح، لم تذكر في غيرها من السور، كما غلب على أسلوبها الإنشاء الطلبي، ما عدا نصف بداية الآية الأولى كان بأسلوب الإنشاء غير الطلبي، وهو أسلوب القسم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ * وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ * وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ* وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ * وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ * حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ

الْكَافِرِينَ* قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود:٢٥-٤٨]،

ولنتتبع مدلولات الألفاظ والمعاني المستنبطة منها:

١. افتتاح القصة بحرف العطف (الواو الابتدائية) ما يعطي دلالة عطف القصة على القصة.[١]

لأنه تقدم قبلها ذكر رسالة محمد ﷺ التي افتتحت بها السورة، ودعاء قومه وتحديهم بالقرآن، ولم يعدل عن هذا الغرض، إلى ذكر إرسال نوح، فكان السياق مترابطًا، ناسب فيه العطف على أتم مناسبة[٢]

٢. اللام في ﴿لَقَدْ﴾ جواب قسم محذوف وحرفه الباء أي (بالله)[٣]، وحذف القسم يدل على تعدد أساليب المولى في إثبات الأخبار والقسم في خطابه لخلقه، ووضوح حجته وثبات أقواله.

---

[١] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٥، ج١٢، ص٤٣.

[٢] ينظر: الغرناطي، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، ج١، ٢، ص١٩٠.

[٣] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ج٤، ص١١٥.

٣. صيغة الفعل الماضي في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ يعطي دلالة خروج ما يخبره الله عن أوصاف الأزمنة، إذ لا ماض ولا مستقبل ولا حال بالنسبة إلى الله[١]، فكلامه سبحانه حق واقع، وماثل في الحقيقة.

٤. ذكر المفعول به ﴿نُوحًا﴾؛ لأن السياق يطلبه؛ لنسبة القصة إليه، وما أحدثه قومه في تعاملهم معه في رسالته؛ ولتمييز قصته عما يتبعها من قصص الأمم البائدة.

٥. حذف الفعل في قوله تعالى: ﴿.. إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ لدلالة السياق، فقد تم ذكر كل أركان الخطاب: الجهة المرسلة من الله، ومن رسول مرسل، والجماعة المرسل إليهم ذلك الرسول، وهنا جاءت الرسالة بالذكر، فجاء الحذف لغاية، وهي وضوح المعاني في السياق، ودلالة سرعة الإبلاغ والمضي فيه. فكان الجار والمجرور صلة لحال محذوفة بمعنى: أرسلناه ملتبسًا بهذا الكلام.[٢]

كما أن افتتاح دعوة نوح عليه السلام لقومه بذلك القول يناسبه قول النبي لقومه في إخبار الله عنه بقوله: ﴿إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود:٢]، وكذلك قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ [هود:١٢]

٦. لفظة ﴿أَخَافُ﴾ مناسبة للسياق السابق على لسان النبي في قوله: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾، وقوله: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [هود:٨]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود:١٧]، فتكرار ذكر العذاب ناسبه ما ختمت به آية دعاء نوح[٣]

---

[١] ينظر: **البروسوي**،ج٤، ص١١٦.

[٢] ينظر: الدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب**، ج١٠، ص٤٦٦.

[٣] ينظر: الغرناطي، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، ج١، ٢، ص١٩١.

٧. التأكيد بالقصر (أن لا، إلا) في قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ لإفادة اختصاص وقصر العبادة لله وحده ليست لغير سواه، وهذا هو التوحيد الحق الذي لا يشوبه باطل.

٨. ذكر الضمائر في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ تدل على وجود قطبي الخطاب، فهناك مخاطِب متمثل بحرف الياء، كضمير متصل، وهو نوح عليه السلام، ومخاطَب متمثل بحرف الكاف، كضمير متصل تابع لقومه، وبذلك تتجلى أجواء الحوار بينهم، كما تبرز شخصية نوح عليه السلام الحانية الناصحة لقومه من خلال لفظة "أَخَافُ"؛ لتعكس مدى الحرص والعناية من جهته.

٩. ذكر الصفة في قوله تعالى: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ يبين صدق النصح وبلوغ غايته لدى نوح عليه السلام، فهو يخبر قومه بصفة عذاب الطوفان، أو عذاب يوم القيامة، بأنه أليم للمبالغة فيه.

١٠. تحديد الفاعل بذكر صفته في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾؛ ليعطي دلالة أن هناك ملأ من أشراف القوم ليسوا بكفرة.[١]

١١. **في** قوله تعالى: ﴿نَرَاكَ﴾ تعطي دلالتين، فقد تكون رؤية قلبية؛ وقد تكون رؤية بصرية، وأيًّا كانت الرؤية؛ فإنها رؤية سفلية، فهم لا ينظرون إليه بنظرة النبوة، بل بنظرة الكذب والمادية، والحقارة.

---

[١] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ج٤، ص١١٦، والغريسلي، ريم، **حوار الرسل مع أقوامهم من خلال سورة هود**، رسالة ماجستير، المعهد الأعلى لأصول الدين، (تونس، جامعة الزيتونة لأصول الدين، ٢٠٠٥م)، ص٧٢، تبين فيها تأثير العامل الاجتماعي، فقوم نوح عليه السلام يمثلون الأغلبية غير المؤمنة ويفهم من قولهم إنهم رفضوا دعوة نوح عليه السلام لثلاثة مؤيدات هي: ١. كونه بشرًا مثلهم لا ميزة له تدفعهم لاتباعه، ٢. احترام شرفهم وطبقتهم وخاصة حماية مصالحهم يوجب عليهم عدم انتمائهم إليه مع اتباعه الذين هم دونهم مكانة اجتماعية، ٣. افتقاره لأسباب التفضيل من جاه ومال يقلل من قيمة رأيه.

١٢. التأكيد بالقصر: ويعده النحاة أسلوب استثناء مفرّغ، كما يعد باباً من أبواب علم المعاني عند البلاغيين[١]، ففي قوله تعالى: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾، حيث قصر الملأ الكافرون من قوم نوح عليه السلام صفة البشرية والمثلية لنوح.[٢]

١٣. صيغة اسم التفضيل في ﴿أَرَاذِلُنَا﴾ تعكس نظرة قوم نوح الكافرين الناقمة المستهزئة باتباع نوح عليه السلام، كما عدّوهم أهل الصنائع الخسيسة، فالأراذل جمع اسم تفضيل أي أرذل، وعززوا قولهم بأن ألحقوا بهم صفة أخرى سيئة في حقهم وهي: ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾، مسقطين عنهم صفة التعقل والكياسة والفطنة، فطعنوهم في صفاتهم البدنية وملكاتهم العقلية.

١٤. العدول عن مقتضي الظاهر في لفظة "فضل" جاءت بمعنى الزيادة في الشرف والمال، فلم تستخدم هذه الألفاظ لغنى كلمة "فضل" في التعبير عن جميع مقاصدهم.

١٥. صيغة الفعل المضارع مع التأكيد بالتكرار في الفعل (أرى) جاءت ثلاث مرات، مرتان جاءت "نَرَاكَ"، ومرة واحدة جاءت "نَرَى" مما يجسد الحالة السلبية لإدراك قوم نوح وتقيمهم الساخط لدعوته، الذي يمتد في الحال، كما يدل الفعل المضارع المقترن بما النافية على الحال المستمر. ويحمل قيمة لا قولية وهي: النهي عن إتباع نوح؛ لأنه غير جدير بذلك.

---

[١] ينظر: الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص٣٢٨-٣٤٦.

[٢] ينظر: هديم، عائشة، **جدل الدلالة والتداول في جدال نوح مع قومه (سورة هود)**، أعمال الندوة المهداة إلى روح الأستاذ عبد الله صولة: الدلالة النظرية والتطبيقات، ص٦٠٠، يبين أن استعمال القصر لتقوية نفي مقام النبوة عن نوح، ورد نوح عليه السلام بنفس الأسلوب (إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ) لقصر إعطاء الأجر على الله، فأفاد اتصاله بالله، وأنه مرسل من لدنه؛ لأجل أداء رسالة دينية، لا يبغي منها الأجر المادي.

١٦. دلالة اللفظ الواحد على ما يبدو فيه التضاد، في قوله تعالى: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ﴾ فالظن يأتي بمعنى الشك وبمعنى اليقين، ومن خلال السياق وظروف القوم الكافرين النفسية المصاحبة والبناء العقدي لديهم، تجعلنا نحمل الظن على العلم واليقين.

١٧. الاشتراك اللفظي في لفظة الرحمة فقد تعني النبوة والهداية والعناية الإلهية، ولكن السياق يقوي معنى النبوة بدلالة لفظة سبقتها وهي (بينة) التي بمعنى البرهان الظاهر، كما يدعمها نسبة كلٍّ من البينة والرحمة إلى الله، وأنها خفية وقلبية، غير ظاهرة يدركها قوم نوح، في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾، فالسياق السابق واللاحق، قوى معنى النبوة للفظة الرحمة.

١٨. التأكيد بالاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾، تبين تدرج الجدل بين نوح عليه السلام، وقومه، من أجل رد الشبهات التي نسبوها إليه، وجاء الاستفهام بمعنى الاستنكار.

١٩. صيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُم﴾ ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ﴾: كان رد نوح عليهم بنفس مفرداتهم، فكرر فعل الرؤية، واستعمل زمن المضارع ليكون أقوى لنفي دعاويهم، وابرأ لساحته، وأقوى حجة، فلو نفى دعاويهم بزمن الماضي، لم يلزم عن ذلك نفي دعاويهم في الحاضر، كذلك جاء الفعل "تَجْهَلُونَ" بصيغة المضارع الدال على استمرار، ولزوم هذه الصفة فيهم.

٢٠. لفظتا المال والأجر في قوله تعالى: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ﴾ – هناك فرق بين المال والأجر– فقد استعملت لفظة المال لتعبر عن العطاء الدنيوي من البشر، بدليل نفي نوح عليه السلام سؤال المال منهم، ولكنه أكد على أن الأجر يتوق إليه عندما يكون من الله؛ لأن عطاءه لا حد له، كما أن سياق الآيات اللاحقة جاء

فيها ذكر خزائن الله في رد نوح عليه السلام على قومه؛ لتناسب لفظة المال السابقة؛ ولتؤكد عدم ادعائه بوجود خزائن الله عنده، وتدفع تلك الشبهة وتستقيم مع مسلك نبوته ونبذه الجاه الدنيوي.

٢١. صفة الازدراء في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾، حيث جاء جمع القلة (أعين) الباصرة دون جمع الكثرة(عيون) الجارية، لتناسب المقام في لصق صفة الازدراء لأعين القوم؛ وللمبالغة، والتنبيه على أنهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية؛ ولمعاينتهم لظاهر أحوالهم وفقرهم دون التعمق في كمالات أنفسهم، وفي ذلك رد على شبهتهم في إلصاق صفة التعجل، وعدم الروية في الحكم على أتباع نوح عليه السلام، وبيان أن هذه هي صفة قوم نوح الجاهلين.[١]

٢٢. صيغة التفضيل (أفعل) في قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُ﴾؛ لتعطي دلالة إحاطة علم الله العليم، إحاطة كاملة بكل شيء علمًا، وأن الله يعلم سرائر النفوس، فهو المختص بعطاء الخير لمن علم في نفسه الصدق، والإيمان.

لقد أودع الله في قلوب اتباع الرسل المصدقين بهم سرًا من أسرار معرفته، ومحبته الإيمانية ما خفي على أعداء الرسل، فأهلهم لقبول دينه، وتصديق رسله؛ لعلمه وحكمته، يضع العطاء في مواضعه[٢]

٢٣. الفاصلة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ تعطي دلالة رفعة أخلاق نوح في تحاوره مع قومه الذين يعاجلونه بالسوء في النوايا والأقوال، وهو يتودد إليهم ويحلم

---

[١] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ص١١٩، والطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج٤، ص٢٧٤.

[٢] ينظر: ابن القيم، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، **بدائع التفسير**، تخريج يسري بن السيد بن محمد،(السعودية، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٧هـ)، ج٢، ص٥٤.

عليهم ويقنعهم، وفي هذا المقام يستخدم أسلوب التعريض مترفعًا عن معاجلتهم بما يستحقون، حاملًا في خطابه قيمًا لا أقوالًا، منها النهي عن التلبس بقيمة الظلم والانتماء إلى الظالمين، يقول ابن عاشور: "(من الظالمين) أبلغ في إثبات الظلم من: إني ظالم، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧]، وأكده بثلاث مؤكدات: إن ولام الابتداء وحرف الجزاء، تحقيقًا لظلم الذين رموا المؤمنين بالرذالة وسلبوا الفضل عنهم؛ لأنه أراد التعريض بقومه في ذلك"[١]، ويبرز نوح عليه السلام في تأسيس القناعات المنصفة مع قومه[٢]

٢٤. (إن) في قوله تعالى: ﴿إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ بالفرض؛ ليدل على الإنكار عند اليأس من القبول، وليس الشك.[٣]

٢٥. في قوله تعالى: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يعكس جانبًا من شخصية نوح عليه السلام، في مقابلته الحجة بالحجة، والموقف بالموقف، والحسم بالحسم.[٤]

٢٦. حذف المضاف ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ أي وهو كسب الذنب، وإن كنت صادق فكذبتموني، فعليكم عذاب ذلك التكذيب، فحذف لدلالة قوله تعالى: ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ وفيه إشارة إلى أن ذنوب النفس لا تنافي صفاء الروح، ما دام تبرأ منها.[٥]

---

[١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٥، ج١٢، ص٥٩.

[٢] ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (الرياض، الميمان، ط١، ١٤٣٤هـ،٢٠١٣م)، ص٤٦٦.

[٣] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ص١٢١، والصابوني، **صفوة التفاسير**، ص١٢.

[٤] ينظر: حوى، **الأساس في التفسير**، ص٢٥٥٦.

[٥] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ص١٢١.

٢٧. تكرار الألفاظ في قوله تعالى: ﴿جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ مما يعطي أجواءً مشدودة من الجدال والتحاور العنيف بين المتخاطبين، وكذلك ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾.

٢٨. استعمال (مما) بدلًا من (عما) في قوله تعالى: ﴿مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ لتشير إلى رقي جدال نوح عليه السلام مع قومه ورحمته بهم، فلم يقابل إيذاءهم القولي والمادي له بإيذاء مماثل.[١]

٢٩. التأكيد بالقصر (إنه لن، إلا) في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ توحي بمعاني الاقناط من إيمان قوم نوح عليه السلام، وكونه كالمحال، الذي لا يقع، إلا من وجد عنده ما كان يتوقع منه الإيمان، وجاءت من؛ لتدل على أن الاستمرار له حكم الابتداء.[٢]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

٣٠. لفظة (أعيننا) في قوله تعالى: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ لا تعد من الوسائل المعينة على مباشرة العمل، بل هي سبب لحفظ الشيء، فعبر بها من باب المجاز، وجاءت بضمير الجمع؛ ليدل على المبالغة والكثرة لأسباب الحفظ والرعاية.[٣]

٣١. ضمير المتكلم في قوله تعالى: ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ عائد على الله سبحانه، مما يشيع الأمن والثقة لدى نوح؛ لأن الله متولي حفظه، ومتعهد بدلالته على كيفية صنع السفينة، ويعطي أيضًا معنى معية الله تعالى له، وقربه منه.

---

[١] ينظر: الشعراوي، **خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي**، ص٤٠.

[٢] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ص١٢٢.

[٣] ينظر: محمود، عبد الحليم، **في رحاب الكون مع الأنبياء والرسل**، (مصر، دار المعارف، ط٣، د.ت)، ص١٠١، يبين أن سيرها كان محض رعاية وعناية الرب الرحيم الذي لم يترك السفينة تتخطفها الأعاصير.

٣٢. صيغة المضارع للفعل(صنع) في قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾؛ ليعطي المشهد الحيوية، والجدة، ومثول الحدث للخيال؛ ليتصوره حيًّا مجسدًا.[١]

٣٣. لفظة (فسوف) في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تعطي دلالة الاستقبال القريب للعذاب، وأن نوحًا عليه السلام قد أوحي إليه بذلك.

٣٤. التأكيد بـ (كل) في قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾؛ لتفيد الشمول والعموم لكل مخلوقات الله، وقيد ذلك الشمول بزوجين فقط؛ ليتبين من ذلك حكمة الله، وسنته في تعمير الأرض بعد ذلك، استبقاء للتناسل.[٢]

٣٥. حرف (من) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾؛ للدلالة على قلتهم، كما جاء في السياق اللاحق ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٣].

٣٦. حرف (في) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾ تعطي عدة دلالات، فقد تعني ادخلوا وصيروا بداخلها، وقد تعني كونوا في جوفها لا فوقها، أو لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك.

٣٧. الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ تسلط النور على شخصية نوح عليه السلام في بلوغه أعلى درجات التوكل على الله، كما يوصي بذلك النبراس القويم ويجعله ثابتًا في كل مراحل حياته وجميع تحركاته، ابتداءً وانتهاءً.

٣٨. الفاصلة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ تبين منهج نوح عليه السلام في استمراريته؛ لحث قومه على طلب المغفرة من الله؛ لأنه هو غفار الذنوب والخطايا،

---

[١] ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، مج٤، ج١٢، ص١٨٧٧، و**القاسمي**، **محاسن التأويل**، ص٣٠٢.

[٢] ينظر: القشيري، عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك، **لطائف الإشارات**، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م)، ج٢، ص٤٤.

[٣] ينظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، ص٣٠٣.

كما تدل لفظة "رَحِيمٌ" على أن نجاتهم ليست هي بسبب استحقاقهم لها، ولكن هي بمحض فضل ومنة من الله.[1]

٣٩. حروف الجر في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ فحرف (الباء) تضفي معاني القرب والالتصاق بمن ركب السفينة، فهي احتوتهم بقدرة الله وحفظتهم بأمره، كما أن حرف (في) تدل على أن السفينة تجري في جوف الموج كما تسبح السمكة، أو تعني أن الأمواج كالجبال محيطة بالسفينة من كل الجهات وتعلوها، وكأن السفينة بداخل الأمواج، وكلاهما لا يتعارض مع قدرة الله في إمساك الماء من الدخول فيها.

٤٠. لفظة الابن في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ تعطي نسبة الابن لنوح، وقوله: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ فتعني نسبة الابن لامرأة نوح، أو لموافقة قوله: ﴿وَأَهْلَكَ﴾ وكلاهما لا يتعارض من إعطاء معاني الحب والأبوة والحنان الذي يكنه نوح لابنه، وسياق الآيات يبين علم الله السابق في الأزل لخصائص خلقه، فلقد سبق سبحانه ونهى نوح عليه السلام بألا يخاطبه في الذين ظلموا؛ لأن الله قدر عليهم لعلمه باستحقاقهم العذاب، ومع ذلك ففطرة نوح عليه السلام الحانية غلبته، وخاطب الله في شأن ابنه فيما توالت في القصة من سياقات في قوله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾.

٤١. حذف لفظة الفلك في قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾، فلم يقل اركب معنا في الفلك، لتعينها، مع إغناء المعية عن ذكرها.

---

[1] ينظر: الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج٧، ٨، ص٥٧.

٤٢. الإبهام في قوله تعالى: ﴿إلا مَنْ رَحِمَ﴾، فلم يقل إلا الراحم، وهو الله، تفخيمًا لشأن الله الجليل، وإشعارًا بعلو رحمته، التي سبقت عذابه[١]؛ لأنه سيأتي بعد ذلك التفسير والتفصيل، وكأن (من) تعطي دلالة ابتداء الرحمة من لدنه سبحانه.

٤٣. صيغة المبني للمجهول في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ﴾؛ لتعيين الفاعل، وهو الله سبحانه وتعالى، فلا يقدر أحد غيره على مثل هذا القول البديع، والفعل العظيم، ونداء الأرض والسماء، وأمرهم يعطي دلالة القدرة العظيمة لله تعالى، وتبين انقياد الكون وطاعته له.[٢]

٤٤. النداء بـ (يا) دون سائر أخواتها؛ للدلالة على بعد المنادى، الذي يستدعيه مقام إظهار عظمة الله وعزته وجبروته، من حيث تبعيد المنادى، والتهاون به.[٣]

٤٥. فعل (البلع) في قوله تعالى: ﴿ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ فيه دلالة على أن ذلك ليس كالكشف المعتاد التدريجي للماء، بل البلع دفعة واحدة، وكذلك انشفي فقط ماءك الذي على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها مثل العيون والأنهار، فذكر المفعول يستلزم تخصيص الابتلاع، وهذا يدل على عظمة الخالق وحكمته، وإضافة الماء إلى الأرض؛ لاتصاله بها كاتصال الملك بالمالك.[٤]

---

[١] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ص١٣٢.

[٢] ينظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ص٤٨٥، ورضا، **تفسير المنار**، ص٩٥، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٥، ج١٢، ص٨١، والناصر، سعاد بنت عبدالله ، كتاب الأمة – بلاغة القصفي القرآن الكريم وآفاق التلقي، (قطر، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م)، ع١٦٩.

[٣] ينظر: القاسمي، **محاسن التأويل**، مج٤، ج٨، ٩، ١٠، ص٣٠٨، ورضا، **تفسير المنار**، ص٩٦.

[٤] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ج٤، ص١٣٤، والنسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج٢، ص٦٢، والألوسي، **روح المعاني**، ج٧، ٨، ص٦١، والقاسمي، **محاسن التأويل**، مج٤، ج٨، ٩، ١٠، ص٣٠٧.

٤٦. تقديم الأرض، وتأخير السماء في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾؛ لأن ابتداء الطوفان من الأرض.

٤٧. حذف المضاف في قوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ دون أن يقال وقضي أمر نوح عليه السلام؛ لقصد الاختصار؛ وللاستغناء بحرف التعريف عن ذلك؛ ولأن السياق يعينه.

٤٨. الإرداف في قوله " وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ" حيث اختير للنص التعبير بلفظ (استوت) بعد أن كانت الفلك تجري بصورة مستوية على الماء، فلم يكون التعبير يتوقف عن الجري للإشعار بعناية الله تعالى أنه أوصلها في مكان من جبل الجودي"[١] صالح للاستقرار عليه بصورة مستوية، في غير ميل، أو انكفاء[٢]

٤٩. تأكيد الفعل بالمصدر في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ ونسبته إلى الله العظيم القادر القاهر على قضاء الأمور العظيمة لا سواه، مما يجعل الفعل آكد وأبلغ في التخويف، ومجيء أخباره على الفعل المبني للمفعول؛ للدلالة على الجلال والكبرياء.

٥٠. **ذكر** اللام في قوله تعالى: ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾؛ ليبين اختصاص قوم نوح في بعدهم عن الهداية، وطردهم من رحمة الله؛ لما اتصفوا به من الظلم في حق أنفسهم، وحق غيرهم، من صدود، وجحود لنعم الله، وهداياته.[٣]

---

[١] الحموي، ياقوت بن عبد الله، **معجم البلدان**، (بيروت، دار صادر، د.ط، د.ت)، ص١٧٩، الجوديّ: ياؤُه مشددة، وهو جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل، عليه استوت سفينة نوح عليه السلام لما نضب الماء.

[٢] ينظر: الميداني، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، ج١٠، ص٤٠٣، يشير إلى أن المكان الذي استقرت عليه غير مضرس ولا محدب ولا منحدر، بل كان شقًّا على قدرها، ضامًا لها، وكأن توقيت وصولها إليه بعناية الله مع تناقص الماء، فالتصقت بالأرض وانحبست في المكان المهيأ لها مستوية قائمة.

[٣] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، المج٥، ص٨٢.

٥١. صيغة التفضيل أفعل وفاعِل في قوله تعالى: ﴿أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾، تدل على مفاضلة صفة الحكمة المنسوبة لله، وتفرد المولى بعلو شأنه وذاته، التي لا يماثله فيها شيء في الوجود؛ لبلوغ منتهى الحكمة.

٥٢. التأكيد بـ (إن) في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فقد تكرر في الآية الواحدة ثلاث مرات مجليًّا حقيقة لازمة، تحتاج لمزيد عناية في ضرورة اعتبار نوح عليه السلام بأن ابنه لا ينتمي إليه؛ لفقدانه رابطة العقيدة والتوحيد، فالدين أقوى رابطة من القرابة أولًا، والتأكيد ثانيًا بتقرير كفر ابن نوح عليه السلام بأنه عمل فاسد غير صالح، والتأكيد ثالثًا في تخويف نوح عليه السلام وتحذيره من الانضمام لفئة الجاهلين الغافلين عن حقيقة أهل التوحيد وصفاتهم ومآلهم.

٥٣. المجاز العقلي بين اسم إن وخبرها في لفظة ﴿عَمَلٌ﴾ في قوله ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، وفي قراءة الكسائي ﴿عَمِلَ﴾[١] فأصل التعبير أشار إليه الجصاص، بأنه يعني: ذو عمل غير صالح، كما بيَّنَ السر في العدول عن هذا الأصل الحقيقي إلى المجاز، وهو المبالغة في الصفة، فقد يعود ضمير (إن) لسؤال نوح، أو لأقرب مذكور تقدم، وهو ابن نوح، وبصرف النظر عن عود الضمير، فالوصف بالمصدر في هذا السياق أعطى أجمل دلالة.[٢]

---

[١] ينظر: الداني، **التيسير في القراءات السبع**، ص١٠٢

[٢] ينظر: الجصاص، **أحكام القرآن**، ج٤، ص٣٧٧، ٣٧٨، وسرحان، **البلاغة القرآنية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية**، ص٨٠.

٥٤. حذف الخبر في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ أي تقديره: وممن معك أمم سنمتعهم، فجاء الحذف لدلالة السياق عليه وهو ﴿مِمَّنْ مَعَكَ﴾، وفي ذلك دلالة أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم المؤمنين الذين ينشؤون ممن معك.

٥٥. لفظة (علم) تتعلق بمقام العلم الصحيح، الذي يليق بمنزلة الله، فالله نهى نوح عليه السلام من ألّا يكون في زمرة الجاهلين السائلين بما يتعارض مع حكمة الله، وعدالته وتقديره، تبعًا لشهواتهم، كما اعتبر نوح ذلك السؤال ذنبًا يستحق الاستغفار عنه، في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.[١]

٥٦. تكرر فعل (القول) حوالي عشرين مرة؛ ليبين أهمية الحوار، ودوره في قضية الرسالة، والتوحيد.

المطلب الرابع: محور سورة المؤمنون وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه:

أ. وجه تسمية سورة المؤمنون:

سميت سورة المؤمنون بهذا الاسم؛ لاشتمال مطلعها على صفاتهم، وعاقبتهم، وورد تسميتها بذلك فيما روي في حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل "عن عبد الله بن السائب قال: إن النبي ﷺ افتتح الصلاة يوم الفتح في الفجر، فقرأ بسورة المؤمنين، فلما بلغ ذكر موسى وهارون، أصابه سعلة، فركع."[٢]

كما عرفت باسم (قد أفلح) وسميت كذلك بسورة الفلاح لورود لفظة (أفلح) في أول آياتها.[٣]

---

[١] ينظر: رضا، **تفسير المنار**، ج١٢، ص٨٥، ٨٦.

[٢] السندي، نور الدين محمد عبد الهادي، **حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق نور الدين طالب، (سوريا، لبنان، دار النوادر، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م)، ج٨، رقم الحديث ٦٤٤٤، ص٢٦٧.

[٣] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٨، ج١٨، ص٥.

ب. محور سورة المؤمنون وعلاقته بمشهد قصة نوح عليه السلام:

سورة المؤمنون هي سورة الإيمان، وتقرير حقيقته، وقضاياه، وصفاته، ودلائله في النفس والآفاق، ودعوة الرسل عبر القرون، ومواقفهم ومقولاتهم عن البعث والحساب، وتنتهي وتختتم السورة بمشهد من مشاهد يوم القيامة، يقرر حينها الله العاقبة العادلة لأهل الإيمان وأهل التكذيب، وتنتهي السورة بطلب الرحمة والمغفرة؛ لتعيد حقيقة الإيمان والتوحيد، الذي يمثل محور السورة الأصيل[١]

فالسورة تؤكد تحقيق الوحدانية، وتأسيس شريعة الحق، ونقض الشرك، وهذا هو المحور الأساسي الذي تدور حوله السورة، حيث افتتحت بالوعد والبشارة للمؤمنين بالفلاح العظيم؛ لامتثالهم بأخلاق أهل الإسلام، والتنبيه على قدرة الله الخالق الذي خلق الإنسان من العدم، وقدرته على إعادة بعثه بعد الموت، وتفرده في خلق الكون من السموات والأرض، وإثبات حكمته ورحمته في إنزال الماء بقدر، فكان أصلًا لحياة العالم ومنفعته، والتحذير من جحود المنعِم الخالق الرازق، والتذكير بالأمم الغابرة، وما حل بها نتيجة صدهم، وكان في هذا التذكير مواساة للنبي محمد ﷺ وما يلقاه من قومه من صدود وأذى، ودعوته بأن يسأل الله تعالى المغفرة للمؤمنين، وهو الفلاح الذي بدأت السورة به.[٢]

بعد أن افتتحت السورة ببشارة المؤمنين، المتصفين بمجموعة من الصفات الخلقية بالفلاح العظيم، والفوز بالخلود في جنات الفردوس، والإشارة إلى بديع صنع الخالق في تفرده بخلق الإنسان، وقدرته على إنهاء ذلك الخلق، مثبتًا لحقيقة البعث بعد الموت، كما يوجه الله تعالى النظر إلى دقة صنعه في خلق السموات وإنزال الماء وتهيأت الأرض للحياة والإنبات بشتى أنواع الثمار، وخلق

---

[١] ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، مج٤، ج١٨، ص٢٤٥٢-٢٤٧٨، وحوى، **الأساس في التفسير**، ص٣٦١٢.

[٢] ينظر: الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج١، ص٣٢٩، ٣٣٠، والقاسمي، **محاسن التأويل**، ج٥، ص٢٢٥، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٨، ص٧، وشحاته، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، ج١، ص٢٥٠.

الأنعام؛ لتحقيق المنافع للإنسان من شراب وأكل وركوب في البر، ذكر ركوب البحر وهو الفلك، فاستدعى أول سفينة استعملها نوح؛ لأنه أبو البشر الثاني[١] كأول رسول أرسله الله تعالى لقومه يدعوهم إلى عبادته، وكأن الماء الذي جاء في سياق نعم الله تعالى إلى خلقه؛ ليفردوه بالعبادة والتوحيد، كان هو نفسه مصدرًا لزوالهم عند كفرهم؛ لذا ناسب ذكر قصة نوح كأول الناهضين لدعوة التوحيد، فصرح باسمه واسم موسى وعيسى كآخرهم، وأَبْهَم الباقين من الأنبياء؛ لاتصال الدعوة، وتواتر الرسل.[٢]

كما اختصت قصة نوح في السورة بمشهد مختلف، وهو كلام قومه عنه في غيبته وفي مجالسهم، وكانت البداية الصريحة في لجوء نوح إلى ربه طالبًا النصرة، من شدة الظلم الواقع عليه، فكانت مرتبطة بمحور السورة، من تأكيد لحقيقة التوحيد، وفلاح المؤمنين الممتثلين لأمر الله، وخسارة الكافرين الغافلين في ملذات الحياة الدنيا، والفرحين بخيرات الله، وإنعامه عليهم، دون إيمان وتوحيد وتقوى.

ج. أسلوب قصة نوح عليه السلام في سورة المؤمنون:

---

[١] ينظر: ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، **صحيح ابن حبان**، تحقيق محمد بن علي بن سونمز وآخرين، (لبنان، دار بن حزم، ط١، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢ م)، ص٩٨، ٩٩ رقم الحديث ٣١١٣: ذكر فيه حديث الرسول ﷺ عندما سأله رجلاً عن المدة التي كانت بين آدم ونوح عليهما السلام فقال: عشرة قرون، والطبراني، سليمان أحمد، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، د.ط، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م)، ج٨، ص١٣٩، ١٤٠، وأبو حيان، **البحر المحيط**، ج٦، ص٣٧٢، وابن كثير، إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٣٣٨، **البداية والنهاية**، تحقيق محي الدين بن ديب بن مستو وآخرين، (دمشق، بيروت، دار ابن كثير، ط٢، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م)، ج١، ص١٥٧.

[٢] ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج ٦، ص١٢٩، والألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج١٨ص٢٤، والطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، ج١٥، ص٥، وعلماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ط١، ج٥، ص١٣٤-١٣٨.

عُرضت معظم قصة نوح بأسلوب الإنشاء الطلبي؛ لاصطباغ القصة بحوار نوح عليه السلام الدعوي في دعوة قومه إلى توحيد الله تعالى والتخاطب معهم.

فيما عدا النصف الأول من أول آيات قصة نوح، فكانت إخباراً إرسال الله تعالى لنوح إلى قومه، وكذلك آخر آية تعلقت بالقصة، كتعقيب عليها، وهي كالآتي:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ * قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ *فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون:٢٣-٢٩]

ولنتتبع دلالات الألفاظ في هذه السورة:

١. حرف العطف (الواو) في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ مما يعطي دلالة بأن إرسال الله لنوح باعتباره رسولًا من الله إلى قومه، من نعم الله على خلقه، تَنْظم إلى جملة نعم الله السابق ذكرها من قبل، من حيث تكوين خلقهم وإمدادهم بكل ما يحتاجونه من نباتات مختلفة الأكل، وأنعام متعددة المنافع، ومنها نعمة الركوب عليها وعلى الفلك، أضف إلى ذلك نعمة الهداية بإرسال رسول له قصة مع الفلك[١]

---

[١] ينظر: الغرناطي، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، ج١، ٢، ص١٩٠، والدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب**، ج١٤، ص١٩٤.

وكذلك لتقدم ذكر نوح عليه السلام ضمنًا في قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون:٢٢]، لأنه أول من صنع السفينة فعطف بالواو.[١]

٢. أسلوب القسم: في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾، فاللام جواب قسم محذوف؛ أي والله لقد أرسلنا نوحًا..[٢] والداعي لهذا التأكيد كما يبينه حبنكة الميداني بأن المقصودين بهذا البيان هم المكذبون لرسول الله وما جاء به من رسالة التوحيد، فحالهم تستدعي تأكيد وقوع هذه القصة.[٣]

٣. لفظة (أرسلنا): جاءت في المكان الذي تقتضيه الدلالة السياقية، وظروف الموقف والحال، وهذه اللفظة تقتضي اللزوم الذهني، بأن الإرسال الرباني يكون بالاصطفاء لمن يشاء، فيوحي إليه، فيجعله نبيًّا، فيكلفه بعد ذلك ليحمل رسالة ربه، ويبلغها.[٤]

---

[١] ينظر: الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ص٢١٠.

[٢] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ج٣، ص١٨٢ والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**، ج١، ص٢٥٧، وأبو حيان، **البحر المحيط**، ج٤، ص٣١٩، والثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، ج٢، ص٣٧، والشربيني، **السراج المنير**، في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، ج١، ص٥٥٨، وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج٣، ص٢٣٥، والشوكاني، **فتح القدير**، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ج٢، ص٢٧٠، والصابوني، **صفوة التفاسير**، ج١، ص٤٥٢، والقنوجي، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ج٤، ص٣٨٤، ورضا، **المنار**، ج ٨، ص٤٩٠، والمراغي، **تفسير المراغي**، ج٧، ص١٨٨، والشعراوي، **خواطر فضيلة الشيخ متولي الشعراوي حول القرآن الكريم**، ج٤، ص٢١٢، والميداني، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، ج٤، ص٣١٨.

[٣] ينظر: الميداني، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، ج٤، ص٣١٨.

[٤] ينظر: **المرجع السابق**، ج١٤، ص٤٣٩.

٤. تقديم قصة (نوح) لتتصل بقصة آدم عليه السلام، على اعتبار أنه آدم الثاني.[١]؛ ولانحصار النوع الإنساني بعده في نسله.[٢]

٥. تكرار لفظ (قوم) وهم جميع أهل الأرض؛ لكونهم على لغة واحدة، ولا يعني أن نوحًا مرسل إلى الخلق كافة؛ لأن ذلك من خصائص خاتم الرسل ﷺ[٣]

٦. تقديم حرف التعقيب (الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ﴾ يوحي بسرعة نوح عليه السلام في دعوة قومه، وإلحاحه المستمر لهم، وإشفاقه عليهم.

٧. تقديم الأمر ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ على الأمر بقصر عبادتهم على الله تعالى؛ يضفي دلالة أن القوم لم ينكروا وجود الله. [٤]

٨. الاستفهام الاستنكاري في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، مشيرًا إلى أن نوحًا حملت رسالته ثلاثة عناصر هي: اعبدوا الله، مالكم من إله غيره، أفلا تتقون أي إن لم تؤمنوا به وتعبدوه وحده نزل بكم عقابه، فالرشد والعقل يقتضيان منكم أن تتقوه، فدلت هذه العبارة على التلازم الذهني، وجاء الاستفهام يفيد التعجب والاستغراب من كونهم لا يتقون، فدلت على معنى الحث على التقوى، والفاء عاطفة على ما سبق في مقول قول نوح المصرح به.[٥]

---

[١] ينظر: الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الطبري**، (السعودية، الأردن، بيت الأفكار الدولية، د.ط، د.ت)، ص٦١، ذكر مولد نوح عليه السلام بعد وفاة آدم مئة سنة وست وعشرين سنة، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٣٣٨، **قصص الأنبياء**، تحقيق بديوي، (بيروت، دار ابن كثير، ط٩، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦ م)، ص٧٧.

[٢] ينظر: القنوجي، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ج٩، ص١١١.

[٣] ينظر: الشربيني، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، ج٢، ص٦٣٨.

[٤] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٨، ج١٨، ص٤١.

[٥] ينظر: الصلابي، علي محمد، **نوح والطوفان العظيم ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية**، (د.م، دار ابن كثير، د.ت)، ص١٢٣، ١٢٤.

٩. ذكر الفعل مع حرف التعقيب: ﴿فقال﴾ بالفاء؛ لأن الملأ أجابوا بما اعتقدوا أنه جواب ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنين:٢٤][١]، كما يعطي دلالة إسراعهم بتكذيب رسولهم، دون النظر، ويخصص من قام بالرد والجواب وهم القوم ذوو السيادة والعظمة لا عامتهم.[٢]

١٠. القصر في قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ يعطي دلالة لسوء تقدير قوم نوح لنبيهم المرسل، بدليل استخدام ضمير الفصل (هذا)، فضلًا عن استعمال اسمه الحقيقي، فيعكس مدى تصغيرهم له، واستخفافهم به، مجردين عنه صفة الرسالة، ومصبغين عليه صفة البشرية والمثلية لجنسهم؛ للإشعار بأنه رجل لا يستحق أن ينظر إليه باحترام، بل بازدراء؛ ليصدوا عن الاستجابة لدعوته.

١١. صيغة الفعل المضارع (أن يتفضل) دون ﴿مِنْ فَضْلٍ﴾ [سورة هود:٢٧]، فمجيء الفعل في الحال؛ ليعطي دلالة التجدد والحدوث، وكأن الفعل ماثل أمام العين.

١٢. أداة الشرط غير الجازمة (لو) مع لام التأكيد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ يجلي حقيقة نفسية ماكثة في قلوب القوم، بمشيئة الله تعالى وإرادته في عدم إنزال الملائكة؛ لعدم إرادة الحق سبحانه إرسال الرسول، ففي ذلك تكذيب الداعي. وعبر عن الإرسال بالإنزال؛ لأن إرسالهم إلى العباد يستلزم نزولهم إليهم.[٣]

١٣. حرف النفي (ما) في قوله تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ جاءت مستأنفة مقصودة لذاتها؛ لغرض تكذيب الدعوة، وجيء بلفظ (هذا)، إشارة إلى معنى

---

[١] ينظر: الفيروزآبادي، **بصائر ذو التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ص٢١١.

[٢] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٨، ج١٨، ص٤١، ٤٢.

[٣] ينظر: القنوجي، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ج٩، ص١١٢.

كلام نوح عليه السلام، لا نفسه؛ أي ما بلغهم وقوع مثل هذا الكلام في زمن آبائهم، وعدي الفعل بالباء؛ ليتضمن معنى الاتصال، وهم بذلك يتناقضون، فقد رضوا بالألوهية للحجر ولم يرضوا بالنبوة للبشر، مما يجلي حقيقة تعطيلهم للعقل في موضوع العقيدة، كما تشير الآية إلى عادة التقليد في الاعتقاد الديني، والإصرار عليه.[١]

١٤. لفظة (جِنَّة) في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾ فجاءت هذه الصفة مؤكدة بـ (إن، وهو، إلا)؛ لتأكيد صفة الجنون بنوح عليه السلام، مما يعكس مشاعر البغض والعداء لنوح عليه السلام، فهم يحاولون إثبات الكذب والجنون، ونفي الرسالة عنه، لبشريته من جهة، ولخلو تاريخ أممهم الماضية من هذه الدعوة من جهة أخرى.

واستعمال المصدر المُنَكَّر يدل على أنهم لم يقصدوا أن يصفوا نوح عليه السلام بالجنون المطبق، بل نوع من أنواع الجنون، وهم يقصدون جنون العظمة وحب الاستعلاء، وجاء بقصر الموصوف على الصفة.[٢]

١٥. حذف الفاعل في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ لأن السياق السابق يعيينه، ويجلي دلالة سرعة فزع نوح عليه السلام إلى ربه، يطلب منه النصرة، والعون؛ لوصوله في دعوته إلى طريق مسدود؛ لجحود القوم وتسلطهم بالكذب والافتراء، وتمني قتله وموته؛ ليتخلصوا منه، فهنا لجأ نوح عليه السلام لربه؛ لينتقم له منهم.

---

[١] ينظر: الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق، دار الفكر، ط١٤، ١٤٣٩هـ، ١٦٩٠م)، ج٩، ص٣٥٦.

[٢] ينظر: الميداني، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، ج١٤، ص٤٤٣.

١٦. حذف الضمير المتصل في قوله تعالى: ﴿كَذَّبُونِ﴾؛ لتفصيل الشبهات في السياق السابق، ولسكوت نوح عليه السلام عن تعرضه، وتعرض أهله لتهديد قومه لهم بالرجم، تأدبًا مع الله، وتسليمًا بقضائه.

١٧. لفظة ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ تدل على استجابة الله لدعاء نوح، وقضائه بنصرة نوح بإعداده وسيلة الإنجاء.

واستعملت هذه اللفظة دون "فقلنا"؛ لتثبت رسالة نوح، عليه السلام، واتصاله بالوحي، وقيامه بمهمات الرسالة، من تبليغ واستجابة كاملة لأوامر الله تعالى.

١٨. لفظة" اصْنَعِ " اشتهرت في الدلالة على العمل الذي يتطلب مستوى عالٍ من الخبرة والمهارة، وهذا ما يصدقه السياق اللاحق ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ بكونه عملًا يحتاج إلى معية، ومراقبة دائمة، وتوجيه من الله، حذرًا من وقوع الخطأ، الذي قد يفضي بغرق الركاب، ولانعدام الخبرة؛ لأن المصنوع شيء مبتكر.[١]

١٩. لفظة ﴿فَاسْلُكْ﴾ أي ادخل في الفلك بانتظام وإحكام، وهذا ما يثبته السياق اللاحق كما يأتي.

٢٠. التأكيد بـ (كل)، أي من كل أمة، مما تعطي دلالة التأكيد الشامل العام لكل أنواع المخلوقات و(زوجين)؛ لبيان جميع أنواع المخلوقات، وهو جنسي الذكور والإناث و(اثنين)؛ ليقيد العدد المحدد فيهم، فيذكر ابن كثير أن الله أمر نوح عليه السلام أن يحمل ذكرًا وأنثى من كل صنف من الحيوانات، والنباتات والثمار، وغير ذلك[٢]، فجاء الأمر الإلهي واضحًا، ومتناهي في التأكيد.

---

[١] ينظر: الميداني، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، ج١٤، ص٤٤٥.

[٢] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٥، ص١٣٣.

٢١. لفظة ﴿أَهْلَكَ﴾ جاءت معطوفة على ما سبق، من عموم المخلوقات بتقيد الزوجين الاثنين منهم، فبعد الانتهاء من ذلك التوضيح، جاء توضيح آخر، وهو إدخال أهل نوح عليه السلام، ولكن باستثناء آخر يتجلى في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ فقد حكم الله الحكيم بأنهم سيكونون من المغرقين، وبذلك تتجلى العدالة الإلهية، والإحكام في تنظيم الدخول في الفلك، ومسلكه.

٢٢. حرف(على) في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾؛ للإشارة إلى أن المضي به ضار، بخلاف (اللام) الدالة على نفع المقضي به، كما دل السياق به، في قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ﴾ [الأنبياء:١٠١].

٢٣. النهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ يظهر علم الله تعالى –الأزلي المحيط المنزه عن الخطأ– خلال نبيه نوح عليه السلام من شفقته على قومه، ورغبته في نجاتهم، ولذلك نهاه من مخاطبته في شأن إمهالهم، وهذ ما حدث منه بعد ذلك في مخاطبته بشأن ابنه.

٢٤. صيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ إشارة إلى أنه لا ينبغي المسرة بمصيبة العدو إلا إذا اشتمل على دفع ضرره، وتطهير الأرض من دنس شركه وإضلاله[١]، كما أنه جاء بـ " فَقُلِ" دون "فقولوا"؛ للدلالة على إمامة نوح ونبوته، فكأن قوله قولًا لهم، مع إظهار كبرياء الربوبية، وفضل النبوة.[٢]

٢٥. صيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ فقد يعني النزول معنيين هما: ركوب السفينة، وقد يعني الخروج منها، ويشير النسفي

---

[١] ينظر: المراغي، **تفسير المراغي**، ج٦، ص٢٠.

[٢] ينظر: الدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب**، ج١٤، ص٢٠٠.

بأن البركة في السفينة تكون بالنجاة فيها، والبركة بعد الخروج منها بكثرة النسل من أولاده الثلاثة، وتتابع الخيرات بعد الإنجاء.[١]

٢٦. التأكيد بـ (إن، اللام) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾، وكذلك التأكيد في (إن، كنَّا، واللام) في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾؛ ليتضح سنة الله في خلقه التي لا تتغير ولا تتبدل، وتعطي دلالات على تمام قدرته ومنتهى عدله في اختبار الناس بإبراز الآيات، وإرسال الرسل، وتحقيق العبر والعظات.

٢٧. تكرار حرف العقيب (الفاء) ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ﴾، ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ﴾، ﴿فأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾، ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾، ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾، ﴿فَقُلِ﴾، مما يعطي دلالة تتابع الخطاب بين المتخاطبين على وجه السرعة، وتتابع الأحداث بدون مهلة أو تريث.

المطلب الخامس: محور سورة الشعراء وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه:

أ. وجه تسمية سورة الشعراء:

اشتهرت عند السلف بسورة الشعراء؛ لتفردها بذكر كلمة (الشعراء) من بين سور القرآن الكريم. فقد ذكر الله تعالى في ختامها أخبار الشعراء؛ للرد على المشركين الزاعمين بأن محمدًا ﷺ كان شاعرًا وأن ما جاء به هو شعر، فرد الله تعالى على كذبهم، فنزلت الآية وظهر الحق.[٢]

كما روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما): "قال تهاجى رجلان على عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء، فأنزل الله ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٤]، وأخرج ابن جرير والحاكم عن أبي

---

[١] ينظر: البغوي، **معالم التنزيل**، ج٣، ص٢٥٨، والنسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج٢، ص٤٦٦، والخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج٣، ص٢٧١، والقنوجي، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ج٩، ص١١٥، وحوى، **الأساس في التفسير**، ج٧، ص٣٦٤٣.

[٢] ينظر: الصابوني، **صفوة التفاسير**، ج٢، ص٣٧٣، ٣٧٤.

حسن البراد قال: "لما نزلت" وَالشُّعَرَاءُ".. الآية، جاء عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت، فقالوا: يا رسول الله، والله لقد أنزل الله هذه، وهو يعلم أنا شعراء، هلكنا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية، فدعاهم رسول الله ﷺ فتلاها عليهم."[١]

وسميت بسورة طسم[٢] وسميت أيضًا في تفسير مالك بن أنس الجامعة[٣]، وسميت الظلة[٤]

ب. محور سورة الشعراء وعلاقته بمشهد قصة نوح عليه السلام:

التنويه بالقرآن الكريم المعجز عن الإتيان بمثله، وتسكين أسف الرسول ﷺ على ما يواجهه من أذى قومه، من إعراضهم عن دعوة الإيمان، وتهديد الجاحدين من غضب الله، وضرب المثل بما حل بالأقوام المكذبة رسلها، وفي ذلك تثبيت للرسول ﷺ وتسليته بأن ما يتعرض له في دعوته هو سنة الرسل، والرد على ما يلحق القرآن الكريم من مطاعن، وتنزيهه من صفة الشعر، ومن أقوال الشياطين.[٥]

ويدور محور السورة حول قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ التي تكررت ثماني مرات كخاتمة لكل قصة، وكذلك الدعوة إلى (التقوى والطاعة)، التي تكررت في نصيحة كل الرسل لأقوامهم، فقد جاءت في سبع قصص بمعدل

---

[١] السيوطي، الحافظ أبو الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن، **لباب العقول في أسباب النزول**، (لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م)، ص١٩٤، ١٩٥.

[٢] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٨، ج١٨، ص٨٩.

[٣] ينظر: البقاعي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج٢، ص٣٦٠، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٥، ص٢٩٢.

[٤] ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ج٢، ص٣٢٤.

[٥] ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ج٢، ص٣٢٦، والفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج٢٣، ص٣٤٤، ٣٤٥، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٨، ج١٨، ص٩٠، ٩١، وشحاته، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، ج١، ص٢٦٦.

مرة أو مرتين، مما يحيط بجو من الاعتبار والعظة، في النهايات التي تعرضت لها الأمم البائدة من جراء تكذيبهم الرسل من حكم إلهي في هذه القصص، يدل على قدرة الله تعالى، وعظمته في الخلق، والتدبير، والإهلاك؛ ليكون عبرة لأهل مكة.[١]

يرجع السياق القهقري في عرض القصص، فهو سياق مخالف للخط التاريخي؛ لأن العبرة هي المقصودة لذاتها، فكان جو الإنذار والتكذيب والعذاب هو الغالب على القصص في هذه السورة.

حيث إن السورة تواجه تكذيب مشركي قريش للرسول واستهزائهم بالنذر وبالقرآن واستعجالهم بالعذاب، فجاء السياق يبين قدرة الله ورحمته، وتهديده على قهر المكذبين، بعرض قصة موسى مع فرعون وملئه ونهايتهم في الدنيا، وتكريم المؤمنين المستضعفين، المشابهين لمؤمني مكة مع كفار قريش.

ثم عرضت قصة إبراهيم ومشهداً كاملاً من مشاهد الآخرة، ومآل المكذبين فيها، المنكرين للتوحيد والمشركين بالله، وما حل بهم من ندامة على ذلك، كعبرة وتذكير لمشركي مكة.[٢]

فبدأت السورة بخطاب مباشر لرسول الله ﷺ، ثم تلى ذلك قصة موسى وقصة إبراهيم، وجاءت قصة نوح عليه السلام في الترتيب الثالث من بين قصص الأنبياء، مبتدأه ﴿كَذَّبَتْ﴾ لتومئ أن كل قوم كذبوا نبيهم فكأنما كذبوا الرسل كافة، وتشير أن دعوة الأنبياء واحدة، وأن أهل الكفر

---

[١] ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، مج٥، ج١٩، ص٢٥٨٣.٢٥٨٨، وحوى، **الأساس في التفسير**، ج٧، ص٣٩٠١، ٣٩٠٢، والبدوي، أحمد بن عباس، **أهم خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (السعودية، جامعة أم القرى، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م)، ص٣٦-٤٦.

[٢] ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، مج٥، ج١٩، ص٢٦٠٠-٢٦٠٦.

على وتيرة واحدة، ومصيرهم واحد، وإن اختلفت صور العذاب، وفي ذلك تخفيفٌ عن الرسول، وعبرة للكافرين وآية معجزة لكافة الناس[١]

ولعل المتأمل في ذلك الترتيب يلاحظ تفرد قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب بأسلوب خطابي يختلف عنه في قصة موسى وإبراهيم، فقد كانت لفظة "كذبت" مستفتحة للحديث عن قصصهم، كما جاء قوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ متكررًا في تلك القصص، ثم تكرر ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾، و ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ وهذا الأسلوب لم يرد في قصتي موسى وإبراهيم.

ويشير الفيروز آبادي إلى لطيفة في ذلك وهي عدم ورود ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ في قصة موسى؛ لأن الذي رباه هو فرعون حيث قال تعالى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾، كما لم ترد في قصة إبراهيم؛ لأن أباه في المخاطبين، حيث قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾، فاستحيا أن يقولا ذلك القول، مع نزاهتهما من طلب الأجر[٢]، كما ينبه الرازي في تفسيره بأن الله لما قص على محمد خبر موسى وإبراهيم، تسلية له لما يواجهه من صدود قومه، قص عليه نبأ نوح، حيث كان نبؤه أعظم من نبئ غيره؛ لطول مدة دعوته معهم، التي استمرت ألف سنة إلا خمسين عامًا، ومع ذلك كذبه قومه.[٣]

وهذه الإشارات تدل على تقدم قصة موسى؛ لأنه قاوم أشد طواغيت الدنيا وهذا فيه إيذان بأن محمدًا ﷺ سيهزم جمع المشركين، وجاءت قصة إبراهيم تأديبًا للعرب؛ لأنه أبوهم الذي يتشرفون به ويحتمون بمسجده أول بيت وضع للناس، ولعلهم يهتدون بهدية، وجاء من بعد ذلك قصة نوح

---

[١] ينظر: علماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم** ط١، ج٥، ص٣٢٩.

[٢] ينظر: الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج١، ص٣٤٦.

[٣] ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، (طهران، دار الكتب العلمية، د.ت) ج٢٣، ص١٥٤، والدمشقي، **اللباب في علوم القرآن**، ج١٥، ص٥٥.

الأب الثاني للخليقة، وما آل أمرهم من تكذيب رسولهم، وإهلاك الله إياهم، مما يؤيد محور السورة أن أكثر الناس لا يؤمنون.[1]

وجاء السياق بعد ذلك معرضًا في تتابع قصص الرسل (نوح وهود وصالح ولوط وشعيب) عليهم السلام في تشابه مطلع الآيات؛ حيث الدعوة إلى التقوى، والطاعة، والزهد، في طلب الأجر، مع التفرد بدعوى الإصلاح الخاصة بكل قوم، واختلاف عاقبتهم، ثم تطابق خاتمة كل قصة بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء:١٢١، ١٢٢]؛ ليمثل وحدة متماسكة منسجمة في محورها الأصيل.

ج. أسلوب قصة نوح عليه السلام في سورة الشعراء:

عرضت قصة نوح عليه السلام بأسلوب الإنشاء الطلبي في معظمها، من تبادل التخاطب وتداول الحوار، باستثناء الآية الأولى كانت جملة خبرية، تفيد تكذيب قوم نوح، وكانت الآية الأخيرة أيضًا إخبار إلهي بسنة إهلاك الأمم الكافرة، وذكر صفة العزة والرحمة لله.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ * قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ * قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ * قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء:١٠٥-١٢٢]

---

[1] ينظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ص٥٣٧٦.

ولنتتبع مدلولات الألفاظ في هذه السورة:

١. جمع الفاعل في لفظة ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾؛ لتعطي دلالة أن تكذيب رسول واحد كتكذيب جميع الرسل؛ لاجتماع الكل على وحدة الرسالة، وعقيدة التوحيد، وأصول الشرائع؛ ولأن كلَّ رسول يأمر بتصديق جميع الرسل.[١]

٢. لفظة ﴿أَخُوهُمْ﴾ تشير إلى وحدة النسب، واللغة، وصدق المعرفة، مما يفضي إلى قبول دعوته.[٢]

٣. حذف المفعول في قوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: ألا تتقون عقاب الله[٣]؛ لأن نوحاً عليه السلام يعلم أن قومه قبلوا ديانة الآباء للتقليد، والمقلد إذا خُوِّف خاف، وما لم يحصل الخوف في قلوبهم، فإنهم لن ينشغلوا بالاستدلال، فلهذا السبب قدم هذا الاستفهام الاستنكاري على جميع كلماته.[٤]

٤. التأكيد بـ (إني، لكم) في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ يؤكد نوح عليه السلام أنه كان فيهم مشهورًا بالأمانة من قبل الرسالة، فقدم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ لأنه أراد تفصيل التعليل الأول: ألا تتقون مخالفتي وأنا رسول الله.

وفي ذلك دلالة أهمية تعريف الداعي بنفسه؛ لتحقيق المقصد الأخروي، وهذا لا يدخل من باب تزكية النفس المنبوذة.[٥]

---

[١] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ج٦، ص٢٩١، والرازي، **التفسير الكبير**، ص١٥٤، وابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٧، ص٣٦٦.

[٢] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ج٦، ص٢٩١، والبقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج٥، ص٣٧٤.

[٣] ينظر: السمين، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ، تحقيق أحمد الخراط، (دمشق، دار القم، ط١٤٣٧،٤هـ، ٢٠١٦م)،ج٨، ص٥٣٦.

[٤] ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ص١٥٤.

[٥] ينظر: حوى، **الأساس في التفسير**، ج٧، ص٣٩٣٢.

٥. أسلوب القصر في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يثبت وصف نفسه بالرسول، فهو لا يرغب بأخذ الأجر منهم، وإنما يريده من الله تعالى، الذي أرسله بالرسالة وكلفه بها، وهذا التعليل الثاني.

٦. تكرار الأمر في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فقد جاءت الأولى للتعليل الأول المتعلق بأمانة رسالته، وجاءت الأخرى للتعليل الثاني المتعلق بعدم طلب الأجر من قومه[١]، وجاء تكرار الأمر؛ للتأكيد على وجوب طاعته فيما يدعو إليه؛ لاجتماع الأمانة وحسم الطمع في طبعه وشهرته بذلك[٢] مما يجلي عمق فهم نوح عليه السلام لطبيعة قومه النفسية والعقلية، فقدم الأمر العقدي مبتدئًا بمخاطبة الشعور، ثم معللًا للسبب المنطقي، ثم مختتمًا بإعادة مخاطبة النفس والمشاعر.

٧. تقديم العلة على المعلول في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فجاء تقديم الأمر بتقوى الله على الأمر بطاعته؛ لأن تقوى الله تعالى سبب وعلة لطاعته، بدليل جواب قومه لما قال لهم ذلك ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ.﴾[٣].

٨. التأكيد بـ (إن، إلا) في قوله تعالى: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ وجاءت إن بمعنى: ما؛ ليثبت نوح عليه السلام أن المجازي على العمل هو الله وحده، وأما أنا فلست بمحاسب، فيقرر حقيقة المجازاة للحق[٤].

---

[١] ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ص١٥٤، والزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج١٠، ص٢٠٣.

[٢] ينظر: الخفاجي، **حاشية الشهاب عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج٧، ص٢١.

[٣] ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ص١٥٥، والقنوجي، **فتح البيان**، ج٩، ص٤٠٠.

[٤] ينظر: الشربيني، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، ج٣، ص٦٤.

٩. لفظة ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ تبين حقيقة استخلصها نوح عليه السلام من جراء مخاطبته قومه وهي: أنهم ليسوا من أهل الشعور، فلو كانت لهم مشاعر حية، لعلموا واستجابوا للحق، ولهذا كان ردهم وموقفهم[١].

١٠. النداء بـ (يا) في قوله تعالى: ﴿يَا نُوحُ﴾ تثبت جفاء أخلاق قومه وقلة أدبهم[٢].

١١. لفظة ﴿لَمْ تَنْتَهِ﴾ تعطي حقيقة مسلك نوح عليه السلام الدعوي، فهو مستمر في دعوة قومه في كل الأوقات والأحوال، يكرر، ويحاج، ويبرر، ويسر، ويعلن، فكانت طبيعة الدعوة لديه غير متناهية، مع طول الأمد.

١٢. التأكيد بـ (اللام، النون) في قوله تعالى: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ تعطي دلالة يأس قوم نوح من مجاراته في التخاطب العقلي؛ لتفوق حجته عليهم، وانتقالهم إلى اتباع أسلوب التهديد بالرجم، أي القتل بالحجارة، مما تشير إلى اختيارهم لقتله أقبح قتله، وهذا موقف من أعوزته الحجة وأبطرته القوة[٣].

١٣. لفظة ﴿كَذَّبُونِ﴾ تزيد من سمو أخلاق نوح عليه السلام وتجرده من المصالح الشخصية، فهو حين شكى إلى ربه إصرار قومه على الكفر، لم يذكر شيئًا عن تهديدهم له بالرجم؛ لأن جل اهتمامه أن يصدقه قومه في الوحي والرسالة[٤]. أما ما قد يتعرض له من مخاطر خاصة به، فلم ينشغل به قولًا ولا دعاءً.

---

[١] ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج٣، ص٢٥٥.

[٢] ينظر: الشربيني، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، ج٣، ص٦٥.

[٣] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ج٦، ص٢٩٣، والشربجي، **تفسير البشائر وتنوير البصائر**، ج٢، ص٦٧٦.

[٤] ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج٢، ص٥٧٢، والخفاجي، **حاشية الشهاب عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج٧، ص٢٢.

١٤. تأكيد الفعل بالمصدر في قوله تعالى: ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ فبعد إصرار قوم نوح عليه السلام في الصد عن دعوة الحق، وإثارة الشبهات، واللجوء إلى القوة والبطش به، فدعا الله ليحكم بينه وبينهم بما هو حق ومستحق، ويعطي الفعل (فتح) معنى فتح لأبواب الفضل والرحمات على مستحقيه، وفتح أبواب العدل والجزاء لمستحقيه، وجاء بالمصدر يؤكد هذا الدعاء ويزيده قوةً وإصرارًا.

وهذا أسلوب استباقي يعرض حدث لاحق مقدمًا ويجلي طلب نوح من ربه النجاة ويصوره محققًا[١].

١٥. حذف المنجى منه في قوله تعالى: ﴿وَنَجِّنِي﴾؛ لأن سياق الآية يوضحه والمعنى: أي مما يحل بقومي.

١٦. ذكر أداة المهلة (ثم) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾ تشير إلى غرابة العقاب لجميع المكذبين، وعظيم شأنه، فجاء بأداة البعد، أي بعد نجاة نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين، جاء عذاب البقية الكافرة[٢].

١٧. النفي بـ (ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تشير إلى حكمة الله وعظمته، والتي اقتضت أن يكون أكرم الخلق مؤمنًا به، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، ومما لا شك فيه أن قلة الخلق كرام وأكثرهم لئام[٣].

١٨. التأكيد بـ (إن، اللام) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ فهو سبحانه العزيز الذي لا غالب على مراده، من عقوبة المكذبين، وهو الرحيم الذي يرحم عباده

---

[١] ينظر: الطحان، **السرد في القصة القرآنية: قصة نوح أنموذجاً**، ص٥٤.

[٢] ينظر: الشربيني، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، ج٣، ص٦٥.

[٣] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ج٦، ص٢٩٣.

المؤمنين والتائبين[١]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ تجلي عظمة الأمر الذي وقع بقوم نوح عليه السلام، من استجابة دعاء، والإمهال، ثم الإنجاء، والإهلاك، وتبرز سنن الله تعالى في كونه، ومع خلقه، التي لا تتعطل، ولا تتبدل، ولا تزول.

المطلب السادس: محور سورة نوح وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه:

أ. وجه تسمية سورة نوح:

سميت سورة نوح؛ لذكره في كل السورة من مفتتحها إلى مختتمها، ولم يذكر لها اسم آخر[٢] وترجمها البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير بترجمة (إنا أرسلنا نوحاً)[٣]

ب. محور سورة نوح وعلاقته بمشهد قصة نوح عليه السلام:

تُعد سورة نوح بمثابة التقرير النهائي الجامع لكل ما حوى قصة نوح عليه السلام في رسالته، من إثبات قدرة الله تعالى على ما أنذر به في آخر سورة المعارج من إهلاك المنذرين، وتبديل خير منهم، وضرب المثل بقصة نوح وامتثاله، بتكاليف الرسالة، ودعوة قومه؛ لعبادة الله وطاعته، وترغيبه للاستغفار، وشكايته لربه على عصيان قومه، رغم تنوع أساليبه الدعوية، وبيان قدرة الله تعالى في الكون، وتذكيرهم بيوم البعث، وذكر إعراض قومه، وتوجهه إلى الدعاء عليهم بالهلاك، والدعاء للمؤمنين بالغفران[٤].

---

[١] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ج٦، ص٢٩٣، والشربيني، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، ج٣، ص٦٥.

[٢] ينظر: الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج١، ص٤٨٢.

[٣] ينظر: البخاري، في **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، ص١٠٣٠.

[٤] ينظر: البقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ج٣، ص١٢٤، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج٨، ص١٦٢، والفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج١، ص٤٨٢، والفراهي، عبد الحميد، **دلائل النظام**، (الهند، المطبعة الحميدية، ط١، ١٣٨٨هـ)، ص٩٧، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٢، ص١٨٥، ١٨٦، والمراغي، **تفسير المراغي**، ج١٠، ص٩١.

عرضت السورة قصة نوح عليه السلام مبرزة جوانب مضيئة في أسلوبه الدعوي، وسماته الشخصية، ولم يخرج موضوع السورة من افتتاحها إلى ختامها عنه وعن قومه. وسياق سورة نوح عليه السلام ارتبطت بالسياق السابق في سورة المعارج، التي ختمت بالإنذار للكفار، عباد الأوثان في الأخرة، أتبعها أعظم عذاب كان في الدنيا[1].

ج. أسلوب قصة نوح عليه السلام في سورة نوح:

تم عرض قصة نوح عليه السلام في هذه السورة بصورة كاملة بأسلوب الإنشاء الطلبي، ماعدا النصف الأول من أول الآيات، كانت خبر إرسال الله نوحًا عليه السلام إلى قومه، وهي كالآتي:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ *أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا

---

[1] ينظر: الشربيني، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، ج٤، ص٤٣٠، وحوى، **الأساس في التفسير**، ص٦١٤٧، وعلماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٨، ص٣٦٢.

فِجَاجًا * قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا * مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا * وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح:١-٢٨]

ولنتتبع مدلولات الألفاظ التي وردت في السورة وما دلت عليه من المعاني:

١. حرف التأكيد الداخل في ضمير المتكلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا﴾ للاهتمام بالخبر الصادر من الله تعالى، فالمقام ينفي عنه أدنى محاولة للإنكار أو الشك، فالإخبار الإلهي يعطي الخبر عظمة بالغة.

٢. ذكر (أن المصدرية) ووصلها بالفعل، وحذف الجار في قوله تعالى: ﴿أَنْ أَنْذِرْ﴾ تعني أرسلناه بالإنذار فقلنا: له أنذر، ومجيء الإرسال بالأمر؛ يعطي دلالة التوجه الفوري لأداء رسالة الإنذار حال الأمر[١].

٣. تقديم الإنذار وإفراده في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ مع كون نوح عليه السلام بشيرًا أيضًا؛ لعلمه بطبيعة قومه؛ ولأن الإنذار أقوى في تأثير الدعوة، فأكثر الناس تطيع بالخوف من القهر أولًا، ثم بالطمع في العطاء، ونادرًا من يطيع بالمحبة للكمال

---

[١] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ج١٠، ص١٧٢، والرازي، **التفسير الكبير**، ج٢٩، ص١٣٤، والشربيني، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، ج٤، ص٤٣١، وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج٩، ص٣٧، والألوسي، **روح المعاني**، ج٢٩، ص٦٨.

والجمال، وقد يكون الأسلوب الأولى في التعامل مع أهل الكفر هو الإنذار، ومع أهل الإيمان هو التبشير[١].

٤. لفظة ﴿أَطِيعُونِ﴾ فلم يقل أطيعوه مع أن السياق السابق جاء بقوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ وطاعة نوح عليه السلام داخلة في أمره بعبادة الله وتقواه، ولكن أكد بذكر ذلك التكليف، ومبالغة في تقريره، كما أن إسناد الطاعة إليه، يدل أن طاعته من طاعة الله كقوله ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:٨٠][٢].

٥. ذكر (من) في قوله تعالى: ﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ تعطي دلالة غفران ما تقدم من الذنوب، وما سلف في الجاهلية؛ لأن الإسلام يجب ما قبله لا ما تأخر عن الإسلام[٣].

٦. الترغيب في قوله تعالى: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ فقد خاطب نوح قومه على ما يعقله قومه، ويطمح إليه من حب النجاة، وحفظ الأرواح من العقوبات المهلكة، التي يعتقدون أنها تعجل الأجل[٤].

٧. الفاصلة في قوله تعالى: ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تشير إلى أن قوم نوح ضيعوا أسباب العلم وآلات تحصيله، بانغماسهم في حب الدنيا، فأصبحوا لا يدركون بحتمية وقوع الموت وعدم تأخيره.[٥]

---

[١] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ج١٠، ص١٧٣.

[٢] ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ٢٩، ص١٣٤.

[٣] ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٩، ص٦٨٩، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج١٢، ج٢٩، ص١٨٩، والخفاجي، **حاشية الشهاب عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج٨، ص٢٤٩.

[٤] ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج٣، ص٢٢٨، والزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج٥، ص٢٢٨.

[٥] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ج١٠، ص١٧٤.

٨. التأكيد بـ (إن) في قوله تعالى: ﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾؛ لتجلي حقيقة أسلوب دعوة نوح عليه السلام المستمرة لقومه على مدار الزمان الطويل لمكوثه بينهم، وتعاقب الليل والنهار دون توقف، وكذلك في قوله: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا﴾ فجاء بـ (كل، ما)؛ لتؤكد شمول الزمن، وبلوغ الوسع في الدعوة.

٩. تأكيد الفعل بالمصدر في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾؛ ليجلي شدة عناد قوم نوح عليه السلام وأخذهم بعزة النفس المصرة على المعصية، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ تأكيدُ الفعل بالمصدر ؛ ليفيد شدة تقرب نوح عليه السلام لقومه، وإلحاحه على قبول دعوته، وشتان بين الفعلين، تغطرس شديد، وبذل متناهي في العطاء.

١٠. حرف المهلة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ تبين تنقل نوح في دعوة قومه بين أساليب متنوعة متباعدة الأحوال، فيبدأ بالأهون فيدعوهم بالسر، ويلتمس الخلوة ويطرق أبوابهم؛ ليحثهم على الإيمان في جو من الود والقرب والانتقاء الشخصي وتخصيص الأوقات الخاصة، ثم يترقى فيلجأ في الدعوة إلى الأشد، فيخاطب عموم الأفراد في حالات عامة، بأسلوب الجهر والخطاب الجمعي، وتارة يجمع بين الأفراد والإعلان الجمعي، والأسرار والجهر[١].

---

[١] ينظر: السمين، أحمد بن يوسف، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ج١٠، ص٤٦٩، والدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب**، ج١٩، ص٣٨٤، والميداني، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، ج١٣، ص٧٠٥.

حرف المهلة (ثم) "لها دلالة تباعد الأحوال، فالجهار أغلظ من الإسرار، والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما"[١]

١١. لفظة ﴿أَصَابِعَهُمْ﴾ جاء كناية عن المبالغة في إعراض قوم نوح عما يدعوهم، فكانت توحي بالمبالغة في سد المسامع، وتكشف فرط عنادهم وغلّوهم في الضلال[٢] فالإصبع لا يدخل كله في الإذن، وإنما الأنملة تسد فتحة السمع، فجاءت هذه اللفظة دليلاً على شدة كراهيتهم لكلام نوح، ودليل على جهلهم، لأنهم لو عقلوا وسمعوا فقد تميل قلوبهم إلى الهدى.

١٢. صيغة (فَعّال) في قوله تعالى: ﴿غَفَّارًا﴾ تعطي مع التشديد مبالغة لهذه الصفة الربانية الأزلية فتجلي كثرة المغفرة ودوامها، وتأتي لفظة ﴿كُبَّارًا﴾ فتعطي مع التشديد مبالغة لصفة قوم نوح في صنيعهم للمكر، فهو في أعلى وأعظم وأكبر مستويات الخبث والخفاء والشر، وجاء بصفة الجمع ليعطي معنى الكثرة، وكذلك لفظة "كَفَّارًا" تلقي بظلالها على معرفة نوح عليه السلام بصنيع الآباء والأجداد الدائم في تعليم الأبناء بأنه كاذب فاحذره، فينشؤون على ذلك، فوصف فعلهم بأعلى المستويات كأنهم كبراء يعلمون الصغار[٣]، فيتجلى الفعل بهذه الصيغة صفة الدوام، والكثرة، والتلقي من أعلى المستويات لمن أدنى.

---

[١] ابو حيان، **البحر المحيط**، ج٨، ص٣٣٣، والدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب**، ج١٩، ص٣٨٤.

[٢] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج١٢، ج٢٩، ص١٩٥، والشعراوي، **خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي**، ج، ص٦٥٥.

[٣] ينظر: الشربيني، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، ج٤، ص٤٣٨، والخالدي، **القصص القرآني عرض ووقائع وتحليل أحداث**، (دمشق، دار القلم، ط٤، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م)، ج٢، ص٤٦٦، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، (دمشق، دار القلم، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م) ط١، ص٣٠٢، ذكر فيهما سر تعبير القرآن بلفظتي ساحر وسحّار في قصة موسى في سورتي الأعراف والشعراء.

١٣. صيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ فهذه الصيغة تعطي دلالة التجديد والاستمرار، فمعاصرة نوح عليه السلام لقومه زمنًا طويلًا، وتكذيبهم إياه، ومعرفته بأحوالهم، جعل لدعوته جانبًا آخر، وهو البشارة، وزرع الأمل، وتطميع النفوس المكسورة بعطاء الوهاب، فالخلق مجبولون على محبة الخيرات العاجلة، لذا أطمعهم نوح[١].

١٤. تقديم الأموال على البنين بقوله تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ لأنه الأصل، وبقاء الأموال غالبًا بهم وإليهم آخر الأمر، وعطف بالواو لأن محبوبية كل من الأموال والبنين لا تكتمل بدون الآخر[٢].

١٥. تكرار الفعل في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾؛ للاعتناء بأمر الأنهار، فإن بقائها هو الأهم، من أصل وجودها[٣].

١٦. الحذف في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾، فلم يقل (أنبتكم إنباتًا)؛ لأن الإنبات صفة لله تعالى، وهي صفة غير محسوسة لنا، فالمقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله لا يمكن إثباته بالسمع. أما قوله (أنبتكم نباتًا) يعني أنبتكم نباتًا، كالنبات بكونه عجيبًا كاملًا، فاستدل بالنبات المحسوس المشاهد؛ ليكون الاستدلال به

---

[١] ينظر: مقاتل، **تفسير مقاتل بن سلمان**، تحقيق عبد الله شحاته، (لبنان، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م)، ج٤، ص٤٥٠، ذكر فيه أن قوم نوح عليه السلام لما حبس الله عنهم المطر وعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت جناتهم ومواشيهم، فصاحوا إليه فدعاهم إلى التوحيد والاستغفار من الذنوب؛ ليصيبوا خيري الدنيا والآخرة، والزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة ولشريعة والمنهج**، ج١٥، ص١٥٧.

[٢] ينظر: الألوسي، **روح المعاني**، ج٢٩، ص٧٣.

[٣] ينظر: **المرجع السابق**، ج٢٩، ص٧٣.

موافقًا لهذا المقام[١]، مما يعطي دلالة على تتبع أسلوب تقريب النظر للنعم إلى عقلية قوم نوح ومداركهم؛ ليتحصل العلم. وقد لجأ نوح عليه السلام إلى جذب انتباه قومه إلى استعمال المقدمات والتبريرات والأدلة؛ ليصلوا إلى النتيجة المرجوة، فذكرهم أن من بَدَأ خلقهم من العدم قادرٌ على إعادتها بعد الموت[٢].

١٧. تأكيد الفعل بالمصدر في قوله تعالى: ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ يؤكد بذلك البعث والحشر بكونه محققًا لا محالة، فدلالة الجمع بين الفعل ومصدره الذي يلاقيه فيه دلالة على الحدث، ولكنه يفارقه في خلوه من الزمن؛ مما يوحي بحتمية الخروج من الأرض بعد الإقبار، فكان مجيء المصدر له دلالة قهرية، يسلب فيها اختيار الإنسان في هذه القضية المصيرية من موت وبعث ونشور[٣].

١٨. الاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾، ﴿أَلَمْ تَرَوْا..﴾ فيستدل نوح عليه السلام على الله بذكر آلائه، وبديع صنعه، كدليل عقلي يخاطب فيه عقول قومه المكذبين[٤].

١٩. تقديم المفعولية في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾؛ ليعطي دلالة الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم؛ وللتشويق إلى المؤخر؛ لكون النفس تترقب

---

[١] ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج٣٠، ص١٤٠، ١٤١، والخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج٤، ص٣٤٥، ٣٤٦.

[٢] ينظر: آل سالم، عبد الزهرة بن إسماعيل، **حجاجية القصص القرآني: قصة نوح (عليه السلام) إنموذجاً**، (جامعة بغداد، مجلة كلية الآداب، ٢٠١٤) ع١٠٧، مجلة ثقافتنا، ص٧٥.

[٣] ينظر: نوح، أحمد بن عبد الله، **الخطاب القرآني من السياق إلى الدلالة، دراسة تحليلية**، (مجلة آداب البصرة، كلية الآداب، ٢٠١٢م)، ع٦٢، ص١٤٩.

[٤] ينظر: عبد الملك، خديجة بنت محمد، **الدروس المستفادة من خطابات الرسل مع أقوامهم من خلال سورة هود**، رسالة ماجستير، كلية الدراسات الإسلامية، (السودان، جامعة إفريقيا العالمية، ٢٠١٧م)، ص١٣٢.

له[1]، وفي ذلك تدرج نوح في سلم الحجاج، فبدأ بنفس الإنسان وهي الأقرب، وانتهى بدلائل الآفاق، وهي الأعظم[2].

٢٠. ذكر الصفة دون الموصوف في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾؛ لأهمية وقع الخسران على متبعي المضلين ذوي النفوذ والولد، فذلك أكثر أهمية من ذكرهم، ولتفاقم الخسران الدنيوي والأخروي، فجاء ذكر نتيجة الأعمال الضالة؛ لدلالتها على مقدماتها.

٢١. التأكيد بالتكرار في لفظة (تذرن) ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آَلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، فعطف العام وهو (آَلِهَتَكُمْ) ثم فصلها بذكر أسمائها، الأهم ثم المهم، كما تكرر التأكيد بالنفي (لَا) عن كل فرد لا عن المجموع، وتركوا التأكيد في قولهم: ﴿وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾؛ لأن سياق إرادة النفي معلوم[3].

٢٢. وقوع (ما) بين الجار والمجرور في لفظة ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾؛ لتأكيد الحصر، الذي يجلي حقيقة استحقاقهم الإغراق من أجل خطاياهم، وتفخيمها أي بسبب كثرة خطاياهم العظيمة، ووروردها نكرة وجمع كثرة، يدل عليه السياق السابق، فقد استمر تكذيبهم سبعة قرون، فكان المقام مقام تكثير الخطايا[4].

---

[1] ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج٩، ص٣٩، ٤٠.

[2] ينظر: آل سالم، عبد الزهرة بن إسماعيل، **حجاجية القصص القرآني: قصة نوح (عليه السلام) إنموذجاً**، ص٧٥.

[3] ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج٣، ص٥٤٥، الشربيني، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، ج٤، ص٤٣٥.

[4] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ج١٠، ص١٨٣.

الاستباق في قوله: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ..﴾ فيه دلالة المستقبل المشرق للمؤمنين، والجزاء العادل للكافرين.[١]

٢٣. الضمير المستتر للفاعل في قوله تعالى: ﴿يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾؛ لأن السياق يعينه، وهم كفار قوم نوح عليه السلام.

٢٤. عطف الخاص قبل العام في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فقدم الأخص، وهو النفس، ثم الوالدين، ولمن عرفه مؤمنًا، ثم عموم المؤمنين، فبدأ أولًا بنفسه؛ لأنها أولى بالتخصيص والتقديم، ثم ثنى بمن يتصل به؛ لأنهم أولى وأحق بدعائه من غيرهم، ثم عموم المؤمنين؛ ليكون الدعاء أبلغ[٢].

---

[١] ينظر: الطحان، **السرد في القصة القرآنية: قصة نوح عليه السلام أنموذجًا**، ص٥٤.

[٢] ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج٣، ص٥٤٧، والخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج٤، ص٣٤٧.

المبحث الثاني: سياق ورود قصة نوح عليه السلام في أسلوب الحوار الخبري:

المطلب الأول: محور سورة الأنبياء وعلاقته بمشد قصة نوح وأسلوبه:

أ. وجه تسمية سورة الأنبياء:

سميت سورة الأنبياء بهذا الاسم؛ لاشتمالها على فضائل جملة من أنبياء الله تعالى في صبرهم، وثباتهم، وما حدث لهم مع أقوامهم، وتأييد الله لهم.

وبلغ عددهم ستة عشر نبيًّا، بما فيهم أولو العزم الخمسة (نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد) صلوات الله عليهم، وسماها السلف بهذا الاسم كما ورد عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: "بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: هُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ، وهُنَّ مِن تِلَادِي"[١].

وقال عنها الشيخ أبو زهرة: "هي جديرة باسمها؛ لأن فيها قصصًا من أخبار النبيين"[٢].

ب. محور سورة الأنبياء وعلاقته بمشهد قصة نوح عليه السلام:

الإنذار بتحقق الساعة والحساب وقربها ولو بالموت، وسياق الأدلة على الألوهية، والتوحيد، والرسالة والبعث؛ بهدف تقرير العقيدة، وربطها بالنواميس الكونية القائمة على الحق، والتي تثبت وحدة الخالق والمالك، ووحدة النهاية، ووحدة العقيدة، وتعدد الرسل على مدار الزمان، وسنة الله في هلاك المكذبين ونجاة المؤمنين.

---

[١] رواه البخاري، **في صحيح البخاري**، كتاب التفسير، سورة الأنبياء، رقم ٤٧٣٩، ص٩٧٣، معنى من العتاق الأول: من قديم ما نزل، معنى تلادي: أي من الذي أخذته من القرآن قديمًا، قال عنه ابن كثير في تفسيره" انفرد البخاري بإخراجه، والمراد منه ذكر ترتيب السور في مصحف ابن مسعود، كالمصاحف العثمانية "وهذا ما أكدته اللجنة الدائمة، وبين أنه موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه.

[٢] أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ص٤٨١٩.

فالسورة تهدف إلى استجاشة القلب الإنساني؛ لإدراك العقيدة الحقة التي جاء بها الأنبياء[١].

وجاءت قصة نوح عليه السلام في هذه السورة هي الثالثة، سبقتها أولًا قصة موسى عليه السلام، عُرِضت بإشارة لامحة، وبإيحاء إلى التوراة، تمهيداً للحديث عن القرآن الذي هو ذكرى وعبرة؛ للإشارة إلى امتداد صلة النبوة والوحي بين الكتابين، وذكرت قصة موسى عليه السلام قبل قصة إبراهيم عليه السلام مع أنه جده الأعلى؛ لأنه صاحب شريعة دونت في كتاب[٢].

كما سبقتها ثانيًا قصة إبراهيم عليه السلام، الذي آتاه الله رشدًا وإدراكًا سليمًا لمعنى الألوهية المنزهة، وذكرت الآية نفسها أن وجوده سابق لموسى عليه السلام في قوله": ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٥١]، ذلك الرشد اللائق بكبار الرسل، والمسند إلى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي، والاقتدار على صلاح الأمة، وعرضت جهاده مع أبيه وقومه، وهجرته في سبيل الله مع لوط، وهما أول من تبوءا شرف الهجرة، ولحقتها قصة لوط؛ لقرابته بإبراهيم، واقتران ذكرهما، ونجاتهما، وهجرتهما في الذكر الحكيم.[٣]

وفي مجيء قصة نوح عليه السلام بعد ذلك؛ تنبيه لوجوده السابق للأنبياء السابق ذكرهما في السورة، بقوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ﴾؛ وتلميح وتثبيت لمحمد ﷺ.

فترتيب ورود الأنبياء في السورة متعلق بثباتهم في دعوة التوحيد أمام أكابر الطغاة، وفضل الله عليهم وإجابته لدعائهم، وليس ورودًا تاريخيًّا، فإيتاء التوراة الفارقة بين الحق والباطل لموسى

---

[١] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج٥، ص٦٣، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ج٢، ٢٨٦، وابن عاشور، التحرير والتنوير، مج٧، ج١٧، ص٧، ٨، وشحاته، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، ص٢٣٦-٢٣٨

[٢] ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٦، ص٧١، وأبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ص٤٨٧٧، ٤٨٧٨، والزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج٩، ص٧٤.

[٣] ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٦، ص٧٢، وأبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ص٤٨٨٠-٤٨٩٢.

وهارون لم يكن بدعًا، فقد آتينا قبل ذلك إبراهيم إصابة الحق والهدى الفطري في التوحيد، كما خصصنا أيضًا نوحًا من قبلهما بالنصر لما نادانا وثبت في دعوته.

فالسورة تعرض نماذجَ من الرسل ونماذجَ من الابتلاءات، ونماذجَ من رحمات الله وتربط ذلك بعقيدة التوحيد، وشهادة السنن الكونية لها، وحقيقة الوجود.

لقد جاءت قصة نوح في هذه السورة؛ لتتعانق مع بقية قصص الرسل عليهم السلام في سياق إخلاص الدعوة والدعاء إلى الله، وتسارع الاستجابات مِن لَدُن لَطِيفٍ خَبِير؛ لتقرر قدرة الله الواحد القهار؛ وتؤكد على حقيقة التوحيد والبعث والجزاء الدنيوي والأخروي، فتتحد بذلك مع محور السورة.

ج. أسلوب قصة نوح عليه السلام في سورة الأنبياء:

وردت قصة نوح بأسلوب خبري بصورة كاملة، تقرر حقيقة ندائه لربه واستجابة دعواه ونصرته، وهلاك قومه المكذبين.

قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ *وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء:٧٦-٧٧]

ولنتتبع دلالات الألفاظ والمعاني المستخرجة منها:

١. الظرف في قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي من قبل الأنبياء المذكورين[١]، مما يعطي دلالة ثبات سنة الله ونصرة أوليائه عند فزعهم إليه، وأن سنة الله خالدة في نصرة رسله.

---

[١] ينظر: السمين، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ج٨، ص١٨٤، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٧، ج١٧، ص١١٣.

٢. صيغ الفعل الماضي في الأفعال الآتية (نَادَى، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَنَجَّيْنَاهُ، نَصَرْنَاهُ، كَذَّبُوا، كَانُوا فَأَغْرَقْنَاهُمْ) تجلي حقيقة الوقوع وتتابع الوقائع في ذلك الزمان، وتبين قدرة الله الماضية والقاهرة.

٣. حرف الجر(من) في قوله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾؛ لتتضمن معنى المنع والحماية الإلهية، والمعونة الربانية، كما تعطي صورة مشرقة ليقين نوح بربه تعالى، وبرحمته الواسعة لنبيه ولعباده المؤمنين، وبسلطانه القاهر للمكذبين الظالمين.

٤. الوصف بالموصول في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾؛ للإيماء إلى علة الغرق، وعلة نصر نوح، فلا يتحقق نصره، إلا بإضرار القوم المنصور عليهم[١].

٥. المضاف إليه في قوله تعالى: ﴿**قَوْمَ** سَوْءٍ﴾ تعطي علة استحقاق القوم للعذاب؛ لقبح المعتقد والسلوك[٢].

٦. التأكيد بلفظة ﴿أَجْمَعِينَ﴾ تفيد عدم نجاة أحد من الغرق، وإحاطة الله بعزته، فلم يفرّ أحد من قدره.

---

[١] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ص١١٤.

[٢] ينظر: الميداني، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، ج١٤، ص٣٣٥.

المطلب الثاني: محور سورة العنكبوت وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه:

أ. وجه تسمية سورة العنكبوت:

ويعتبر اسم السورة اسم توقيفي، اشتهرت به هذه السورة في عهد الرسول، لما رواه عكرمة قال: كان المشركون إذا سمعوا تسمية سورة العنكبوت يستهزئون بهذه الإضافة، فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر:٩٥]، كما سميت سورة العنكبوت بهذا الاسم، لذكره فيها[١].

ب. محور سورة العنكبوت وعلاقته بمشهد قصة نوح عليه السلام:

تدور السور حول الإيمان وتثبيته وقت الابتلاء فالله يقدر البلاء على الناس؛ ليختبرهم.

ودعوة للحث على الاجتهاد في الدعوة إلى الله تعالى وحده، وبيان سنة الابتلاء، وتثبيت المؤمنين الذين فتنهم المشركون، وصدوهم عن الإسلام، وبيان أن هناك ضريبة يدفعها المؤمن هي الفتنة والإيذاء، وبالاعتبار بجهد قصص الأنبياء، وبلائهم ثم هلاك الكافرين، وانتصار المؤمنين[٢].

فجاءت قصة نوح أول قصة في هذه السورة، بعد بيان التكليف وأقسام المكلفين، وثواب المؤمن وجزاء الكافر والمنافق، ذكر الله قصة أطول الأنبياء عمرًا في دعوة قومه إلى عبادة الله تعالى، فقد دعاهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، وما آمن معه إلا قليل.

---

[١] ينظر: مقاتل، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ج٣، ص٣٧٠، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٨، ج١٩، ص١٩٩.

[٢] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٥، ص٤٢٠، والبقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج٥، ص٥٣٤، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ج٢، ص٣٤٥، وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج٧، ص٣٣، والصابوني، **صفوة التفاسير**، ج٢، ص٤٥٠، والفراهي، **دلائل النظام**، ص٩٦، وقطب، **في ظلال القرآن**، مج٥، ج٢٠، ص٢٧١٨-٢٧٢٧، وحوى، **الأساس في التفسير**، ص٤١٦١-٤١٨٢، وشحاته، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، ج١، ص٢٨٣، ٢٨٤، والزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج١٠، ص٥٧٨، ٥٧٩ وهيشور، محمد، **سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها**، (القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م)، ص٢٢١٩-٢٢٥٤.

ويتمثل محور السورة حول الإيمان وثباته وقت الفتنة في جميع قصص الرسل في هذه السورة، ففي قصة نوح تتبدى ضخامة الجهد وضآلة الحصيلة، ومع قصة إبراهيم يتبدى سوء الجزاء وطغيان الضلال مع وجود الحجة، وفي قصة لوط يتبدى تبجح الرذيلة وسفورها بلا حياء، وانحدار البشرية والاستهتار بالنذير، وفي قصة شعيب يتبدى الفساد والتمرد على الحق والعدل، ومع قوم هود وصالح يتجلى الاعتزاز بالقوة والبطر بالنعمة، ومع فرعون وقارون يستحكم طغيان المال واستبداد الحكم، فتختم السورة بعد مصارع العتاه والطغاة بضرب الله المثل لحقيقة القوى المتصارعة الهزيلة ببيت العنكبوت الواهي، وأن هناك قوة واحدة، هي قوة الله المرتبطة بالحق الكبير في تكوين الكون كله، فيربط القرآن والصلاة وذكر الله بالحق الذي في الوجود، وسلسلة دعوة الأنبياء؛ ليعود إلى محور السورة الذي بدأ بها.[1]

ج. أسلوب قصة نوح عليه السلام في سورة العنكبوت:

غلب الأسلوب الخبري على القصة بأكملها، مخبرًا الله تعالى برسالة نوح عليه السلام الطويلة ونهايتها العادلة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (14) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت:١٤، ١٥].

---

[1] ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، مج٥، ج ٢١، ص٢٧١٩-٢٧٣٨.

ولنتتبع دلالة الألفاظ ومعانيها في هذه السورة:

١. تباين معنى (السنة والعام) في قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ فقد غايرت الآية بين تمييزي العددين، فذكر في الأول "سَنَةٍ" للألف؛ ليتجلى معنى الجدب والقحط زمن لبثه مع قومه المكذبين، وذكر في الثاني "عَامًا" فخص الخمسين، إيذانًا بأن نوحًا عليه السلام لما استراح منهم بقي في زمن حسن خصب.[١]، وهدف ذكر مدة رسالته؛ للدلالة على شدة مصابرته على تكذيب قومه، ومداومته على إبلاغ رسالته [٢] ، وهذا التعبير القرآني جاء أيضاً في سورة يوسف، في قوله تعالى:﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾[ييوسف:٤٦] فخُصت لفظة(سنين) بالشدة، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾[يوسف:٤٩] وجاءت لفظة عام للخصوبة والرحمة.

٢. تكرار الضمير المنفصل والمتصل في قوله: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾؛ لتقرير وقوع الأحداث حقيقةً معهم هم قوم نوح عليه السلام أنفسهم.

٣. صيغة فعلان في لفظة ﴿الطُّوفَانُ﴾ فيها دلالة المبالغة في عموم الماء الذي طاف وعم كل الأرجاء[٣].

٤. الفاصلة ﴿ظَالِمُونَ﴾ تعليل للجزاء الواقع عليهم، والذي كان بسبب ظلمهم أنفسهم وظلمهم نبيهم وتكذيبه، وتلبسهم به، وإصرارهم عليه حتى وقوع العذاب.

---

[١] ينظر: السمين، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ج٩، ص١٣.

[٢] ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج٢، ص٦٦٨، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٨، ج٢٠، ص٢٢٢.

[٣] ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٩، ص٥٦٢.

المطلب الثالث: محور سورة الصافات وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه:

أ. وجه تسمية سورة الصافات:

سميت سورة الصافات بهذا الاسم؛ لافتتاح السورة بالقسم بالصافات، ومن باب تسمية الشيء باسم بعضه، وهي أولهُنَّ، والصافات هي الملائكة الأطهار الذين يصطفون بأجنحتهم في الهواء طاعة وانتظارًا؛ لوصول أمر الله إليهم، كصفوف الناس في الصلاة[١].

ب. محور سورة الصافات وعلاقتها بمشهد قصة نوح عليه السلام:

تعالج السورة موضوع أصول العقيدة والتوحيد والوحي والبعث والجزاء، والإخبار عن صف الملائكة، والمصلين للعبادة، وإثبات الوحدانية ورجم الشياطين، وذل الظالمين، وعز المطيعين، وقهر الكافرين يوم الحساب، وبيان درجات الملائكة، ونصرة الله لرسله، وبيان فساد عقيدة المشركين في إثبات نسبة الشركاء إليه، وتنزيه الله عن الضد[٢].

وذكرت السورة ست قصص من قصص الرسل مع أقوامهم، وكانت كل قصة لها شبه بالرسول محمد ﷺ مع قومه، وحاله الأكمل في دعوته، كلها عبر، وجاءت قصة نوح في المقدمة؛

---

[١] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج١٢، ص٦٧، وشحاته، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، ج١، ص٣٢٩.

[٢] ينظر: الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ص٣٩٣، والبقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ج٢، ص٤٠٩، ٤١٠، وفيه تم ذكر أول مقاصد هذه السورة وهو بناء العقيدة الحقة في النفوس، وتخليصها من صور الشرك السائدة في البيئة العربية، فقد زعم المشركون بوجود قرابة قائمة على التزاوج بين الله والجن، وأن الملائكة إناث، وأنهن بنات الله، فجاءت السورة تنقض هذه الأسطورة. والصابوني، **صفوة التفاسير**، ج٣، ص٢٧، والفراهي، **دلائل النظام**، ص٩٦، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٩، ج٢٣، ص٨١، ٨٢، وقطب، **في ظلال القرآن**، مج٥، ج٢٣، ص٢٩٨٠-٢٩٩٩، وحوى، **الأساس في التفسير**، ص٤٦٧٩، وشحاته، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، ج١، ص٣٢٩.

لأنه القدوة الأولى والمثلى[١]، وجاءت قصة نوح؛ تفصيلًا لما أجمل فيما قبل، ببيان أحوال المرسلين، وحسن عاقبتهم بقوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الصافات:٧٣][٢].

فيتضح محور السورة في سياق تقريري، يهدف إلى بناء عقيدة التوحيد، وتخليصها من شوائب الشرك، والتأكيد على قضية البعث والحساب والوحي والرسالة، ويتبعه سياق تمثيلي، فجعل الله بين ذلك جسرًا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الصافات:٧١-٧٢]، فبدأ بالتمثيل بقصة نوح[٣] فقصة نوح التي في سياق السورة ؛ لتوضح نجاة عباد الله المخلصين من عذاب الدنيا، وتوضح قيمة الإيمان، ونموذج للمثل الأعلى للرسل، وتحليه بالأخلاق الربانية، فقصة نوح خدمت سياق السورة من عدة نواحٍ؛ أولًا في موضوع التوحيد، وثانيًا في موضوع بعثة الرسل جميعًا بالتوحيد، وثالثًا في موضوع إنجاء الله المؤمنين من العذاب، ورابعًا في إبراز قيمة الإيمان في موازين الله عز وجل[٤] ويتصل ذلك كله بمحور السورة فكان نوح عليه السلام نموذجًا من النماذج العليا للإيمان.

ج. أسلوب قصة نوح عليه السلام في سورة الصافات:

عرضت القصة بكاملها عرضًا خبريًّا مقدمًا من الله تعالى، بنسبة توجه جميع الأفعال في القصة إليه سبحانه، مما يجلي هيمنة القدرة الإلهية.

---

[١] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٩، ج٢٣، ص١٣٠.

[٢] ينظر: علماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٦، ص٣٤١.

[٣] ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج٣، ص١٢٦، ١٢٧، قال: "لما ذكر إرسال المنذرين في الأمم الخالية، وسوء عاقبة المنذَرين، أتبع ذلك ذكر نوح عليه السلام ودعاءه إياه حين أيس من قومه"، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٦، ص٨٢، قال: "لما ذكر عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة، شرع يبين ذلك مفصلاً فذكر نوحًا عليه السلام وما لقي من قومه من التكذيب..".

[٤] ينظر: حوى، **الأساس في التفسير**، ص٤٧١١.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ *إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الصافات:٧٥-٨٢].

ولنتتبع دلالة الألفاظ ومعانيها المتضمنة:

١. لفظة" نَادَانَا" تجلي آخر مراحل نوح عليه السلام في دعوته لقومه، التي استمرت ألف سنة إلا خمسين عامًا، وتبين أدب الدعاء مع شدة المصاب، كما تجلي يقين نوح بالله وفزعه إليه؛ لإيمانه الراسخ بقدرته.

٢. صيغة القسم في قوله تعالى: ﴿فَلَنِعْمَ﴾ تجلى أعلى مستويات الإجابة الربانية حال نداء نوح عليه السلام ربه، من حيث السرعة بذكر حرف التعقيب، وتدبير المولى الذي يفوق أي تدبير آخر، بأداة المدح (نعم).

٣. ضمير المتكلم (النون) في قوله تعالى: "وَنَجَّيْنَاهُ"، "وَجَعَلْنَا"، "تَرَكْنَا"، "إِنَّا"، "نَجْزِي"، "عِبَادِنَا"، "أَغْرَقْنَا" تعود جميعها إلى الله الخالق الرازق العزيز المنتقم الرحيم، مما يعمق معاني الربوبية للواحد القهار.

٤. صيغة الجمع في لفظة "الْمُجِيبُونَ" تجلي عظمة المجيب وعلو مستوى الإجابة.

٥. الصفة في قوله تعالى: ﴿الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ تعطي دلالة تفرد نوح عليه السلام وأهله بما كابدوه، من هم الغرق وغمه، وهم على السفينة، من رؤية الأهوال والمخاطر المحيطة بهم، من كل حدب وصوب[١].

---

[١] ينظر: الميداني، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، ج١١، ص٥٩٠، ٥٩١

٦. الضمير المنفصل (هم) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ فبعد الطوفان وهلاك المكذبين، لم يبقَ إلا ذريته الناجية وهم سام، وحام، ويافث[١]، ومنهم جاءت الذرية، والضمير المنفصل يؤكده.

٧. العدول عن مقتضى الظاهر في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ بمعنى أبقينا له ثناءً حسنًا يذكره من بعده من الأنبياء والأمم[٢]، وهذه الدلالة تتجلى في تخليد ذكراه في كتاب الله الباقي، الذي نزله الله على خاتم النبيين، والأمة المؤمنة إلى يوم القيامة.

٨. حروف الجر (على، في) في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ تجلي هبوط السلام، والأمن، والرضوان، من المولى، من السموات العلا، ونزوله على نوح في أرض الدنيا، التي جاهد فيها أيما جهاد، فنال الفوز من بين جميع مخلوقات الله تعالى، في عالمي السموات والأرض.

٩. تأكيد علة الإنعام بـ (إن، ال التعريف) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾؛ لتأكيد أحقية تخصيص نوح عليه السلام بتلك النعم؛ لكونه محسنًا في أداء رسالته، وتبليغ دعوة التوحيد، فاستحق الإحسان الرباني، وهذا الأجر الذي ابتغاه وعاشه نوح عليه السلام في حياته مع قومه قد أثمر[٣].

---

[١] ينظر: الطبري، **تاريخ الطبري**، ص٧٠، وابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص١٠١.

[٢] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مج٩، ج٢٣، ص١٣٢، ١٣٣، والزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج١٢، ص١١٧.

[٣] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج١٢، ص١١٨.

١٠. تأكيد سبب الإحسان بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ فسبب إحسان نوح عليه السلام، هو كونه مؤمنًا بالله وهذا دليله، حيث قدم أعلى درجات الطاعة، وأعلى مقامات العبودية[١].

١١. ذكر حرف المهلة (ثم) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾؛ لتعطي دلالة التنكيل والاحتقار لقوم نوح عليه السلام قولًا وفعلًا، فقد استحقوا بقدرة الله الهلاك، واستحقوا تأخيرهم في الذكر لعدم أهميتهم ودناءة قدرهم.

المطلب الرابع: محور سورة القمر وعلاقته بمشهد قصة نوح وأسلوبه:

أ. وجه تسمية سورة القمر:

سميت سورة القمر بهذا الاسم؛ لابتدائها بمعجزة انشقاق القمر[٢].

"وروي عن عبيد الله بن عبد الله، أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي: ما كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحى والفطر؟ فقال: كان يقرأ فيهما: "ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ" و "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ."[٣]

---

[١] ينظر: الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج١٢، ص١١٨، ومحمود، **في رحاب الكون مع الأنبياء والرسل**، ص١٠١، ١٠٢.، فقال: "لقد حقق نوح عليه السلام العبودية لله سبحانه أشرف ما يوصف به الإنسان بالنسبة لله.. ومن أجمل مظاهر العبودية الشكر لله، فلم يكن نوح عليه السلام عبدًا شاكرًا وإنما كان عبدًا شكورًا".

[٢] ينظر: مقاتل، **تفسير مقاتل بن سلمان**، ج٤، ص١٧٥، والفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج١، ص٤٤٥.

[٣] رواه مسلم، **في صحيح مسلم**، ابن الحجاج بن ورد بن كوشاذ، تحقيق أحمد زهوة وآخرين، (لبنان، دار الكتاب العربي، د.ط، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠م)، كتاب صلاة العيدين، باب: ما يقرأ به في صلاة العيدين، رقم١٤، ٨٩١، ص٣٤٣، والترمذي، **سنن الترمذي**، باب في القراءة في العيدين، رقم (٥٤٣)، ج٤، ص٣١، وقال حديث حسن صحيح.

وفي رواية الترمذي عن ابن مسعود قال:" بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر فلقتين: فلقة من وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله: اشهدوا، يعني: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾" [القمر:١]"[١].

ب. محور سورة القمر وعلاقته بمشهد قصة نوح عليه السلام:

التخويف بتحقق وقوع يوم القيامة، والشكوى من عبادة أهل الضلال، وجزائهم يوم الحساب، وخبر الطوفان، وهلاك الأمم الفاسدة وإبادتهم، وتقرير قدرة الله تعالى في الإيجاد والإعدام، وإظهار علامات القيامة، ونزول المتقين في مقعد صدق، عند مليك مقتدر[٢].

ومحورها هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٦، ٧]، تبين عاقبة التكذيب، وجاءت تفصيلًا لقوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى * أَزِفَتِ الْآزِفَةُ [النجم:٥٧][٣]، فجاءت تقرر فحوى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [القمر:٤، ٥]

---

[١] الترمذي، محمد عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات، (مصر، دار التأصيل، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م)، ج٤، رقم٣٥٥٩، ص٣٧١، وقال حديث حسن صحيح.

[٢] ينظر: مقاتل، **تفسير مقاتل بن سلمان**، ج٤، ص١٧٥، والفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج١، ص٤٤٥، والبقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، ج٣، ٣٩، ٤٠، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج٧، ص٣٣٩، والصابوني، **صفوة التفاسير**، ج٣، ص٢٨٢، وابن عشور، **التحرير والتنوير**، مج١١، ج٢٧، ص١٦٦ وقطب، **في ظلال القرآن**، مج٦، ج٢٧، ص٣٤٢٤، ٣٤٢٥.

[٣] ينظر: حوى، **الأساس في التفسير**، ص٥٦٠١-٥٦٠٨.

وبدأت بقصة نوح عليه السلام، أول الرسل، وما حل بقومه من هلاك، تنبيهًا بعاقبة تكذيب الرسل[١].

فبدأت بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي:" قبل كفار مكة ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحًا كما كذبك يا محمد قومك"[٢]، أي لقد سبق تكذيب قوم محمد تكذيب قوم نوح، فكان تكذيب إثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب، جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله.[٣]

ويتجلى محور السورة من مطلعها إلى ختامها، بشن حملة مرعبة شديدة على قلوب المكذبين بالنذر، وفي نفس الوقت طمأنينة واسعة وثيقة، للقلوب المؤمنة الموحدة.

وتنتظم قصة نوح وما فيها من تكذيب قومه له ولدعوة التوحيد، مع الأقوام المكذبة كعاد وثمود وقوم لوط وفرعون، نماذج على عدم انتفاع الكافرين بالإنذار، وعلى ما أعقبهم الله من نماذج من العذاب العظيم في الدنيا، ولعذاب الآخرة أكبر، فتنتظم بذلك مع محور السورة من تكذيب برسالة الحق، وتحقق الهلاك عليهم، ونموذج على نصرة الله لرسله ودروسًا للخلق جميعًا[٤].

ج. أسلوب قصة نوح عليه السلام في سورة القمر:

عُرضت القصة بأسلوب خبري تصف موقف قوم نوح عليه السلام من دعوته، وما آل إليه مصيرهم من جزاء دنيوي عظيم، هو الغرق في الطوفان العظيم.

---

[١] ينظر: النجار، زغلول بن راغب، **موسوعة الإعجاز العلمي "السماء في القرآن الكريم"**، (لبنان، دار المعرفة، ط٥، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م) ص٥٣٧، ٥٤٨، ذكر فيه تصديق العلم لهذه المعجزة وإثبات حتمية وقوع الآخرة وآثار انشقاق القمر وإعادة التحامه.

[٢] الطربسي، الفضل بن الحسن، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، (بيروت، دار المرتضى، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م)، ج٩، ص٢٤٠.

[٣] ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج٨، ص١٦٩، وعلماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج٧، ص٥١٢.

[٤] ينظر: حوى، **الأساس في التفسير**، ص٥٦١٠.

قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[القمر:٩-١٧]

ولتتبع دلالات الألفاظ والمعاني التي تضمنتها:

١. حذف المفعول في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي كذبت الرسل؛ لتعطي دلالة أن من كذب نوحًا عليه السلام فقد كذب جميع الرسل؛ لوحدة المرسل ووحدة العقيدة.[١]، كما تعطي معنى تكرار التكذيب، أي أنهم كذبوه تكذيبًا على عقب تكذيب، فكلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن آخر مكذب[٢]

٢. لفظة ﴿عَبْدَنَا﴾ تدل على صدقه وتحمل معنى كونه أخوف وأقل تحريفًا لكلام سيده، من لفظة "رسولنا" وتدل على عظيم قبح تكذيبهم[٣].

٣. لفظة ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ تعطي دلالة لما قاسى نوح في تبليغ رسالته من شتى أنواع التعذيب من شتم، وضرب، وصياح، واتهامهم له بالجنون، من مس الجن[٤]. فقد بالغوا في التكذيب.

٤. التأكيد بـ (أن) في قوله تعالى: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ توحي بتكالب قومه عليه، ووصوله معهم إلى طريق مسدود.

---

[١] ينظر: السمين، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ج١٠، ص١٣٠.

[٢] ينظر: النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج٣، ص٤٠١، والخفاجي، **حاشية الشهاب عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج٨، ص١٣٢.

[٣] ينظر: الدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب**، ج١٨، ص٢٤٤.

[٤] ينظر: الخفاجي، **حاشية الشهاب عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج٨، ص١٢٣.

٥. الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى: ﴿ففتحنا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ أعطت إشارات تصويرية بأن انصباب الماء من السماء، جاء من خلال أبواب السماء؛ للتعبير عن الشدة في انهمار الماء، كأنه مدخر وراء باب مسدود يمنع انصبابه، ففتح، فانصب أشد انصباب[١].

٦. جمع القلة في لفظة ﴿أَبْوَابَ﴾؛ لاستعارة العرب هذا التعبير وشهرته، وهو من أساليب العرب في استعمال جمع القلة مع إرادة الكثرة؛ ولأن السياق سياق تعظيم، فجاء الفتح فتحًا، يليق بعظمة الله المجيب، فكان هذا هو الأولى[٢].

٧. لفظة ﴿مُنْهَمِرٍ﴾ تعطي معاني الغزارة، والقوة في نزول الماء من السماء؛ مما يجلي صفات الله القادر.

٨. التعدي المجازي في قوله: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾؛ يجلي معاني الشمول، أي أن وجه الأرض كله صار عيونًا[٣].

٩ . الإفراد في لفظة "الْمَاءُ" توحي باختلاف نوعي ماء السماء وماء الأرض؛ لأن الالتقاء يقتضي التعدد[٤].

---

[١] ينظر: الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، ج١٩، ص٦٨، والنجار، **موسوعة الإعجاز العلمي "السماء في القرآن الكريم"**، ص٤٠٧، ذكر ما توصل إليه العلم بأن السماء بنيان محكم يتعذر دخوله إلا عن طريق أبواب تفتح للداخل فيه، ولا يخرج منه إلا من خلال أبواب تفتح للخروج منه. وابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٩، ص٢٨٧.

[٢] ينظر: البقاعي، **نظم الدر في تناسب الآيات والسور**، ج٧، ص٣٥٠.

[٣] ينظر: البقاعي، **نظم الدر في تناسب الآيات والسور**، ج٧، ص٢٥٠، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١١، ص١٨٣، والزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج١٤، ص١٦٨.

[٤] ينظر: الخفاجي، **حاشية الشهاب عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج٨، ص١٢٣.

١٠. لفظة ﴿أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ تدل على ارتفاع ماء الأرض؛ ليلتقي بماء السماء بحال مقدر في اللوح المحفوظ، أو بمقدار معين[١]، وكلا المعنيين يجلي قدرة الله الحاكمة لنواميس الكون، وعلمه الأزلي.

١١. استخدام الصفة في قوله تعالى: ﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ أي السفينة؛ لتعيينها ومعرفتها لوضوح صفاتها، "وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات."[٢]، ولتجلي حقيقة عظمة الخالق تعالى الذي لم يشأ أن يطلق اسماً على السفينة؛ لبيان ضعفها، ولكن بمشيئته قدر لها القوة والمنعة في حمل نوح عليه السلام ومن معه وأداء دورها.

١٢. لفظة ﴿أَعْيُنِنَا﴾ تجلي محبة الله تعالى لنبيه نوح عليه السلام ومعيته[٣] في شدة خطبه من كفر قومه برسالة التوحيد، فكان ذلك سبب غضب الله تعالى، فجاءت الآية تؤكدها في قوله تعالى: ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾.

١٣ تكرار الاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾؛ لتعطي أهمية تعقل آيات الله الكونية وسننه في خلقه، وآيات الله في كتابه الحكيم، الذي يسطر فيه قصص الأمم للعبرة والذكرى، فجاء التكرار؛ للمبالغة في أهمية التذكر، كما جاء استفهام آخر في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾؛ للتخويف والحذر.

المطلب الخامس: الموازنة بين ورود قصة نوح في سياقاتها المختلفة في السور:

من خلال عرض ورود قصة نوح عليه السلام في السور السابقة، تبين تنوع السياقات فيها، وثراء المعاني المستخرجة منها، لتعدد مقاصد المنهج القرآني.

---

[١] ينظر: الخفاجي، **حاشية الشهاب عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، ج٨، ص١٢٣.

[٢] الزمخشري، **الكشاف**، ص١٠٦٦، والسمين، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، ج١٠، ص١٣٣.

[٣] ينظر: محمود، **في رحاب الكون مع الأنبياء والرسل**، ص١٠١، يبين أن سير السفينة كان محض رعاية وعناية الرب الرحيم الذي لم يتركها تتخطفها الأعاصير.

وفيما يأتي موازنة موجزة لسياقات ذلك الورود المتنوع لقصة نوح عليه السلام في السور السابقة:

أولًا . سورة الأعراف:

تعد قصة نوح عليه السلام في هذه السورة، أول موضع في القرآن الكريم، وجاءت في صورة موجزة، كانت بداية دعوة نوح عليه السلام لقومه، إلى عبادة الله تعالى فقط، فلم يذكر الارسال معطوفاً بالواو، ولم يرد ذكر الأتباع، مع تلقيه تهمة الضلالة، إلا أنه لم يُبَرِئ نفسه بقدر ما حاول أن يثبت أنه رسول وله رسالة، ولم يذكر طلب النجاة ولا كيفيتها، لأن الدعوة في بدايتها، ولكن ذكر نجاته والذين معه في الفلك، وهذا التعبير الأول للنجاة في هذه السورة.

وكان التكذيب أشد من مواطن السور الأخرى، حيث وصفوه بالسفاهة، وأكدوه ب (إن، اللام)، فاكتفى بوصفهم بأنهم قومًا عمين، وناسب هذا الوصف لهم من جهتين:

الجهة الأولى: تعبرهم بالرؤية وهذا الوصف يناقضه، فالذي لا يبصر أعمى.

وقال :(عمين) قاصدًا عمى القلب والبصيرة، بينما الأعمى أعمى البصر.

الجهة الثانية: أنهم وصفوه بالضلال، وهم لم يهتدوا بعد، فعموا عنه.

ثانيًا . سورة يونس:

وردت قصة نوح عليه السلام، استكمالاً لما كان في سورة الأعراف، من الدعوة إلى عبادة الله، ولكن كان السياق معبرًا عن كلامه هو عن نفسه؛ ليستكمل الرد على قومه فيما أخذوا على شخصه فكان متحديًا لهم، فلم يذكر كلام قومه، وأنه إن كان كبر عليهم تذكيره بآيات الله، فليفعلوا ما يشاؤون ولا يمهلوه، متحديًا لهم، وهو لم يسألهم أجر دعوته لهم فأجره على الله، فكذبوه فنجاه الله ومن معه، ولكنه لم يطلب النجاة، ولم يذكر له أتباعًا، ولا أنهم سخروا منهم، فالدعوة لا تزال في مهدها.

ولما كان السياق في السورة يورد لفظة (خلائف) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:١٤] فناسبه قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ [يونس:٧٣] كمرحلة ثانية من مراحل النجاة.

ثالثًا . سورة هود:

جاءت قصة نوح عليه السلام، مفصلة كثيرًا، ذكر فيها كونه نذيرًا مبينًا، ودعاهم إلى عبادة الله، وذكر رد قومه الذين كفروا المستفيض، وظهر أن له أتباعًا، وأنهم كانوا مزدرين من قبل قومه الكافرين الذين أطالوا الجدال على نوح عليه السلام، كما ذكر رده على جدالهم، وكان في صورة أقل شدة من صورة الجدال في سورة الأعراف، في قوله تعالى: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود:٢٧]، من غير توكيد للظن.

وذكر صنع الفلك، ومن يحمل فيها، وحلول وقت الطوفان، وجريان الفلك، وحواره عليه السلام مع ابنه، وغرق ابنه، وانتهاء الطوفان واستواء الفلك والهبوط بأمر الله ورحمته، ولم يرد ذكر النجاة لأن الله أعلمه ابتداء بغرق الظالمين، فلا حاجة لطلب النجاة.

وعندما ذكر ازدراء قوم نوح عليه السلام من أتباعه، جاءت النجاة له، ولمن آمن معه، مع وصفهم بصفة الإيمان في أول مواضعه.

وجاءت صورة النجاة في مرحلتها الثالثة في هذه السورة، بذكر من يكون من بعدهم في قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود:٢٥-٤٨]

رابعًا . سورة المؤمنون:

جاءت في سياق الأنعام وفوائدها والحمل عليها، واتبعه ذكر الفلك الذي ناسب السياق وروده؛ لفائدته في الحمل عليه كذلك؛ وجاءت قصة نوح تبعًا لذلك، وما فيها من عرض أبرز أحداثها مع الفلك الذي صنعه، ورحلة النجاة للمؤمنين، والهلاك للكافرين.

ولكن تميزت سورة المؤمنون بأحداث مختلفة عما سبق من السور، فقد أبلغهم نوح عليه السلام بالدعوة، ولكنهم لم يواجهوه بكلام، وإنما ذكروه في غيبته في مجالسهم، فذكر دعاء نوح عليه السلام من ربه بطلب النصر بصورة صريحة، وهي أول مرة يدعوا فيها ربه؛ لشدة ما وقع عليه من ظلم قوم له، فكان السياق مناسب للدعاء، لطول مدة دعوته مع قومه، وكثرة ما ناله من الأذى.

كما جاءت المرحلة الرابعة للنجاة هنا بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون:٤٨]، حيث يكون طلب المنزل بعد الهبوط من السفينة.

خامسًا . سورة الشعراء:

ذكرت قصة تكذيب نوح عليه السلام، في سياق متشابه مع قصص الأقوام المكذبة، وجاءت استكمالًا لما قبلها، من دعوة إلى عبادة الله، فجاءت الزيادة في طلب نوح من قومه تقوى الله، وطاعة رسوله، فلم يذكر دعوته، ولم يذكر تكذيبهم، بل ذكر اعتراضهم على أتباعه ووصفوهم بأنهم الأرذلون، كما هددوه بالرجم، فدعا ربه بأن ينجيه، فأنجاه ومن معه، وأغرق الآخرين.

فظلال السورة، تعكس الشدة الذي مر به نوح عليه السلام، ويتبين ذلك من لفظة (فَأَنْجَيْنَاهُ) [الشعراء:١١٩]، الموحية بالاسراع في النجاة[١].

---

[١] ينظر: السامرائي، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، (بغداد، مكتبة النهضة، ط٢، ١٤٢٧هـ،٢٠٠٦م)، ص٦٧

ووصف الفلك بالمشحون، وهو الموضع الوحيد في هذه السورة.

كما جاء ذكر (ومن معه من المؤمنين)، عندما كان السياق السابق فيه إزدراء لأتباع نوح عليه السلام، مجليًا صفة الإيمان المخصوصة المناسبة لهذا المقام، كثاني موضع يذكر هذه الصفة.

سادسًا. سورة نوح:

تمثل تقريرًا نهائيًا، قدمه نوح إلى ربه، ذاكراً طريق دعوته مع قومه، بدعوته لعبادة الله، وإنذارهم، وما قابلوه من جحود وصدود، ويبين أساليب دعوته، المستمرة المتكاثفه، يدعوهم ليلًا ونهارًا وسرًا وجهارًا، ثم يذكر عصيانهم، وتلبسهم بالشرك وعبادة الأصنام، فدعا ربه بإهلاكهم معللًا ذلك؛ بأنه لو تُرِكوا سيضلون عباد الله، ودعا بالمغفرة له ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات، خاتمًا لتقرير مسيرة دعوة طويلة مع قومه الجاحدين.

سابعًا . سورة الأنبياء:

جاءت قصة نوح عليه السلام، في سياق نجاة الأنبياء، واستجابة الله لدعائهم، فذكر نجاته ونصرته مما يلحقه من إهلاك القوم الكاذبين، ولم يذكر أنه نادى ربه.

ثامنًا . سورة العنكبوت:

لم يذكر فيها الدعوة لعبادة الله، ولم يذكر موقف قومه، ولكن المقام مقام تخصيص ذكر مدة لبثه معهم، ومصير ظلمهم بهلاكهم بالطوفان، ونجاة نوح عليه السلام والذين آمنوا به، ذكرت السفينة، ومجيء لفظة(أصحاب) لتناسب هذا التخصيص[1].

---

[1] ينظر: السامرائي، **أسئلة بيانية في القرآن الكريم**، (الشارقة، مكتبة الصحابة، ط١، ١٤٢٩هـ،٢٠٠٨م)، ص١٣٩، ذكر فيه استعمال القرآن السفينة في مقام التخصيص فقط، بخلاف الفلك التي تستعمل للخاص والعام.

تاسعًا . سورة الصافات:

جاء فيها ذكر نداء ودعاء نوح عليه السلام ربه، بذكر المفعول،(فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ)، وهو ضمير العظمة ، وسرعة إجابة ربه له مع ثناء الله على ذاته، وكثرة ورود ضمير العظمة بصورة لم تورد في سورة الأنبياء، في قوله تعالى:(وَنَجَّيْنَاهُ ، وَجَعَلْنَا، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ، نَجْزِي، عِبَادِنَا، أَغْرَقْنَا).

و ذكر كرب نوح عليه السلام الشديد ونجاته وأهله، ولم يأتِ ذكر من آمن معه، فجاء هنا ذكر نجاة نوح عليه السلام وأهله، بقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات:٧٦،٧٧]، وهذا في دقة متناهية في مراعاة المقام، حيث أن المقام لا يناسبه ذكر من معه، لأنه سيعني بأن ذرية نوح هم الباقين على قيد الحياة، وأما من نجا معه من المؤمنين فقد بادوا، وهذا لا يتناسب مع ذكر النجاة.

عاشرًا . سورة القمر:

جاء فيها ذكر تكذيب نوح عليه السلام، وكذلك ما حصل في الأقوام الباقين، وكان السياق على نمط واحد، ذكر فيها أنه مغلوب وطلب النصر من ربه، فجاءت الاستجابة سريعة، وكان سياق السورة مفعم بالخوف والرعب فالأرض تحولت إلى عيون ماء، والسماء كذلك، وكان أمر الله بالتقاء هذين الماءين، مما عكس ظلال السورة المخيف على الفاظ القصة، فجاء وصف السفينة دون اسمها، فوصفت بذات ألواح ودسر، فلم ترد لفظة الفلك لما يوحي بالأمان، وهذا السياق لا يتناسب معه، فالساق يبرز عظمة الله وقدرته.

كما أن سياق الآيات تذكر دعاء نوح عليه السلام ربه بالنصر المناسب لحالته التي عبر عنها بأنه مغلوب، ولما لم يذكر أحداً معه، فذكر نصرته فقط.[١]

---

[١] ينظر: السامرائي، **على طريق التفسير البياني**، ج٣، (سوريا، دار ابن كثير، ط١، ١٤٣٨هـ،٢٠١٧م)، ص١١٧،٨٦، ج٤، ص١٧٧،١٧٦.

الفصل الثاني: دلالات سياق ورود قصة نوح في القرآن الكريم:

المبحث الأول: الدلالات العقدية في حوار نوح عليه السلام:

المطلب الأول: دلالات الإيمان بالله وحده.

المطلب الثاني: دلالات الإيمان بالملائكة.

المطلب الثالث: دلالات الإيمان بالكتب.

المطلب الرابع: دلالات الإيمان بالرسل.

المطلب الخامس: دلالات الإيمان باليوم الآخر.

المطلب السادس: دلالات الإيمان بالقدر خيره وشره.

المبحث الثاني: الدلالات الدعوية في قصة نوح عليه السلام.

المطلب الأول: الدلالات الدعوية علاقة نوح مع ربه.

المطلب الثاني: الدلالات الدعوية في حوار نوح مع الغير.

المطلب الثالث: دلالات شخصية نوح الدعوية.

المبحث الثالث: الدلالات الاخلاقية في قصة نوح:

المطلب الأول: الدلالات الاخلاقية في علاقة نوح مع ربه.

المطلب الثاني: الدلالات الاخلاقية في علاقة نوح مع الغير.

المطلب الثالث: دلالات شخصية نوح الاخلاقية.

المبحث الرابع: الدلالات التربوية في قصة نوح:

المطلب الأول: الدلالات التربوية في علاقة نوح مع ربه.

المطلب الثاني: الدلالات التربوية في علاقة نوح مع الغير.

الفصل الثاني: دلالات سياق ورود قصة نوح في القرآن الكريم

المبحث الأول: الدلالات العقدية في حوار نوح عليه السلام:

لقد تجلت عظمة المنهج العقدي، الذي حاول نوح عليه السلام أن يغرس أسسه في نفوس قومه، فبدأ بإثبات وجود الله، ووحدانيته، وتفرده بالخلق والرزق، والاستحقاق للعبادة وحده، وقد دلت على ذلك عدة دلالات، كانت هي ضوابط المعرفة والاستدلال والمناظرة[١] وهي:

١. دلالة الفطرة: وهي ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة، وتشكل أول بواعث الدين، فكل مخلوق فُطِر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم. وهي تتضمن الإقرار بالله والإنابة إليه، وهو معنى لا إله إلا الله، وهذه الفطرة غرزت في النفس البشرية الإقرار بالصانع، وهي مرجحة للحق، تميز بينه وبين الباطل، وتهب للمهتدي يقينًا بالحق، ولو غابت الأدلة النظرية[٢].

٢. دلالة العقل: وهي ما اهتدى به الإنسان على أن لكل حادث مُحدِثًا، فلا يمكن أن توجد المخلوقات والموجودات صدفة؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه؛ لأنه قبل وجوده معدوم،

---

[١] ينظر: التفتازاني، سعد الدين، **شرح العقائد النسفية**، تحقيق أحمد السقا، (مصر، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، ص١٥- ٢٨، ذكر أسباب العلم للخلق ثلاثة هي: الحواس السليمة والخبر الصادق والعقل. والميداني، **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة**، ص٢٦- ٣٢، ذكر الدلالات وأقسامها:١. العقلية ٢. الطبيعية، ٣. الوضعية بقسميها اللفظية وغير اللفظية، وما تنقسم فيه اللفظية إلى دلالة مطابقية ودلالة تضمنيه ودلالة التزامية التي تنقسم بدورها إلى دلالة عقلية ودلالة عرفية، والبغدادي، أبي مصطفى، **الواضح في المنطق شرح وتوضيح على متن إيساغوجي**، (د.م، د.ط، ٢٠١٢م)، ص٢٧٠-٢٨٧، والمقرن، منصور محمد، **الدعوة والتربية في ظلال القرآن**، (السعودية، دار طيبة، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م)، ج١، ص١٩٤-١٩٧.

[٢] ينظر: ابن تيمية، تقي الدين أحمد الحلراني، **مجموعة الفتاوي**، (مصر، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م) ج٢، ص١٠، والحمد، محمد بن إبراهيم، **الإسلام: حقيقته، شرائعه، عقائده، نظمه**، (لسعودية، دار ابن خزيمة، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م)، ص١٧- ٢٣.

فكيف يكون خالقًا؟ كما أن افتقار المخلوق وصف ملازم له، يدل على أنه لا بد من وجود خالق كامل غني عما سواه، وهو الله[١].

٣. دلالة الحس: ويتأتى في النظر لرحمة الله في إجابة الملهوفين، وإلى بديع صنع الله في خلق الإنسان، وما فيه من كمال وتميز عن سائر المخلوقات، دليل أن الله هو المنفرد بتدبيره وتصريفه، وفي مشهد هداية المخلوقات لصالح معاشها وأحوالها، دليل على وجود خالق أتقن صنعه، وكذلك في النظر في الآفاق وما يحويه الكون الفسيح، من أسرار وعبودية الكائنات، التي فطرت على توحيده، وأقرت بحاجتها له[٢].

كما أن صدق دعوات الرسل، أكمل البشر، دليل حسي واضح، وظهور المعجزات على أيديهم، ونزول الكتب السماوية، وما جاء فيها من أخبار وقصص، تدل بأنها من عند الله[٣].

المطلب الأول: دلالات الإيمان بالله وحده:

يعتبر الإيمان بالله تعالى هو الركن الأول، الذي يتأسس به المعتقد الإسلامي، الذي يمثل الدين الأول.

---

[١] ينظر: الحمد، الإسلام: **حقيقته، شرائعه، عقائده، نظمه**، ص١٠٠، ومحمود، **في رحاب الكون مع الأنبياء والرسل**، ص٣٨٥.

[٢] ينظر: الحمد، **الإسلام: حقيقته، شرائعه، عقائده، نظمه**، ص١٠٥-١١٠، والغزالي، **قواعد العقائد**، تحقيق موسى بن محمد بن علي، (بيروت، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، ص١٥٢-١٥٤.

[٣] ينظر: رضا، **تفسير المنار**، ج١٢، ص٣٤-٣٧، ذكر أنواع الأخبار في القرآن:١. أنباء الغيب الماضية وتنقسم إلى قصص الرسل، وأخبار التكوين، وبين أن قصص الأنبياء موضوعها وقائع بشرية، لها روايات متواترة في جملتها، بعضها مدونة عند أهل الكتاب، وبعضها محفوظ عند العرب، كأخبار عاد، وثمود، وإبراهيم، وإسماعيل، فدعوى افترائها من أصلها مكابرة ظاهرة البطلان.

إن قوم نوح من ذرية آدم الذي هبط مسلمًا إلى الأرض لمهمة الاستخلاف فيها، فكانت عقيدة التوحيد أول عقيدة عرفتها الأرض[١]، وكان الإسلام "هو: دين جميع الأنبياء من أولهم إلى آخرهم."[٢]

والإيمان بالله تعالى هو: الاعتقاد الجازم بوجود الله، وأنه رب كل شيء، فهو الخالق والمدبر والمستحق العبادة وحده لا شريك له المتصف بصفات الكمال، والمنزه عن كل نقص، وكل معبود غيره فهو باطل.[٣]

فكان التوحيد أول عهد بالبشرية، ثم طرأ الشرك وتعدد الآلهة، لقوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣][٤]، وهذا ما تضمنته دعوة نوح عليه السلام لقومه في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٥٩].

وقوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود:٢٦]، وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون:٢٣]، وقوله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [نوح:٣]، ليس لكم إله غيره تتوجهون

---

[١] ينظر: حوى، **الأساس في التفسير**، ص٢٥٦٤.

[٢] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٦٨٨، وابن تيمية، **مجموعة الفتاوي**، ط٣، ج٣، ص٦٤.

[٣] ينظر: ابن تيمية، **مجموعة الفتاوي**، ج٣، ص٢٢٦، والحمد، **الإسلام: حقيقته، شرائعه، عقائده، نظمه**، ص٩٧، وإبراهيم، محمد بن يسري، **إن الدين عند الله الإسلام**، (مصر، دار الكتب المصرية، دار اليسر، د.ط، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م)، ص٤٠-٤٤.

[٤] ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١، ص٥٧٤، فقال: "يجوز أن يكون ذلك الوقت الذي كانوا فيه أمة واحدة من عهد آدم إلى عهد نوح عليهما السلام"، وزكريا، أبي بكر، **الشرك في القديم والحديث** (الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، ص١٨٤، ١٨٥، والصلابي، **نوح والطوفان العظيم ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية**، ص٤٦-٥٧، وهيشور، **سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها**، ص١٨٤.

إليه في عبادتكم بالدعاء، وتطلبون منه ما لا تقدرون على كسبه، وما لا تستطيعونه، فإن الله تعالى هو الرب الخالق لكل شيء وبيده ملكوت كل شيء[1]، لقد استدل على وحدانية الله تعالى، وتفرده بالخلق والرزق، واستحقاقه للعبادة كما تحقق في نوح عليه السلام إيمانه في أسماء الله وصفاته في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود:٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون:٢٩]، فدعا قومه إلى التوحيد بكل مضامينه من:

أ. الإيمان بوجود الله: وذلك باعتقاد وجوده وجودًا كاملًا لم يسبق بعدم، ولا ينتهي بفناء.

ب. الإيمان بربوبية: وذلك باعتقاد انفراده بأفعاله، وأنه لا شريك له في خلقه، وملكه، وتدبيره.

ج. الإيمان بأسمائه وصفاته: وذلك باعتقاد أن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، من غير تمثيل، ولا تعطيل، ولا تكييف.

د. الإيمان بألوهيته: وذلك بإفراده بأفعال العباد، فلا يُصرف أي نوع من أنواع العبادة لغيره.[2]

إن كل آية في القرآن متضمنة للتوحيد، شاهدة به وداعية إليه، فآيات الأنبياء وبراهينهم وأدلتهم هي شهادة من الله لهم، بيَّنَها لعبادة غاية البيان، وجميع سور القرآن تضمنت التوحيد بنوعيه؛ التوحيد الخبري العلمي الاعتقادي، وهو إثبات حقيقة ذات الرب وصفاته وأفعاله وأسمائه وعموم قضائه وقدره وحكمته، والتوحيد الطلبي القصدي الإرادي وهو توحيد الألوهية أو العبادة،

---

[1] ينظر: رضا، **تفسير المنار**، ج٨، ص٤٩٢.

[2] ينظر: الفوزان، صالح بن فوزان، **عقيدة التوحيد**، (السعودية، دار العاصمة، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، ص٢٢-٣٢، والحمد، **الإسلام: حقيقته، شرائعه، عقائده، نظمه**، ط١، ص٩٧، والبراك، عبد الرحمن بن ناصر، **توضيح مقاصد العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية**، (السعودية، الدار التدمرية، ط٢، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م)، ص٣٠ وإبراهيم، **إن الدين عند الله الإسلام**، ص٤١.

فهو سبحانه لكمال عدله وحكمته وإحسانه وإقامة الحجة لم يبعث نبيًّا إلا ومعه آية تدل على صدق الله.[١]

المطلب الثاني: دلالات الإيمان بالملائكة:

وهذا الإيمان يمثل الركن الثاني من أركان الإيمان، فالملائكة مخلوقون من نور يحاطون في عالم الغيب، مسخرون لعبادة الله، مجردون من خصائص الربوبية والألوهية، فهم لا يَخْلُقون ولا يَرْزُقون ولا يجوز عبادتهم مع الله أو من دونه، منحهم الله الانقياد التام لأمره.[٢]

تبين من خلال خطاب نوح عليه السلام مع قومه حينما اعترضوا على دعوته، وعرضوا عليه شبهاتهم، إيمانه الراسخ بحقيقة، ودور الملائكة في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ [المؤمنون:٢٤]، فجاء رده في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [هود:٣١]، فكان نفي نوح عليه السلام كونه ملكًا، داحضًا لشبهتهم بأن الرسول من الله إلى البشر يجب أن يتميز عليهم ويعلم ما لا يعلمون، ويقدر على ما لا يقدرون، وهذه سنة الله في عدم إنزال الملائكة، لعدم استعداد البشر لرؤيتهم والتلقي عنهم في الدنيا، ولو أنزل الله ملائكة لبعض البشر لجعلهم متمثلين في صوة بشر، وتبقى شبهتهم كما هي[٣] فتضمن خطابه لمضامين الإيمان بالملائكة وهي:

أ. الإيمان بوجودهم.

---

[١] ينظر: الحنفي، ابن أبي العز، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق جماعة من العلماء، (بيروت، عمان، المكتب الإسلامي، د.ط، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م)، ص٨٩-٩٦، والقحطاني، سعيد بن علي بن وهف، **عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة**، (القصب، مركز الدعوة والإرشاد، ط٢، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م)، ج١، ٢، ص٢٦.

[٢] ينظر: الحمد، **الإسلام: حقيقته، شرائعه، عقائده، نظمه**، ص١١٥، وإبراهيم، **إن الدين عند الله الإسلام**، ص٤٥.

[٣] ينظر: رضا، **تفسير المنار**، ج١٢، ص٦٧، ج٨، ص٢٧٩.

ب. الإيمان بأوصافهم، واختلاف طبيعتهم الملائكية عن طبيعة البشر.

ج. الإيمان بأعمالهم وعبادتهم، التي لا تفتر والمختلفة عن طبيعة أعمال وعبادة البشر.[١]

المطلب الثالث: دلالات الإيمان بالكتب:

الإيمان بما أنزله الله من كتب على رسله، رحمة وهداية للخلق؛ لتتحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة.

ويتضح هذا الإيمان في خطاب نوح عليه السلام مع قومه في قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ [الأعراف:٦٢]، " فهو جاء ليبلغ ما أرسله ربه من رسالات متعددة، منها العقائد، وأهمها التوحيد المطلق، الذي بدأ به، ويتلوه الإيمان باليوم الآخر، وبالوحي، والرسالة، وبالملائكة، والجنة، والنار، وغير ذلك، ومنها الآداب، والحكم، والمواعظ، والأحكام العملية، من عادات ومعاملات"[٢]، وكذلك رسالاته إلى الأنبياء قبله، من صحف جدّه إدريس[٣]، فجاء بما يتضمن الإيمان بالكتب من:

أ. الإيمان بأنها أنزلت من عند الله.

ب. الإيمان بأسمائها، وعلى من أنزلت من الرسل.

ج. العمل بها، والرضا والتسليم بها.

---

[١] ينظر: الحمد، **الإسلام: حقيقته، شرائعه، عقائده، نظمه**، ص١١٥، ١١٦، وإبراهيم، **إن الدين عند الله الإسلام**، ص٤٥، ٤٦.

[٢] رضا، **تفسير المنار**، ج٨، ص٤٩٤.

[٣] ينظر: القاسمي، محمد بن جمال الدين، **محاسن التأويل**، تعليق وتخريج محمد بن فؤاد بن عبد الباقي، (د.م، ط١، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م)، ص٢٧٦٣.

وهذا الأصل من أصول العقيدة تجلي عناية الله تعالى بخلقه وحكمته بإنزال ما يناسبهم، والسير على نهجه المستقيم، والتحرر من التشريع البشري، الذي لا يسلم من الأهواء والأخطاء.[١]

المطلب الرابع: دلالات الإيمان بالرسل:

فالرسالة تتحقق باصطفاء الله تعالى للشخص بالوحي، فيكون رسولًا يبعثه بشرع من عنده؛ ليبلغه للناس.

وتتركز حقيقة الرسل والأنبياء بأنهم صفوة الخلق، ورسل الحق، يوحى إليهم، وليس لهم خصائص الربوبية والألوهية بشيء، وكذلك هم معصومون في تحمّل الرسالة، وفيما يبلغون به عن ربهم، فلا يُنْقِصون شيئًا مما أوحاه الله تعالى لهم، ولا ينسون شيئًا من ذلك، ومعصومون في التبليغ، فلا يكتمون شيئًا من الوحي، ولكنهم بشر قد يخطئون في إصابة الحق في القضاء، وقد تقع منهم الصغائر، ولكنهم أعلم الخلق، وأعدلهم طريقة، وأكملهم أخلاقًا وأصدقهم حجة.[٢]

فالتوحيد ميثاق معقود بين خالق البشر، وما فطرهم بها، منذ كينونتهم الأولى، فلا حجة لهم في نقض الميثاق، ولكن اقتضت رحمة الله ألا يكلهم لفطرتهم، فقد يعتريها الانحراف، ولا إلى عقولهم فقد تضل، وأن يبعث إليهم رسلًا مبشرين ومنذرين، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل[٣]

كان نوحٌ عليه السلام يجاهد قومه، ليوصلهم إلى توحيد الله تعالى والتسليم به، ولكن جحودهم أغلق جميع منافذ الهداية، فهم يرون أن الرسول بشرٌ؛ فهو مساوٍ لهم، فالمساواة تنافي

---

[١] ينظر: الحمد، **الإسلام: حقيقته، شرائعه، عقائده، نظمه**، ص١٢٥-١٢٧، وإبراهيم، **إن الدين عند الله الإسلام**، ص٤٦.

[٢] ينظر: الحمد، **الإسلام: حقيقته، شرائعه، عقائده، نظمه**، ص١٤٦-١٤٩، وإبراهيم، **إن الدين عند الله الإسلام**، ص٤٩، ٥٠.

[٣] ينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، مج٣، ج٩، ص١٣٩١.

دعوى تفوق أحد المتساويين على الآخر، بجعل أحدهما تابعًا مطاعًا والآخر متبوعًا مطاعًا؛ لأنه ترجيح بغير مرجح.[1] كما في قوله تعالى: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ [هود:٢٧]، ولذلك كان رد نوح عليهم في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٦١]، وقوله تعالى: ﴿رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ [هود:٢٨]، فكان تفسير نوح عليه السلام على هذه الشبهة: بأني على حجة ظاهرة من ربي فيما جئتكم به تبين لي بها أنها الحق من عنده لا من عندي وكسبي البشري الذي تشاركونني فيه، وإنما هي فوق ذلك، وآتاني النبوة وتعاليم الوحي برحمته الخاصة لمن يهتدي بها فوق رحمته العامة لعباده جميعهم، وحجبها عنكم غروركم وجهالتكم بمالكم وجاهكم، فلم تتبينوا بها ما تدل عليه المفارقة بيني وبينكم عندما جعلتموني بشرًا مثلكم[2] وبذلك بين أنه يجمع بين الطبيعة البشرية، ومؤهلات الرسالة من البراهين والوحي الإلهي.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هود:٣٦]، هذا الوحي الإلهي الذي أُعلم به، وتميز به، بفضل من الله واصطفاء، يدل على نبوته ورسالته.

المطلب الخامس: دلالات الإيمان باليوم الآخر:

وهو الإيمان بكل ما أخبر الله به وأخبر به رسوله مما يكون بعد الموت، ويتضمن ما يلي:

أ. فتنة القبر، ونعيمه، وعذابه.

ب. الحساب.

ج. الجنة، والنار.

وقد تبين في قصة نوح عليه السلام ذلك العذاب الموافق لعمل قوم نوح عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥]،

---

[1] ينظر: رضا، **تفسير المنار**، ج١٢، ص٦٢.

[2] ينظر: **المرجع السابق**، ص٦٤.

فجاء ذكر عذاب الدنيا، وهو الطوفان بسبب خطاياهم، لا بسبب آخر، ثم أدخلوا نوعًا من النار والمراد إما عذاب القبر، فهو عقيب الإغراق وإن كانوا في الماء[١]، أو أنهم يُغْرقون من جانب أي بالأبدان، ويحرقون من جانب أي بالأرواح، فيجمعوا بين الماء والنار[٢]، أو أنهم سيدخلون في الآخرة النار، يعني جهنم، وعبر عن الفعل بالماضي لدلالة التحقق قيل: أراد عرضهم على النار غدوًّا وعشيًّا عبر عنه بالإدخال.[٣]

المطلب السادس: دلالات الإيمان بالقدر خيره وشره:

وهو الإيمان بعلم الله المحيط، وكتابته، ومشيئته، وخلقه لكل شيء، ويتضمن:

أ. الإيمان بعلم الله تعالى لأحوال العباد وأرزاقهم، وآجالهم، وأعمالهم جملةً وتفصيلًا، ماضيًا ومستقبلًا، سواء كان متعلقًا بأفعاله أو بأفعال عباده وما كان وما يكون.

ب. الإيمان بكتابته لكل المقادير.

ج. الإيمان بمشيئة الله النافذة.

د. الإيمان بأن الله الخالق لكل شيء، وما سواه مخلوق له.[٤]

وقد جاءت سلوكيات نوح عليه السلام متوافقة مع هذا الإيمان، فيتضح في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح:٤]، إن نوحًا عليه السلام لم يعلم ما إذا كان قومه ممن يؤخر له أو ممن يعاجل له في

---

[١] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ج١٠، ص١٨٣.

[٢] ينظر: الضحاك، بن مزاحم الهلالي، **تفسير الضحاك**، تحقيق محمد بن شكري الزاويتي، (مصر، دار السلام، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م)، ج١، ص٩٠٠، والرازي، **التفسير الكبير**، ج٢٩، ص١٤٥.

[٣] ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٩، ص٧٠٨، والجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج٨، ص٣٧٤.

[٤] ينظر: الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، ص٢٤٧-٢٥٨، وإبراهيم، **إن الدين عند الله الإسلام**، ٥٦-٥٨، والأشقر، عمر بن سليمان، **العقيدة في ضوء الكتاب والسنة**، (قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار النفائس، د.ط، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م)، ج٣، ص١٨١٣.

الأجل؛ لعدم علمه بما هو مكتوب في الأزل، وإنما قال لهم آمنوا يَبِن لكم أنكم ممن قضي لهم بالإيمان والتأخير، وإن بقيتم على كفركم فسيَبِين أنكم ممن قضي عليه بالكفر والمعاجلة[١]، وهذه الآيات دالة على أن جميع الحوادث بقضاء الله تعالى وقدره، فقد تميل النفس لكلام الرسول فتهتدي، وتنفر نفس أخرى لنفس الكلام وتكابر، وكلا الرغبتين بقضاء الله وقدره.[٢] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود:٣٤]، فيؤكد أن التوفيق والهداية بتقديره ومنتهى حكمته، وإليه مرد كل شيء.

كما يتبين عدم علم نوح عليه السلام بالغيب، وبواطن النفوس في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [هود:٣١]، وكذلك ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون 112) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ [الشعراء:١١٢، ١١٣]، فيوضح لقومه أنه لا يمتاز على سائر البشر بعلم ما لا يصل إليه علمهم الكسبي، من مصالحهم ومنافعهم ومضارهم، فينبأ به أتباعه فيفضلوه، ولا يستطيع الحكم على بواطنهم وإنما أُمِر بأخذ الظاهر. أما الله تعالى فهو الذي يتولى السرائر، وهو وحده يجازي، ويحاسب كل نفس.[٣]

كما جاء تفويض المشيئة في حوار نوح إلى الله وحده وتجلى في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾ [هود:٣٣]، فعندما تحدى قوم نوح بأن يرسل نوح عليهم العذاب، قال أنه بمشيئة الله تعالى.

---

[١] ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٩، ص٦٩٩.

[٢] ينظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج٢٩، ص١٣٦.

[٣] ينظر: البروسوي، **روح البيان**، ج٦، ص٢٩٢، وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج٣، ص٣٥٥، ورضا، **تفسير المنار**، ج١٢، ص٦٨.

المبحث الثاني: الدلالات الدعوية في قصة نوح عليه السلام:

المطلب الأول: الدلالات الدعوية علاقة نوح مع ربه:

١. تحقيق العبودية لله: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات:٨١]، فالإيمان هو قاعدة البناء الارتقائي في مراتب المتقين فالأبرار فالمحسنين.[١]

٢. استجابته لرسالة الوحي: في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٦٢]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ"[هود:٢٨]، إنها خصائص الرسول الذي اصطفاه الله من الخلق وأمده بما يقوى به في أداء مهمته، فجعله يتميز بقوة البرهان ورسالة الرحمن فاق أقرانه البشر.[٢]

٣. امتثاله لطاعة الله: في قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٧٢]، فالإسلام هو الاستسلام لله وحده، وهو بذلك دين الأولين والآخرين من الأنبياء جميعهم، فدين الإسلام واحد من لدن نوح عليه السلام إلى خاتم الأنبياء، وهو عبادة الله وحده لا شريك له في كل زمان ومكان.[٣]

---

[١] ينظر: الميداني، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، ج١١، ص٥٩٣، والحميدي، عبده بن عبد الله بن محمد، **حوار الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم دراسة موضوعية**، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، (السودان، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ٢٠٠١م)، ص٢٩-٣٢، مبينًا أن غرض التوحيد أهم موضوع في الدين، والقرضاوي، **قيمة الإنسان وغاية وجوده في ضوء القرآن والسنة**، (جامعة قطر، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، ١٤١٠/١٤١١هـ، ١٩٩١م)، ع٥، ص٢٨، يبين المقاصد الإلهية الثلاثة من خلق الإنسان، (عمارة الأرض، عبادة الله، خلافته في الأرض).

[٢] ينظر: رضا، **تفسير المنار**، ج١٢، ص٢٣١.

[٣] ينظر: ابن تيمية، تقي الدين أحمد، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق علي بن حسن وآخرين، (السعودية، دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م)، ص٨١-٨٤.

٤. تعظيمه لله: في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ [هود:٢٨]، كان نوحٌ عليه السلام مُعَظِمًا لله، يُجِله ويُوقِره، في كل أصول الإيمان؛ لعظيم المرسل الذي ليس كمثله شيء.

٥. الثقة بعدالة الله، في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ [هود ٣٥]، خاطب نوح عليه السلام قومه بمقتضى العدالة الإلهية، الجارية على جميع الخلائق في الجزاء.

٦. الفزع إلى الله: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ [الصافات:٧٥]، وقوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ [الأنبياء:٧٦]، وقوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر:١٠]، فهو الملاذ الأخير حينما أوصله قومه إلى التهديد بالرجم، فكانت التوجه السديد في نداء الله تعالى مصدرًا لرفعته ونصرته.

٧. دعاء الله البركة: في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا﴾ [المؤمنون:٢٩]، إنها خطى يوحيها الله لعباده المؤمنين، يهديهم بها إلى سبيل البركة، إنه امتثال لأمر الله (قل) يتوجه إلى (رب) العالمين فتتحقق.

٨. شدة التوكل على الله: في قوله تعالى: ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يونس:٧٢]، لقد بلغ توكل نوح عليه السلام على ربه أسمى درجات التوكل، فلم يعبأ بشيء إلا أن يكون عبدًا مؤمنًا ورسولًا أمينًا، يستمد قوته من الوكيل الحق.

٩. سرعة التوبة إلى الله: في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود:٤٧]، حينما شعر نوحٌ عليه السلام أن عاطفة الأبوة قد توصله إلى مدارك الجهل بحكمة الله تعالى، فسارع في الاستعاذة بالله من غضب الله، وندم على سؤاله ربه في نجاة ابنه، وطالباً من الله تعالى المغفرة والرحمة وألَّا يكون في زمرة الخاسرين.

١٠. تفويض الأمر إلى الله: في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود:٢٤]، إن الله تعالى خلق الضلالة والاهتداء وسبق علمه في كل كائن، فقدر ذلك تقديرًا محكمًا، لا يتغير ولا يتناقص ولا يتزايد.[١]

١١. الاشادة بعلم الله المحيط: كان نوحٌ عليه السلام مؤمنًا بصفات الله الخلاق العليم، الذي أحاط علمه جميع الأشياء باطنها وظاهرها، في جميع الأزمنة وجميع الأحوال[٢]، وجاء رد نوح على قومه الذين استهانوا بأتباعه المؤمنين، وطعنوا في ملكاتهم العقلية والنفسية في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ مُلَاقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [هود:٢٩]

المطلب الثاني: الدلالات الدعوية في حوار نوح مع الغير:

١. التقعيد لدعوة التوحيد: من خلال وضع أسس الدين الثابتة من:

أ. وجود الله: في قوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٥٩]

ب. الإيمان باليوم الآخر: في قوله تعالى: ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:٥٩]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" [هود:٣٤]

ج. الإيمان بالموت والبعث: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح:٤]

د. الإيمان بالحساب: في قوله تعالى: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ [الشعراء:١١٣]

هـ. الإيمان بالرسول: في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٦١]، فكانت رسالة نوح عليه السلام قاعدة متكاملة للتوحيد.

---

[١] ينظر: التفتازاني، **شرح العقائد النسفية**، ص٦٥، والحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، ص٢٧٠.

[٢] ينظر: البراك، **توضيح مقاصد العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية**، (مصر، دار المودة، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م)، ط٦، ص٤٩-٥٤، ومجموعة من المتخصصين، **نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، (السعودية، دار الوسيلة، ط٨، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م)، ج٧، ص٢٩١٤، والمقرن، **الدعوة والتربية في ظلال القرآن**، ج١، ص٤٠٤-٤٠٧.

٢. نفي الشرك: في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح:٢٣، ٢٤]، لما منع الكبراء أتباعهم التوحيد وأمروهم بالشرك، وكان ذلك من أعظم الكبائر فلهذا وصفه الله تعالى بأنه (كُبار)، حيث إن التوحيد من أعظم المراتب.[١]

٣. الحرية وعدم القسر: في قوله تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [نوح:٢٨]

٤. الإلحاح في الدعوة وكثرة الجدال: في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [هود:٢٣]، و ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ﴾ [الشعراء:١١٦]، فقد لازم نوح عليه السلام دعوته لقومه الليل والنهار، والسر والجهر، والإسرار، بتتبع الأفراد في منازلهم، والإعلان في تجمعاتهم، فهول عليهم شر ظلالتهم، وأعطى رسالة التوحيد ما تستحقه من اهتمام ومبالغة؛ لتتمكن العقول والنفوس من فهمها.

٥. الإيجاز في القول: في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ [يونس:٧٢]، أي إن توليتم عن دعوة التوحيد، فما سألتكم عن أجر أتقاضاه منكم لأثبت لكم أن لي فضل عليكم ... وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود:٤٥]، فحذفت عدة كلمات والمعنى: أن ابني من أهلي وأنت وعدتني بنجاتهم وإن وعدك حق.. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الصافات:٨٢]، أي بعد أن أنجينا نوحًا وأهله وابتعدوا عن أرض قومهم، وأخذ الماء يتصاعد، والكفار يتسلقون حتى جرفهم الماء، وتم إغراقهم بزمن متطاول..، وهذا مطلب دعوي يوجز وقائع كثيرة بعبارات موجزة هي زبدة الحدث.

---

[١] ينظر: عبد الوهاب، محمد، **كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**، تحقيق دغش بن شبيب العجمي، (الكويت، مكتبة أهل الأثر، ط٥، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م)، ص١٨٨، والدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب**، ج١٩، ص٣٩٣، والسعدي، **القول السديد في مقاصد التوحيد**، (مصر، المكتبة الإسلامية، ط١، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م)، ص٧٩-٨٩.

٦. المجادلة بالتي هي أحسن: في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٦١]، يتبين من خلالها صفح نوح عليه السلام وإعراضه عن جهالات قومه، فلم يقابلهم بإنساب الضلال لهم، بل تعلق قوله في شخصه، فنفى أن يكون به أقل نسبة ضلالة، وألحقه بتعليل لا يخطأ، في كونه مرسل من العالم بخفايا النفوس، واتجاهات العقول، فكان جدال في أعلى درجات المحاسن.[١]

٧. رد المشيئة والإرادة لله في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾ [هود:٣٣]، حينما طلب الكفار من نوح عليه السلام أن يعجل بالعذاب، فأرجع الأمر كله لله تعالى قائلًا: فوعدي إياكم بالعذاب، واقتراحكم على بطلبه، لا يؤثر في ساحة مشيئته، وقهره، وحكمته.

٨. التفصيل لزيادة الحجة: في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود:٢٩، ٣٠]، لقد اتبع نوح أسلوب التفصيل في سرد أبعاد قضية طرد المؤمنين الضعفاء، حينما طلب ذلك المستكبرون من قومه، فبين جُرم الفعلة من جميع الجهات أولًا: من جهة ظلم الضعفاء بهذا الفعل، ثم من جهة ظلم الله تعالى بالتعدي على حكمته وجزاءه، ثم من جهة ظلم نوح عليه السلام لنفسه أمام ربه يوم الحساب، وتجرده من النصير، مُختتمًا هذا التفصيل باستفهام استنكاري يحرك العقول ويثبت الحجة.

٩. الترغيب: في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح:١٠-١٢]، فقد كان قوم

---

[١] ينظر: حسن، إبراهيم بن حسن، **أساليب الدعوة في حياة بعض الرسل والأنبياء**، (أم درمان، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٠٩م)، ع١٦، ص٢٢٥.

نوح عليه السلام تحركهم المحسوسات، وتأسرهم الماديات، فخاطبهم بما يعقلونه ويرغبونه، حينما تشوفت نفوسهم لتحصيله.

١٠. الترهيب: في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ"[هود:٢٥]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون:٢٣]، وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء:١١٠]؛ لتحريك عواطف النفوس، فإن تيقظت كانت أدعى إلى إصدار الاستجابات السلوكية، وتتبع الحق.

١١. التعريض: في قوله تعالى: ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح:٢٥]، وهذا يوصل بالمستمع إلى الإقرار، والإقناع بخطأ مسلكه بصورة غير مباشرة، وغير موصلة إلى التصادم والاختلاف، فالغاية تتحقق بصورة لا تحقق معها النفرة، وهذا ما اتبعه المنهج القرآني؛ ليبين للكافرين ورودهم النار، وتخلي الشركاء المضلة من نصرتهم، وقوله تعالى: ﴿إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود:٣١]، جاء في جدال نوح عليه السلام لقومه، فلم يقل لهم أنتم الظالمون، بل قال: لو اتبعت قولكم لكنت من طائفة الظالمين تعريضًا لهم.

١٢. التعليل: وهو إيراد تفسيرٍ وسببٍ يبرر الفعل الواقع أو الأمر المطلوب، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود:٤٦]، فالخطاب القرآني جاء؛ ليعلل فيه الله تعالى لنوح عدم نجاة ابنه؛ لأنه كافر لا ينتمي إلى وعد الله الناجي لأهل نوح المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود :٢]، أي أنكم تجهلون حقيقة يوم الحساب ومجازاة الله للخلائق جميعها يوم القيامة حينما طلبتم مني طرد أتباعي المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿لَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٦١]، حينما نفى تهمة الكفار عنه، وعلل بأنه رسول من الله.

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح:١٠، ١٢]، فأورد نوح عليه السلام لقومه أن الذنوب سبب لهذا الجدب، ولو تابوا لجاء نعيم الله إليهم.

١٣. الحث على النظر والتفكر في آلاء الله وقدرته: بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح:١٤-٢٠]، فبدأ بدعوتهم في التفكر في أنفسهم في طور الخلق، ثم التفكر في الكون بالنظر في السموات والأرض، وما أودعها من مجرات تتعاقب في الليل والنهار، ثم التفكر في علاقة الإنسان بهذا الكون الرحب الذي هيأه الله له معيشته الهانئة على وجه الأرض، ثم دخوله في بطنها عند موته، ثم خروجه منها عند بعثه، مبينًا غاية خلقه في أسلوب بليغ، يجمع بين الحس، والعقل، والنظر.

المطلب الثالث: دلالات شخصية نوح الدعوية:

١. الفورية والسرعة في مهمة الدعوة: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [هود:٢٥]، فجاء التعبير القرآني دالًا على هذه السرعة، بألفاظ تفصح عن كونه متلبسًا بالدعوة حال الإرسال، مجليًا سمة خاصة في نوح.

وهذا مبدأ هام على الدعاة والمصلحين بالإسراع في تنفيذ أوامر الله، والدعوة إليه، وعدم تأخير النصح[١]

---

[١] ينظر: صواب، صالح بن يحيى، **معالم الدعوة في سورة نوح عليه السلام**، (جامعة القاهرة، مجلة كلية دار العلوم، ٢٠٠٥م)، ع ٣٦.

٢. التبليغ: في قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ [الأعراف:٦٢]، بيّن أن وظيفته تبليغهم، ببيان التوحيد، والأوامر، والنواهي.[١]

٣. الإنذار: في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [نوح:٢]، فقد سارع بتقديم النذارة والتخويف من غضب الله تعالى، وتلك هي رسالة الرسل لأقوامهم في تذكيرهم وتحذيرهم بحساب الله لهم يوم القيامة، فلا يخلوا أحد من الخلائق إلا وسيحاسب، ثم يجازى، فخوفهم من هول ذلك اليوم وذاك المصير.[٢]

٤. النصح: في قوله تعالى: ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف:٦٢]، وقوله: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾ [هود:٣٤]، لقد اقتصر نفع النصيحة لقومه فقط، دون مصلحة خاصة به.

٥. تقديم الدعوة على حظوظ النفس: في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ * قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ [١١٦، ١١٧]، فقدم شكواه إلى ربه من حيث ما أهمه، من قضية إثبات التوحيد لله والتصديق به، ولم يعبأ بما قد يتعرض له من أذى التهديد الخاص به.

٦. تحدي الباطل: في قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ"[يونس:٧١]، ففَصَّل نوح عليه السلام للكافرين بأن يأخذوا كل طاقتهم من جمع الفكر وجمع الشركاء وإعلان المهمات وتنفيذ الخطوات، تحديًا بالغًا في عدم اكتراثه بهم.

---

[١] ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص٣٥٢.

[٢] ينظر: البراك، **توضيح مقاصد العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية**، ص١٧٦.

٧. الإصرار على الحق: يتمثل بإصرار نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [هود:٢٩]، والتأكيد عليه يدل على ثبات التوجه والاستمرار في تحقيقه وإنفاذ المراد منه؛ لإيمانه بحرمة إضرار المؤمنين، ووجوب محبتهم، ومعاملتهم بالأخلاق الحسنة.

٨. الزهد في متاع الحياة الدنيا: في قوله تعالى: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود:٢٩]، تأكيدًا لصدق الرسالة، وابتغاء الأجر من جهة المرسل تعالى.[١]

المبحث الثالث: الدلالات الاخلاقية في قصة نوح:

المطلب الأول: الدلالات الاخلاقية في علاقة نوح مع ربه:

١. التبارك بذكر اسم الله في بداية العمل ونهايته: في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود:٤١]، ونوح عليه السلام أول من حكى الله عنه التسمية باسمه المبارك، فهو أول من أقام حجة التوحيد، وأول من جاء بشريعة الإسلام، وأول من رفع التناقض الإيماني بين البشر، وبذلك أصبحت التسمية مبدأ إسلاميًّا.[٢]

٢. حسن الأدب: لم تنفك عن نوح عليه السلام خصلة الأخلاق القويمة في خطابه مع الله تعالى وهو في أشد المواقف فزعًا وتكدرًا، ففي قوله تعالى: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود:٤٥]، خاطب الله بما هو أهلٌ له، فوصفه بأفعاله، وصفاته، وأسمائه المنزهة عن كل عيب ونقص، متضمنًا رغبة تصارعه في التماس نجاة ابنه، وقوله

---

[١] ينظر: الحميدي، **حوار الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم**، ص٣٣، مشيرًا إلى أن حجة نوح عليه السلام بأنه لا يطلب أجرًا جمعت بين الوضوح وبين الموافقة لمنطق الناس وطبائعهم، فمن طبائعهم أنه لا يؤدون عملًا دون مقابل، فلو كان هذا العمل لمصلحته لطالبهم بالأجر، ولكنه يطلبه من الله الذي كلفه بهذا العمل؛ لذا كانت هذه أقوى سلاح منطقي اعتمد عليه نوح عليه السلام.

[٢] ينظر: الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، ج١٠، ص٢٢٨، والحمد، **الإسلام: حقيقته، شرائعه، عقائده، نظمه**، ص٤٤٨، والرومي، شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال الباشا، **شرح رياض الصالحين**، (دمشق، دار النوادر، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م)، ج٤، ص١٣٧.

تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود:٤٧]، كما بين نفرته من أن يُغضب الله تعالى بسؤال يخدش إيمانه بعلم الله تعالى.

٣. الشكوى إلى الله: في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح:٥-٧]، فيبث لله تعالى شكواه من قسوة قومه، وبغضهم له، ولدعوة التوحيد، بسد جميع منافذ استقبال الهدى إليهم إلى الأسماع والأبصار والقلوب، فيوصل الأمر لله لا لغيره، وهو أعلم بهم.

٤. الحفاظ على دعوة التوحيد رغم غلبة الكفر: في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر:١٤]، "جزاء من حافظ على عهد الإنذار ودعوة التوحيد فكُفِر به، أن نتولاه بحفظنا وحراستنا، أو بمن وكلناه بها من الملائكة."[١]

٥. سرعة الانابة والتوبة: في قوله تعالى: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود:٤٧]، عندما وقع نوح بالذنب في سؤال الله تعالى نجاة ابنه من الغرق، فلم يكن مدركًا علم الله الكامل بحقيقة معتقد ابنه، وعندما تبين له الأمر سرعان ما اعترف بالذنب، وطلب الغفران، والنجاة من الخسران.

المطلب الثاني: الدلالات الاخلاقية في علاقة نوح مع الغير:

---

[١] الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، ج١٩، ص٦٨، وزيارة، فريد فرج سعيد، **مفهوم التعامل مع الناس في ضوء قصص الأنبياء: دراسة قرآنية**، المؤتمر الدولي: آفاق العمل الإسلامي المعاصر وضوابطه، ص٥٨٤.

١. التودد والتقرب: في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ﴾ [الأعراف:٥٩]، مذكرًا إياهم برابطة القومية والانتماء، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ [ألشعراء:١٠٦]، قاصدًا أخوة النسب، موحياً لهم بقربه منهم، وإرادة الخير لهم.[١]

٢. المعاملة بالمثل: في قوله تعالى: ﴿سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود:٣٨]، من مواقف القوة، أن يكون الرد على الخصم كما جاء به نوح بنفس القوالب اللفظية والفعلية، فلم تكن المبادرة منه، ولم يتجرد عن القيم الخلقية، بل أضاف صفة أجمل، وهي الاعتزاز بالذات.

٣. التجرد من المظالم: في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ [هود:٢٩]، لامتثاله البالغ لأمر الله، وخوفه الشديد من أن يلحق الظلم بأتباعه، فيطردهم لرغبة الكافرين، فهو لا يعلم بواطن أمورهم، فالله المختص بذلك العلم، وخشيته من أن يظلم نفسه بهذا الفعل الشنيع ويقابل ربه آثمًا.

٤. الشفقة والرحمة: في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، يتبين مدى عظم شفقت نوح نحو قومه، من أن يأخذه عذاب الله في الدنيا، أو في الآخرة، وفي قوله: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود:٣٦]، فعبرت الآيات عن شعور نوح بالحزن والبؤس، لعدم اهتداء قومه السبيل المستقيم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [نوح:٢٧]، بينت علم الله بطبيعة نوح الرحيمة بقومه، فأمره تعالى بعدم مراجعته في قومه، وطلب النجاة لهم.

---

[١] ينظر: زيدان، عبد الكريم، **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**، (لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، ج١، ص١٣١، وأبي بكر، الوليد بن صديق ، **حوار الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، (السودان، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ٢٠٠٥م)، ص٨٧.

٥. صدق المواجهة: في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [هود:٣١]، فلم ينسب لنفسه ما ليس فيها من فضائل ومحامد، بل قدر لها ما هو حق وصدق، فهو مجرد من امتلاك خزائن الأرزاق، وجاهل في علم الغيب، ومختلف عن جنس الملائكية، ولكنه بشر الله تعالى اصطفاه بالرسالة، ومده بالوحي.

٦. بر الوالدين: في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [نوح:٢٨]، فهو من أحب الأعمال إلى الله بعد الصلاة[١]، فتمثل البر في دعاء نوح بالمغفرة له، ثم والديه المؤمنين، مما يجلي حبه الغريزي بوالديه.

٧. فضح المواقف: في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح:٥-٩]، لقد كشف نوح لربه مواقف الكافرين في رد دعوته من فرار، وسد الآذان لتجنب سماعه، وتغطية وجوههم حتى يتجنبوا رؤيته من فرط الكراهية والبغضاء لنوح، الذي يتحين كل فرصة، ويتبع كل أسلوب ؛ ليجعلهم منتفعين.

٨. الانتقام والدعاء: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح:٢٤]، وقوله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦]، وقوله: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح:٢٨]، فيتبين حرص نوح بهذا الدعاء، على مصلحة الأجيال القادمة، وحمايتهم من التأثيرات المضلة.[٢]

---

[١] ينظر: النووي، يحيى بن شرف الحزامي، **رياض الصالحين**، تحقيق جماعة من العلماء، تخريج محمد الألباني، (بيروت، دمشق، عمان، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م)، ص١٦٩.

[٢] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٢، ص٢١٤، وصواب، **معالم الدعوة في سورة نوح عليه السلام**، ص٢٢٨.

المطلب الثالث: دلالات شخصية نوح الاخلاقية:

١. الإحسان: في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات:٨٠]، فنوحٌ استحق من الله استجابة الدعاء والنجاة وبقاء أثره طيبًا في الآخرين، سالمًا من كل سوء، في عموم المكان وعموم الزمان، وعموم الخلق، وهذا الإحسان الرباني جزاء لإحسان نوح عليه السلام، ولكل محسن عند الله جزاء مشابه، منبعه أعلى درجات الإيمان.[١]

٢. الأمانة: في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء:١٠٧]، وبها تستقيم الفطرة وتسلم من اتباع الهوى، فهي صفة مميزة لأصحاب الرسالات، افتتحها نوح عليه السلام فعليًّا لما تتضمنها الأمانة من صور عملية منها:

أ. النصح الشديد في دعوته لقومه كما جاء في الحديث "المستشار مؤتمن"[٢]

ب. تجاوزه وضاعة مهن أتباعه، وستر أحوالهم تقديرًا لرجاحة عقولهم، ورفعة إيمانهم، وعلو منزلتهم عند الله تعالى، ففي الحديث" من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"[٣]

---

[١] ينظر: الميداني، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، ج١١، ص٥٩٣.

[٢] الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق رائد بن أبي علفة، كتاب الأدب، باب ما جاء أن المستشار مؤتمن، رقم (٢٨٢٣)، ص٥٤٧، صححه الألباني وضعفه المباركفوري، "حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع عن داود بن عبد الله عن ابن جدعان عن جدته عن أم سلمه قالت: قال رسول الله: المستشار مؤتمن"، وفي الباب عن ابن مسعود وأبو هريرة وابن عمر، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب من حديث أم سلمة، وأبو داود، سليمان الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق جمال بن حسن وآخرين، (بيروت، المكتبة العصرية، د.ط، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م)، كتاب الأدب، رقم (٥١٢٨٩)، ص٩٣٩.

[٣] الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات، مجلد٤، باب إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين، رقم (٢٨٣٥)، ص٢٧، وجاء عن عمر، وأبي هريرة، ومعاوية، وقال عنه حديث صحيح

ج. إتقانه لمتطلبات الرسالة وعدم الخيانة لقول الرسول ﷺ:" إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: وكيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة."[١]

٣. الصبر: في قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت:١٤]، إنه الصبر الجميل الذي لبث أمدًا طويلًا بينهم، سجلته آيات الذكر الحكيم في حق نوح عليه السلام الذي تفرد به، واحتسب ثوابه في مواضع التأذي، لقد وفَّى بعبوديته في نشر الحق، ووفَّى بعبودية الصبر على ذلك.

٤. الاستغفار: لقد أدرك نوح شؤم المعاصي والذنوب في حرمان الرزق والطاعة ومحق البركة، فدعا قومه؛ لتدارك هذه الأضرار بالاستغفار، ونيل فضله في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح:١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي﴾ [هود:٤٧]، مما جعله حريصًا على الامتثال بها، ودعا قومه بها.

٥. الشكر: كان امتثال نوح في تقوى الله ودعوة قومه بها بمثابة عتبة الوصول إلى الشكر.

فمقام الشكر أرقى لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران:١٢٣]، لكونه استنفاد للطاقات في الأحب إلى الله[٢] فقد وصفه الله بأنه عبدًا شكورٌ بقوله" إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣]، فكان يحمد الله على طعامه، وشرابه، ولباسه وكل أحواله، فيجمع الطاعات القلبية، والقولية، والفعلية[٣].

---

[١] رواه البخاري، **في صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب: رفع الأمانة، رقم (٦٤٩٦)، ص١٣٢١، وصححه.

[٢] ينظر: حوى، سعيد، **المستخلص في تزكية الأنفس**، (مصر، دار السلام، ط١٤، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م)، ص٣٠٣.

[٣] ينظر: ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص٧٣.

٦. الوعد بالخير لمن استجاب: في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح:١١ .١٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود:٤١]، فحينما دعا نوح عليه السلام قومه بالاستغفار، وبالتوبة والرجوع عن ذنوبهم لينالوا رضى الله تعالى عنهم مؤكدًا بـ (إنه) من صفته القديمة منذ الأزل (كان) كثير، ودائم المغفرة (غفارًا) فحاول أن يبني اليقين في قلوبهم بترسيخ هذه الصفة، فيحسنوا الظن به في مدهم بما يريدون، من رزق، ومال، وولد، وجنات.

٧. تعجب الجحود: في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣]، استنكر على قومه جحودهم في عدم تعظيمهم لله في قلوبهم أولًا من توحيد وشكر، وفي جوارحهم ثانيًا من صيانة ذكره وطاعة أمره، واجتناب معاصيه، وصرف كل ذلك لغيره فيهيبونهم ويطيعونهم، ويجعلون الله أهون الناظرين.[١]

المبحث الرابع: الدلالات التربوية في قصة نوح:

المطلب الأول: الدلالات التربوية في علاقة نوح مع ربه:

١. الاستجابة للتكاليف: وتتجلى أهميته في تقرير المعاني الهامة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [هود:٢٥]، مؤكدًا صدق وقوع رسالة نوح في قومه[٢]

---

[١] ينظر: مجموعة من المتخصصين، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، ج٨، ص٣٦٦٩، ٣٦٧٠.

[٢] ينظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ط٢، ج١، ٢، ص١٥٨، ذكر فيه أن نوحًا عليه السلام بعثه الله، لما عُبِدت الأصنام واختلف في مقدار سِنِّه، فقيل كان ابن خمسين سنة، وقيل ابن ثلاثمئة وخمسين سنة، وقيل ابن أربعمئة وثمانين سنة. والطبري، **تاريخ الطبري**، ص٦١، ذكر أن عهد نوح عليه السلام في عهد بيوراسب، وكان قومه يعبدون الأصنام، فدعاهم إلى الله تسعمائة وستة وخمسين سنة فثبتوا على الكفر، فأهلكم الله.

وقوله تعالى: ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الصافات:٧٥]، مؤكدًا حصول الإجابة العظيمة، والتي تأتت من إخلاص توجه نوح عليه السلام لله المحسن.[١]

٢. إثبات الحجة السديدة: في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود:٢٨]، فقد لفت نوح عليه السلام انتباه قومه إلى حقيقة الوحي التي حجبت عن مداركهم، بسبب غرورهم، فلم يفرقوا بهذه المزية بينه وبينهم، كما لم يتنبهوا إلى تفاوت البشر في العقل والفكر والأخلاق والأعمال، بسبب نظرتهم المادية فأتبعه تنبيه آخر يعلل ذلك الضعف الإدراكي لديهم في قوله تعالى: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود:٢٩]، فهو يختلف عنهم في النظرة المادية للحقائق.[٢]

٣. قبول التكاليف: في قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ * وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ...حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾ [هود:٣٧-٤٠]، لقد شرع نوح عليه السلام في بناء سفينته بأمر الله تعالى، وحفظه، ووحيه، وتعليمه، موفقًا بامتثاله لتكاليف ربانية، كانت في أفضل تدبير، وأنجح إنجاز.

٤. التخطيط والأخذ بالأسباب: قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود:٣٦، ٣٧]، فعند تعذر حصول هداية الكفار، ووحي الله لنوح عليه السلام بأنهم لن يؤمنوا، كان السبب في توقف نوح

---

[١] ينظر: الدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب**، ج١٦، ص٣١٩.

[٢] ينظر: رضا، **تفسير المنار**، ج١٢، ص٦٣-٦٥.

عليه السلام عن دعوة التوحيد، واتخاذ أسباب النجاة التي رسمها الله تعالى له ولمن آمن معه.[1]

٥. الالتزام بدقة التوجيهات: في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا.. فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ [المؤمنون:٢٧]، فجاءت الدقة في صناعة السفينة، وبنائها من الألواح والمسامير، وجاءت دقة الأوامر الإلهية فيمن يستحق أن يُحمل فيها من كل المخلوقات عددًا وجنسًا ونوعًا.

---

[1] ينظر: الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، ج١٠، ص٢٤١، ذكر رواية في الدر المنثور عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: "إن نوحًا عليه السلام كان يضرب ثم يلف في لبد، فيلقى في بيته يرون أنه مات، ثم يخرج فيدعوهم حتى تكرر ضربه وشج رأسه، فاشتكى إلى ربه، فأوحى إليه ما آيسه من إيمان قومه".

المطلب الثاني: الدلالات التربوية في علاقة نوح مع الغير:

١. التمايز: في قوله تعالى: ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾ [الشعراء:١١٨-١٢٠]، وكأنه وأتباعه والكفار من قومه اختلطوا واجتمعوا بغير تميز، فسأل ربه أن يفتح بينهم بإيجاد فسحة يبتعد ويتمايز كلا الفريقين، وجاء السياق مبرزًا نزول العذاب؛ ليتحقق التمايز الجزائي.[١]

٢. العقاب: في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا *مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح:٢٥]، تقرر حقيقة العدالة الإلهية في تربية الخارجين عن ناموس الكون وقانون الخالق.

٣. أخذ العبرة: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٥]، إن مثول الدلائل الحسية شاهد عيان، وحاله يخبر بعبرة الواقعة في كل لحظة تأمل.[٢]

٤. ذم المعرضين: في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ"[هود:٢٩]، وقوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود:٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [هود: ٣٥]، لكون ما ساقه نوح عليه السلام من حجج عقلية لا تقبل الكذب، وإنما تثبت الإجرام المستمر لهؤلاء الكفار في رفض من يهديهم.[٣]

---

[١] ينظر: الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، ج١٥، ص٢٩٧.

[٢] ينظر: **المرجع السابق**، ج١٩، ص٦٩، ذكر أن بقاء سفينة نوح عليه السلام على الجودي، دليل على واقعة الطوفان.

[٣] ينظر: الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، ج١٠، ص٢٢٠.

٥. التهديد: في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [هود:٣٩]، فيه إشعار نوح عليه السلام للكافرين بازدواجية العذاب في دار الدنيا ودار الآخرة، وهذا مسلك تربوي رادع لتيئيس نوازع الشر وبترها.

٦. التفكير المنطقي: لقد أورد الكافرون أربع شبهات لتكذيب نوح في قوله تعالى: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ " [هود: ٢٧]، وهي:

أ. المثلية في البشرية.

ب. أتباعه من أراذل القوم الذين اتبعوه بدون تعقل وعلم، وبذلك نزلت رتبته عن رتبة الطبقة العليا، وانتفت المساواة بينهم وبينه.

ج. عدم رؤية فضل له مع جماعته، من قوة عصبية، أو كثرة غالبة، أو أي مزية ترفعهم إلى رتبة الأشراف، فيتساوون معهم.

د. أنهم بعد ما ذكروه من أسباب التعارض، يرجحون الحكم على نوح عليه السلام وقومه بالكذب في هذه الدعوى، وهو المرجح الأقوى عندهم، فأخروا هذه الدعوة، وأشركوه مع أتباعه، ولم يجابهوه به وحده، ولم يجزموا[١] وجاء رد نوح عليه السلام بمنطق لا يُهزم في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ * وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ

---

[١] ينظر: رضا، **تفسير المنار**، ج١٢، ص٦٢، ٦٣.

وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود:٢٨-٣١]، وكان السياق القرآني في نفي الشبهات معجزًا بليغًا وهو كالتالي:

أ. نفى عنه المثلية في البشرية، عندما أثبت لنفسه ما أختصه الله من الرسالة والنبوة وتعاليم الوحي، وهذه تعلو به عن رتبة المثلية وبذلك أبطل الشبهة الأولى، ويدفعها ما هو معلوم بالحس والخبر من التفاوت في العمل الكسبي بين أفراد البشر، في العقل، والفكر، والأخلاق، والأعمال، أولًا، وما يفوقها مما اختص به الله من شاء من عباده بما لا كسب لهم فيه، فجعلهم أنبياء ورسلًا وهو الوحي[١]، وأردف بعدها عدم تطلعه للكسب المادي مثبتًا تعلق نفسه للأجر الأعلى من الله بما يوافق كلامه.

ب. أثبت أن المختص في علم حقائق النفوس والمجازي هو الله تعالى وحده، مثبتًا للكافرين الجهالة وعدم التعقل، عندما قدروا الامتياز بالمال المطغي والجاه الباطل، وأغفلوا عن الامتياز باتباع الحق والتحلي بالفضائل، متبعًا استفهامه الاستنكاري حول من ناصره إن اقترف إثم هذا الطرد مؤكدًا الجزاء لله.

ج. يورد شبهة ادعاء الفضل لردها عن نفسه لِما قد يظنه الكافرون أو من بعدهم بأن ثبوتها لازم لمن كان نبيًّا مرسلًا من الله إنْ صحت دعواه، وإلا كان كسائر البشر لا فضل له عليهم، وكان السياق هنا خاليًا من النداء عما سبق، فنفى أولًا امتلاكه لأنواع الرزق التي يحتاجها العباد لينتفعوا به ويعجز عنه عملهم الكسبي، مثبتًا أنها لله تعالى في سياق إضافة الخزائن لله وحده، ونفى ثانيًا علمه للغيب الذي لا يصل إليه العباد

---

[١] ينظر: رضا، **تفسير المنار**، ج١٢، ص٦٣-٦٥.

بعلمهم الكسبي ليحققوا مصالحهم، نافيًا معها شبهة تعلق اتباعه به لهذا السبب، ونفي ثالثًا كونه ملكًا منزهًا من الحاجات البشرية من أكل وشرب ونكاح وتعب واقتناء متع الحياة، وبهذا نفى عن نفسه القول في امتلاكه خزائن الله والقول في كونه ملك . ولكن لم ينفي القول في علمه للغيب؛ "لأن هذا النوع من العلم لما كان مما يظن به ولا يسمح بإظهاره "[1]، فأفاد نفي العلم.

د. ساق أخيرًا نفي القول بعدم حصول أتباعه للخير من الله مثبتًا علم الله تعالى بخفايا النفوس من إيمان وصدق، ولو ادعى ذلك كان مثلهم في الظلم، فقد ظلموا الأتباع، وظلموا أنفسهم؛ لجهلهم بعالم الأنفس، وما ساقه لهثهم الطاغي في عالم الماديات، مما أفقدهم البصيرة، وهذا يسوقنا إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠]، فجاء أولًا بنفي الفضل فيما يتوقعه عامة الناس من نبيهم، ثم أثبت له الرسالة ثم بادر بإثبات الفضل من جهة لا يتوقعها الناس وهو أنه بصير بإبصار الله، وغيره بالنسبة إليه كالأعمى بالنسبة للبصير، وهذا الموجب لاتباعهم كما يتبع الأعمى البصير، وفي هذه السورة جاء على نفس الوجه في إثبات عمى بصيرة قوم نوح عليه السلام لا عمى أعينهم التي استصغرت أتباعه الضعفاء، فلم تدرك إخلاص سريرتهم وصدق إيمانهم.

٧. اغتنام الفرص: في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح:١١، ١٢]، لقد

---

[1] الطباطائي، **الميزان في تفسير القرآن**، ج١٠، ص٢١٠.

استغل نوح عليه السلام شكوى قومه من عقم أرحام نسائهم، وحبس المطر، وهلاك مواشيهم وجناتهم، فدعاهم لتطهير نفوسهم من الذنوب بالاستغفار، فيتحققوا من صفة الله بما سيشاهدونه من محسوسات قد توصلهم إلى الإيمان.[١]

٨. الوضوح: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ [يونس:٧١]، كان منهج نوح عليه السلام في غاية الوضوح والصواب في دعوة التوحيد، وكان لا يخفي شيئًا على قومه، من حقيقة الإيمان، وكان واثقًا بصواب معتقده، فكانت دعوته لهم أن يكونوا في غاية المكاشفة والمجاهرة.

٩. حسن الصحبة: في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٣١]، إن اعتراض الكافرين على نوح عليه السلام وأتباعه يُعد دليلًا على جهلهم وقلة علمهم وعقلهم، فالحق لا يلحقه العار برذالة من اتبعه فالحق في ذاته سليم، بصرف النظر على من اتبعه، والواقع يسجل كثرة الضعفاء في اتباع الحق، وندرة اتباع الأغنياء له.[٢]

كما يعد حسن صحبة نوح لأتباعه الصالحين، الذين جمعهم حب الله، من فضائل الأخلاق التي رغب الإسلام فيها، ورتب عليها الثواب الجزيل، ورهب عن مصاحبة جلساء السوء وحذر منها.[٣]

---

[١] ينظر: مقاتل، **تفسير مقال بن سفيان**، ج٤، ص٤٥٠.

[٢] ينظر: حوى، **الأساس في تفسير القرآن**، ص٢٥٥٤، تعليق ابن كثير على الآية، وذكر سؤال هرقل ملك الروم أبا سفيان عن أتباع النبي ﷺ هل هم أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قال بل ضعفاؤهم فقال هرقل: هم أتباع الرسل.

[٣] ينظر: الحمد، **الإسلام: حقيقته، شرائعه، عقائده، نظمه**، ص٤٥٩-٤٦١.

١٠. السؤال: في قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود:٣٠]؛ من أجل إحياء ملكة التفكير السليم، والتقرير العقلي السديد.

١١. ذكر الأهم فالمهم: في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح:٢٨]، فالنفس أولى المستحقين بالدعاء، ويتبعها في الأهمية الوالدين، ثم الأقرباء والصحبة الذين يترددون على زيارته، ويوافقونه دينيًّا، وخلقيًّا، واجتماعيًّا، ثم يلونهم من كانوا على دينه.

١٢. حسن الخاتمة للمتقين:

أ. في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف:٦٤]

ب. وفي قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [يونس:٧٣]

ج. وفي قوله: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩]

د. وفي قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون:٣٠]

هـ. وفي قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء:١٢٢]

و. وفي قوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت:١٥]

ز. وفي قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الصافات:٧٩-٨٢]

ح. وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٥-١٧]

ط. وفي قوله: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء:٧٧]

ي. وفي قوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح:٢٨]، تبين الخاتمة العادلة لقصة الموحدين والكاذبين، فقد جاءت هذه الآيات في نهاية قصة نوح عليه السلام؛ لتوجيه الرسول في محاجته المشركين بدلالة هذا القصص بصدق الوحي والرسالة؛ ولتثبيته في دعوته تأسيًا بالرسل السابقين.[١]

المطلب الثالث: دلالات شخصية نوح التربوية:

١. القدوة: في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات:٧٨، ٨٨]، لقد أبقى الله تعالى لدعوة نوح عليه السلام ومجاهدته ذكرًا حسنًا خالدًا، سالمًا ومأمونًا من القول السيء، في عموم الأمم اللاحقة، إلى يوم القيامة.[٢]

---

[١] ينظر: نفرة، **سيكولوجية القصة في القرآن**، ص٣٤٠، والنحلاوي، عبد الرحمن، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، (د.م، دار الفكر، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م)، ط٢٥، ج١، ص١٨٩، فيشير المؤلف بأن النتيجة من المواضيع الأساسية المقترنة بالمحاورة فهي تشبه الحكم في أي قضية، وأي قضية تقوى بدون حكم، تجعل النفوس متطلعة له، فمن المنطق أنه عندما تكررت المحاورة تكررت النتيجة، كما يذكر في القرآن الكريم من انتصار الحق، وظهوره واندحار الباطل أو ظهور زيفه، وهذا واضح في قوم نوح عليه السلام من نجاته في السفينة وإهلاك قومه.

[٢] ينظر: جماعة علماء التفسير، **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، (السعودية، مركز تفسير، ط٣، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م)، ص٤٤٩، والجميعة، خالد بن جميعان بن مهدي وآخرين، **المضامين التربوية من قصة نوح في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، (السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١٣م)، ص٩١، ٩٢، إشارة إلى أخذ القدوة من أهل الثقة.

٢. تقويم جوهر الأمور: في قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء:١١٢]، فلم يحقر أتباعه لمهنهم البسيطة؛ لأنه يقدم النظر إلى جوهر الأمر وهو التوحيد.

٣. الاستقصاء في الدعاء: في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح:٢٨]، فقد بلغ الغاية في الدعاء وفصل مستحقي الدعاء لهم دون إغفال لأي مستحق فالنفس والآباء والصحبة الصالحة وعموم أهل الإيمان بنوعيهم يستحقون الاستغفار لهم، وكان نصيب الوالدين أنهما قُصِدا ثلاث مرات فهما الوالدين، وهما ممن دخلوا بيت نوح عليه السلام، وهما من المؤمنين والمؤمنات.

٤. التدرج: يدلل عليه سلوك نوح عليه السلام التربوي القائم على الحكمة والقادر على التلطف في مخاطبة العقول فينقلهم من فكرة إلى أخرى ببرهان واضح، وحجة مقنعة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا *وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح:١٤-١٨]، فعرض على قومه النظر في عالم النطف، وبدأ الخلق من العدم، ثم نقلهم إلى عالم السموات الطباق، وما بها من أجرام يشعرون بتأثيرها، ثم أعادهم إلى خلقهم وعلاقة الأرض بهم في الحياة والموت والبعث.

٥. التكرار: لغرض تفخيم وتعظيم التقوى في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ

الْعَالَمِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء:١٠٧-١١٠]، فكرر التقوى؛ لأنها تتضمن أصل التوحيد لله تعالى، والإخلاص له، وخشيته، وعبادته وترك معصيته.[١]

٦. الترهيب: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٥-١٧]، في عرض آيات الله حية ماثلة في الشعور حتى تسمح باستطالة زمن الرهبة، وجاء أسلوب السؤال؛ ليقذف بالخيال في كل مجال.

٧. المبالغة والتهويل: في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:٥٩]، فعبر نوح عليه السلام باليوم للعقاب النيوي، أو في الآخرة بأنه عظيم، وأضاف له مشاعره الوجِلة، وقوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [يونس:٧٣]، فهول عاقبة المنذرين بإبهامها؛ ليسمح بالخيال أن يسبح كيفما شاء.

٨. المجاهدة بكل السبل وعدم اليأس: فقد كانت دعوة نوح عليه السلام مثالًا للجهد الدائب الذي لا ينقطع، ولا يفتر، ولا ييئس، أمام اعتراض قومه، وصدودهم كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح:٥-٩]، مما يبين قوة الإصرار على المبادئ، وقوة العزيمة.

---

[١] ينظر: جماعة علماء التفسير، **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، ج٤، ص١٠٨٠.

الخاتمة

إن الفهم المتجدد للقرآن الكريم ينطلق من تأمل سياق النص بنوعيه وعلاقة تركيب الوحدات النصية، فتتكشف المعاني المحيطة بالآية والحِكَم الخاصة بها ويكتمل بناء الصورة العامة للمعنى.

ولا شك أن منهج الدلالات السياقية له أصوله الراسخة في التراث الإسلامي في العديد من مباحث علوم القرآن، والدراسات النحوية، والبلاغية، والأصولية، والتي تدلل بإعجاز النظم القرآني وتفحم كل شبهة تحاول الطعن بسمو الكتاب العزيز، وتشهد على مر الزمان أن عجائبه لا تنقضي ومعانيه لا تنتهي، وأساليبه لا تحد ولا تعد.

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

١. نظم القرآن المعجز أضفى الثراء على معاني الألفاظ القرآنية، فسياق الأنماط التركيبية في حوار القصص القرآني جاء موحيًا بدلالات ومعطيات تفسيرية من خلال سياق المقال، وسياق المقام، وما أحيط به من قرائن لفظية، ومعنوية، وسياقية، حددت المعنى الدلالي بدقة شديدة، ذلك الثراء الدلالي في الأساليب التركيبية التي بنى عليها الحوار الطلبي، وما أعطاه من تراكيب متنوعة، مثل (الاستفهام والأمر والنداء والنهي)، وما حوى الجملة الطلبية من أنماط متنوعة وقضايا عديدة مثل (الترادف والاشتراك اللفظي والتضاد والعدول عن مقتضي الظاهر وصيغ الأفعال ومعاني الأدوات)، أدى إلى ترشيح معاني الألفاظ القرآنية.

٢. أسلوب القصة القرآنية أحد أساليب المنهج القرآني العظيم الذي تتعدد فيه أساليبه؛ لتحرك الوجدان، وتوقظ العقول، ولا يمكن أن ندرك أهداف القصة بمنأى عن بقية الأساليب الأخرى، التي يقوم عليها منهج القرآن من دعوة إلى النظر، والتفكر في

آلائه، في النفس والآفاق، وفي سرد قصص الرسل، وفي ضرب المثال، وفي الوعد، والوعيد، وفي التبشير، والنذارة، وفي وصف الجنة ونعيمها، ووصف النار وأهوالها، فكل هذه الأساليب قد تجتمع في سورة واحدة؛ لتخدم مقصدها وتتمحور حول محورها.

٣. ظهور أهداف خاصة متعلقة بورود القصة الواحدة في ذات السورة، فقد يجمل في آيات ثم يتبعها تفصيل لما أجمل، وقد تتلاحق مجموعة من القصص لارتباطها بعناصر متشابهة، ثم يفْصِل السياق قصص أخرى لاختلافها عنها وارتباطها بأخرى.

٤. ترتيب ورود قصة نوح عليه السلام في السورة القرآنية قد يكون موافقًا للترتيب التاريخي في بعض السور كالأعراف والقمر، وقد لا يرتبط بالترتيب التاريخي كالشعراء والأنبياء، وهذا متعلق بالعبرة ومقصد السورة العام.

٥. ورود قصة نوح عليه السلام في سور القرآن جاء؛ ليخدم مقاصد المنهج القرآني العام؛ وليؤكد موضوعًا معينًا؛ ويعطي تجليات متميزة لا توجد في غيرها من السور، مما يؤكد خلو القرآن العظيم من التكرار العقيم والترديد الآلي.[١]

---

[١] ينظر: ابن جزي، محمد أحمد، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تخريج محمد سالم، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، ص٩، فيشير المؤلف في مقدمته بأن الحكمة من تكرار قصص الأنبياء في القرآن على ثلاثة أوجه، الأول: قد يذكر في سورة من أخبار الأنبياء ما لا يذكره في سورة أخرى، فيكون لكل سورة فائدة زائدة على الأخرى، الثاني: إظهار فصاحة القرآن في ذكر أخبار الأنبياء بطريقة الإطناب في مواضع وطريق الإيجاز في مواضع أخرى، الثالث: تعدد ذكر أخبار الأنبياء لتعدد المقاصد، فمن المقاصد: إثبات نبوة الأنبياء المتقدمين، وذكر ما جرى على أيديهم من معجزات، وذكر إهلاك المكذبين، ومنها: إثبات النبوة لمحمد ﷺ لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلم من أحد كقوله {مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا} [هود:١٠١] ومنها: الاعتبار في قدرة الله وشدة عقابه للكافرين، ومنها: تسلية الرسول ووعده بالنصر كما نصر من قبله الأنبياء، ومنها: تخويف الكفار بعقاب من سبقهم من المكذبين، وغير ذلك مما حوته قصص الأنبياء من مواعظ وعبر، فلما كانت الفوائد فيها متعددة، ذكرت في مواضع كثيرة فلكل مقام مقال، وعباس، فضل حسن، **قضية التكرار في كتاب الله**، (جامعة الكويت، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٩٨٧م)، مج٤، ع٧، ص٣٦.

٦. اصطبغت قصة نوح عليه السلام في كل سورة من سور القرآن بمحور السورة وظلالها؛ مما أعطى سياقاً خاصاً لجميع أحداث القصة، في كل سورة، استهلالًا بالدعوة إلى الله، فأساليبها، وموقف قوم نوح عليه السلام منها، ثم دعاءه وامتثاله لوحي الله تعالى، ونجاته مع من آمن برسالته، وهلاك الظالمين.

٧. دلالة ورود قصة نوح عليه السلام أضافت معانيَ ودلالات في شخصية نوح عليه السلام المثالية في تعامله مع رب العالمين تعالى وفي تعامله مع الغير كقومه وابنه وأتباعه وأهله، وفي علاقته بنفسه وشخصه في جميع المجالات كالعقيدة والدعوة والأخلاق والتربية، مما يعمق الإيمان في النفوس نحو الله تعالى العليم الحكيم الذي يصطفي أشرف الخلق ليكونوا رسلًا صالحين ومصلحين، ومما يزيد من تقدير الرسل والاقتداء بهم.

وهذا التكامل في بناء الإنسان الرسول لا يجتزئ جانب عن آخر، ولا يضعف جانب عن غيره، بل هو بناء متظافر التكوين، فسبحان الله فيما اصطفى من رسله، واختار لحمل أشرف الرسالات.

التوصيات

من خلال ما قد يتعرض له تفسير النص القرآني، لمخالفات قد تتصادم مع المقصد الإلهي، وتشوه المعنى الصحيح سواء أكان بقصد أو بغير قصد، ونظرًا لأهمية المنهج السياقي في الوصول إلى الدلالات الصحيحة يوصي البحث بالآتي:

١. تكثيف الدراسات التطبيقية التي تتناول المنهج السياقي في تفسير النصوص القرآنية بصورة عامة، والقصص القرآني بصورة خاصة؛ ليتحقق الفهم السديد لمقاصد المنهج القرآني، وطبيعة السور وشخصيات الرسل، من خلال تبني الجامعات ومراكز الدراسات الإسلامية فكرة إعداد مشاريع أبحاث، ودورات إعداد الباحثين، ومسابقات تحفيزية؛ لتخطي مرحلة الندرة في هذا العطاء وتقوية الكوادر، وتفعيلها لهذا العمل النافع، وخدمة تدبر القرآن الكريم.

٢. تطبيق المنهج السياقي في المناهج المدرسية، من قبل وزارة التربية والتعليم، بصورة مبسطة متدرجة، مع مراحل السلم المدرسي، مما يخلق عقلية سليمة تتدبر كتاب الله، وتنمو بصورة سليمة.

٣. إنشاء دورات في المؤسسات المجتمعية العلمية، على أيدي كوادر مؤهلة؛ لتعديل ما قد أعوج فهمه، ونشر العلم السديد في جميع فئات المجتمع.

٤. تتبع الجامعات والمؤسسات العلمية، كل ما يتجدّ من دراسات ذات أصول إسلامية، ومذهبية نزيهة؛ من أجل التوصل إلى فتح آفاق التفسير القرآني.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

القرآن الكريم.

إبراهيم، محمد بن يسري، **إن الدين عند الله الإسلام**، (مصر، دار الكتب المصرية، دار اليسر، د.ط، ١٤٣٦ هـ، ٢٠١٥م).

ابن الأثير، ضياء الدين، نصر الله بن محمد، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق أحمد الحوفي، (مصر، دار النهضة، ط٢، د.ت).

ابن الأثير، مجد الدين، أبو السعادات، المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق محمود بن محمد الطناحي وآخرين، (القاهرة، المكتبة الإسلامية، ط١، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م).

الأزهري، محمد بن أحمد، **معجم تهذيب اللغة**، تحقيق رياض زكي، (لبنان، دار المعرفة، ط١، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١م).

الأشقر، عمر بن سليمان، **العقيدة في ضوء الكتاب والسنة**، (قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار النفائس، د.ط، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م).

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، **مفردات ألفاظ القرآن**، (دمشق: دار القلم، بيروت: دار الشامية، جدة: دار البشير، ط١، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م).

الألوسي، السيد محمود بن شكري البغدادي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، (لبنان، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

الأنباري، محمد بن قاسم بن محمد، **كتاب الأضداد**، (لبنان، المكتبة العصرية، د.ط، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م).

أندرسون، باربارا، **التفاوض الفعال مهارات التفاوض الاحترافي**، (القاهرة، مكتبة الهلال، الدولية للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت).

أنيس، إبراهيم، **دلالة الألفاظ**، (مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٨٤م).

الآمدي، علي بن محمد، **الإحكام في أصول الأحكام**، (السعودية، دار الصميعي، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م).

البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق أحمد بن زهوة وآخرين، (لبنان، دار الكتاب العربي، د.ط، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م).

البراك، عبد الرحمن بن ناصر، **توضيح مقاصد العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية**، (السعودية، الدار التدمرية، ط٢، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م)، (مصر، دار المودة، ط٦، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م).

البروسوي، إسماعيل حقي بن مصطفى، **روح البيان**، (لبنان: دار إحياء التراث العربي، ط٧، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م).

البغدادي، شهاب الدين، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، (بيروت، دار صادر، د.ط، د.ت).

البغدادي، أبو مصطفى، **الواضح في المنطق شرح وتوضيح على متن إيساغوجي** (د.م، د.ط، ٢٠١٢م).

البغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل**، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م).

البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تخريج عبد الرزاق بن غالب، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط٤، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م)، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، تحقيق حسنين، (الرياض، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م).

البهنساوي، حسام، **أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث**، (مصر، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م).

بيبية، علية، **السياق ودلالته في القصص القرآني قصة موسى أنموذجًا**، (الأمارات العربية المتحدة، دار العرب، دار نور حوران، د.ط، ٢٠١٧م).

البيضاوي، عبد الله بن عمر بن علي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق وتخريج محمد بن صبحي بن حسن، (لبنان، دمشق، دار الرشيد، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م).

الترمذي، محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق رائد بن صبري ابن أبي علفة، (الرياض، دار الحضارة، ط٢، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م)، تحقيق مركز البحوث وقنية المعلومات، (مصر، دار التأصيل، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م).

التفتازاني، سعد الدين، **شرح العقائد النسفية**، تحقيق أحمد السقا، (مصر، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م).

ابن تيمية، تقي الدين أحمد الحراني، **مجموعة الفتاوي**، تحقيق عامر الجزار وآخرين، (مصر، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق علي بن حسن وآخرين، (السعودية، دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م).

الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق الطالبي، (الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، ١٩٨٥).

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام بن محمد بن هارون، (د.م، د.ط، د.ت).

الجرجاني، عبد القادر بن عبد الرحمن بن محمد، **دلائل الإعجاز**، تعليق محمود بن شاكر، (د.م، د.ط، د.ت)، تعليق محمد بن رشيد بن رضا، (مصر، دار المنار، ط٣، ١٣٦٦هـ).

الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات**، تحقيق محمد بن صديق المنشاوي، (مصر، دار الفضيلة، د، ط، د.ت).

ابن جزي، محمد بن أحمد بن عبد الله، **التسهيل لعلوم التنزيل**، (لبنان: دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م)، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م).

الجصاص، أبو بكر، أحمد بن علي بن أبو بكر، **أحكام القرآن**، تحقيق محمد بن صادق قمحاوي، (لبنان، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، د.ط، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م).

جماعة علماء التفسير، **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، (السعودية، مركز تفسير، ط٣، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق الشربيني شريدة، (مصر، دار الحديث، د.ط، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م).

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، (المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م).

الحافظ، أحمد بن الحسين بن مهران، **الغاية في القراءات العشر**، تعليق أحمد فريد المزيدي، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م)

ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، **صحيح ابن حبان**، تحقيق محمد بن علي سونمز وآخرين، (لبنان، دار بن حزم، ط١، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢ م).

الحريري، القاسم بن علي، **درة الغواص في أوهام الخواص**، (بغداد، مكتبة المثنى د.ط، ١٩٦٤م).

حسان، تمام، **اللغة العربية معناها ومبناها**، (المغرب، دار الثقافة، د.ط، ١٩٩٤م).

حسن، أحمد بن عطا بن إبراهيم، **البناء الفني في القصة القرآنية قصة يوسف نموذجًا**، (**مصر، دار غريب**، د.ط، ٢٠٠٧).

الحمد، محمد بن إبراهيم، **الإسلام: حقيقته، شرائعه، عقائده، نظمه**، (لسعودية، دار بن خزيمة، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م).

الحنفي، ابن أبو العز محمد بن علاء الدين بن علي، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق جماعة من العلماء، (بيروت، عمان، المكتب الإسلامي، د.ط، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م).

حنفي، عبد الحليم، **أسلوب المحاورة في القرآن الكريم**، (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢، ١٩٨٥).

حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، (مصر، دار السلام، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، **المستخلص في تزكية الأنفس**، (مصر، دار السلام، ط١٤، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م).

أبو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، تحقيق عادل بن أحمد بن عبد الموجود وآخرين، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م)، (بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣ م).

الخازن، علاء الدين بن علي بن محمد، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ضبطه عبد السلام محمد علي، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م).

الخالدي، صلاح بن عبد الفتاح، **القصص القرآني عرض ووقائع وتحليل أحداث**، (دمشق، دار القلم، ط٤، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م)، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، (دمشق، دار القلم، ط١، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م)، **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، (دمشق، دار القلم، ط٢، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م)، **مواقف الأنبياء في القرآن**، (دمشق، دار القلم، ط٢، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م).

الخضري، محمد بن أمين، **من أسرار حروف العطف**، (مصر، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م).

الخطيب، عبد الكريم، **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، (لبنان، دار المعرفة، ط٢، ٢٣٩٥هـ، ١٩٧٥م).

الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر بن شهاب الدين، **حاشية الشهاب (عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)**، (بيروت، دار صادر، د.ط، د.ت).

خلف الله، محمد بن أحمد، **الفن القصصي في القرآن الكريم**، (د.م، الانتشار العربي، ط٤، ١٩٩٩).

الداني، عثمان بن سعيد، **التيسير في القراءات السبع**، صححه أوتو يرنزك، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط٤، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م)

أبو داود، سليمان الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق جمال بن حسن ولآخرين، (بيروت، المكتبة العصرية، د.ط، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م).

الدمشقي، عمر بن علي، **الباب في علوم الكتاب**، تحقيق عادل بن عبد الموجود وآخرين، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م).

دودو، محمد بن سالم، **كتاب الأمة – نظرية السياق في التراث الإسلامي محاولة في البناء** (قطر، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، العدد الثالث والسبعون بعد المائة، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م).

ديبوجراند، روبرت، **النص والخطاب والإجراء**، ترجمة: تمام حسان (مصر، عالم الكتب، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م).

الرازي، محمد بن أبو بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، تحقيق لجنة علماء العربية (د.م، دار الفكر، د. ط، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م).

الرازي، محمد ابن عمر، **التفسير الكبير**، (لبنان، دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م)،

الرافعي، مصطفى بن صادق، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، (لبنان، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م).

رضا، محمد بن رشيد، **تفسير المنار**، (مصر، مطبعة المنار، ط١، ١٣٣٨هـ، ١٢٩٨م)، (مصر، مطبعة المنار، ط١، ١٣٤٩هـ).

الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، تحقيق محمد بن خلف الله بن أحمد وآخرين (مصر، دار المعارف، ط٣، د.ت).

الرومي، شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال الباشا، **شرح رياض الصالحين**، (دمشق، دار النوادر، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م).

الزبيدي، محمد بن مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق عبد الكريم العزباوي، (الكويت، التراث العربي، د.ط، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م).

الزبيري، علي بن محمد، **ابن جزي ومنهجه في التفسير**، (دمشق، دار القلم، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م).

الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق، دار الفكر، ط١٤، ١٤٣٩هـ، ١٦٩٠م).

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، (مصر، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٤ هـ، ٢٠١٣م).

زكريا، أبو بكر، **الشرك في القديم والحديث**، (الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م).

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تخريج خليل بن مأمون بن شيحا، (لبنان، دار المعرفة، ط٣، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م).

زمزمي، يحي بن محمد بن حسن، **آداب الحوار وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، (مكة، دار التربية والتراث، رمادي للنشر، الدمام، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م).

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، **زهرة التفاسير**، (مصر، مجمع البحوث الإسلامية، د.ط، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧م).

زوين، علي، **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث**، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، د.ط، ١٩٨٦م).

زيدان، عبد الكريم، **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**، (لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م).

السامرائي، فاضل بن صالح، **التعبير القرآني**، (الأردن، دار عمار، ط٤، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م)، **أسئلة بيانية في القرآن الكريم**، (الشارقة، مكتبة الصحابة، ط١، ١٤٢٩ هـ،٢٠٠٨ م)، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، (بغداد، مكتبة النهضة، ط٢، ١٤٢٧هـ،٢٠٠٦م)، **على طريق التفسير البياني**، ج٣، (سوريا، دار ابن كثير، ط١، ١٤٣٨هـ،٢٠١٧م)

ابن سراج، محمد بن سهل، **الأصول في النحو**، تحقيق عبد الحسين الفتلى، (لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م).

السراقبي، وليد بن محمد، **الألسنية مفهومها، مبانيها المعرفية ومدارسها**، (لبنان، العتبة العباسية المقدسة، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م).

سرحان، عبد الله بن عبد الغني، **البلاغة القرآنية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية**، (القاهرة، السعودية المغرب، مفكرون، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م).

السعدي، عبد الرحمن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (الرياض، الميمان، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م)، **القول السديد في مقاصد التوحيد**، (مصر، المكتبة الإسلامية، ط١، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م).

أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم**، (لبنان، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

ابن السكيت، **ديوان الحطيئة**، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م).

السمرقندي، علاء الدين بن شمس النظر، **ميزان الأصول في نتائج العقول في أصول الفقه**، تحقيق عبد الملك بن عبد الرحمن السعدي، (السعودية، رسالة دكتوراه، ٢٠١٩م).

السمين، أحمد بن يوسف، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق أحمد الخراط، (دمشق، دار القلم، ط٤، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م).

السندي، نور الدين بن محمد بن عبد الهادي، **حاشية مسند أحمد بن حنبل**، تحقيق نور الدين بن طالب، (لبنان، دار النوادر، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م).

سيبويه، عمر بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام بن محمد بن هارون، (مصر، مطبعة المدني، ط٣، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م).

السيوطي، الحافظ أبو الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبو بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، (السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، د.ت)، **لباب النقول في أسباب النزول**، (لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م).

الشاطبي، إبراهيم بن موسى، **الموافقات**، (السعودية، دار بن عفان، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م).

الشافعي، محمد بن إدريس، **الرسالة**، تحقيق أحمد بن شكري، (مصر، مطبعة مصطفى الحلبي،١٣٥٧هـ،١٩٣٨م).

شحاته، عبد الله بن محمود، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، (مصر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٧٦).

الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب، **السراج المنير، في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، تحقيق إبراهيم بن شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م).

أبو شريفة، عبد القادر، وآخرون، **علم الدلالة والمعجم العربي**، (د.م، دار الفكر، د.ط، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م).

الشعراوي، محمد بن متولي، **خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم**، (مصر، الراية للنشر، د.ط، ٢٠١٦م).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (السعودية، الدار العالمية، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م).

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، مراجعة هشام البخاري، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، (بيروت: المكتبة العصرية، ط٣، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م).

شيبة، عبد القادر الحمد، **تهذيب التفسير وتريد التأويل مما الحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل**، (بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ط٢، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م).

الصابوني، محمد بن علي: **صفوة التفاسير**، (دمشق: مكتبة الغزالي، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، **قبس من نور القرآن الكريم**، (مكة، دار السلام، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م).

الصلابي، علي بن محمد، **نوح والطوفان العظيم ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية**، (د.م، دار ابن كثير، د.ط، د.ت).

الضحاك، بن مزاحم الهلالي، **تفسير الضحاك**، تحقيق محمد بن شكري الزاويتي، (مصر، دار السلام، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م).

الطباطبائي، محمد بن حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، (قم، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، د.ط، د.ت).

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، د.ط، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م)، (الموصل، مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م).

الطبري، محمد بن جرير: **تاريخ الأمم والملوك "تاريخ الطبري"**، (السعودية، الأردن، بيت الأفكار الدولية، د. ط، د.ت)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق بشار عواد وآخرين، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م).

الطبرسي، الفضل بن الحسن، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، (بيروت، دار المرتضى، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م).

ابن عاشور، محمد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير**، (تونس، دار سحنون، د.ط، د.ت).

عباس، فضل بن حسن، **قصص القرآن الكريم**، (الأردن، دار النفائس، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠١٠م).

عبد الباقي، محمد بن فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (مصر، دار ومطابع الشعب، د.ط، د.ت).

عبد الرحمن، طه، **أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠٠م).

ابن عبد السلام، عز الدين بن عبد العزيز، **الإمام في بيان أدلة الأحكام**، تحقيق رضوان مختار، (لبنان، دار البشائر، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م).

عبد الكريم، حمو، **البحث الدلالي في تفسير الإمام محمد متولي الشعراوي**، (الجزائر، الفا للوثائق، ٢٠١٧م).

عبد الوهاب، محمد التميمي النجدي، **كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**، تحقيق دغش بن شبيب العجمي، (الكويت، مكتبة أهل الأثر، ط٥، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م).

ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، **شرح جمل الزجاجي**، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م).

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق مجموعة من الباحثين، (قطر، إدارة الأوقاف، ط١، ١٤٣٦ هـ، ٢٠١٥م).

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، **اللباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق محمد عثمان، (لبنان، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٩م).

علماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، (الشارقة، مركز تفسير ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م).

علي، محمد بن يونس، **مدخل إلى اللسانيات**، (ليبيا، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م).

عمر، أحمد بن مختار، **علم الدلالة**، (مصر، عالم الكتب، ط٥، ١٩٩٨م).

عوض، يوسف بن نور، **علم النص ونظرية الترجمة**، (السعودية، دار الثقة، ط١، ١٤١٠م).

عياشي، منذر، **اللسانيات والدلالة**، (حلب، مركز الإنماء الحضاري، ط١، ١٩٩٦م).

الغرناطي، أحمد بن إبراهيم، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، (لبنان، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٩٧١م).

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **المستصفى من علم الأصول**، تحقيق حمزة بن زهير بن حافظ، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، د.ت)، **قواعد العقائد**، تحقيق موسى بن محمد بن علي، (بيروت، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م).

الغويل، المهدي بن إبراهيم، **السياق وأثره في المعنى دراسة أسلوبية**، (ليبيا، أكاديمية الفكر الجماهيري، ط٢٠١١م).

الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد، **كتاب الحروف**، تحقيق محسن بن مهدي، (لبنان، دار المشرق، د.ط، ١٩٨٦م).

ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام بن محمد بن هارون (بيروت، دار الجيل، د.ط، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م).

الفراهي، عبد الحميد الهندي، **دلائل النظام**، (الهند، المطبعة الحميدية، ط١، ١٣٨٨هـ).

فضل الله، محمد بن حسين، **الحوار في القرآن**، (لبنان، دار الملاك، ط٣، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م).

فندريس، جوزيف، **اللغة**، ترجمة عبد الحميد الدواخلي (مصر، المركز القومي للترجمة، د.ط، ١٨٨٩م).

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، **عقيدة التوحيد**، (السعودية، دار العاصمة، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م).

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد، **القاموس المحيط**، (لبنان، دار الكتاب العربي، د.ط، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م)، (القاهرة، دار الغد الجديد، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق محمد بن علي النجار، (مصر، مطابع الأهرام، ط٣، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م)، (لبنان، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، دار الكتاب المصري، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م).

القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، تخريج محمد فؤاد عبد الباقي، (لبنان، دار إحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م)، (د.م، ط١، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م).

القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، **عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة**، (القصب، مركز الدعوة والإرشاد، ط٢، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م).

القرضاوي، يوسف، **كيف نتعامل مع القرآن العظيم**، (القاهرة، دار الشروق، ط٣، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، **الخصائص العامة للإسلام**، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط٧، ١٤٢٤هـ، ٢٠١٣م).

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبو بكر، **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، (قطر: وزارة الأوقاف، بيروت: مؤسسة الرسالة ط١ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م).

القشيري، عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك، **لطائف الإشارات**، تحقيق عبد اللطيف بن حسن، (لبنان، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م).

القطان، مناع بن خليل، **مباحث في علوم القرآن**، (مصر، مكتبة وهبة، ط١٣، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م).

قطب، سيد الشاذلي، **في ظلال القرآن**، (مصر، دار الشروق، ط٣٨، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م)، **التصوير الفني في القرآن**، (مصر، دار الشروق، ط٦، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م).

القنوجي، صديق بن حسن خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، مراجعة عبد الله الأنصاري، (قطر: دار إحياء التراث الإسلامي، لبنان، المكتبة العصرية، د.ط، ١٩٩٥م)، **أبجد العلوم**، تحقيق عبد الجبار الزكار، (سوريا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ط، ١٣٠٧هـ، ١٩٨٨م).

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، **الأمثال في القرآن**، تحقيق سعيد بن محمد، (لبنان، دار المعرفة، د.ط، ١٩٨١م)، **فوائد الفوائد**، تعليق علي بن حسن الحلبي، (السعودية، دار ابن الجوزي، ط٧ ،١٤٢٤هـ)، **بدائع التفسير**، تخريج يسري بن السيد بن محمد، (السعودية، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٧هـ).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، **تفسير القرآن العظيم**، تخريج أحمد بن شاكر وآخرين، (القاهرة، دار الآثار، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م)، **البداية والنهاية**، تحقيق محي الدين بن ديب بن مستو وآخرين، (دمشق، بيروت، دار ابن كثير، ط٢، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م)، **قصص الأنبياء**، تحقيق يوسف بن علي بن بديوي، (بيروت، دار ابن كثير، ط٩، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦ م).

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، **الكليات**، (لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م).

كنعان، محمد بن أحمد، **القرآن الكريم وبهامشه مواهب الجليل من تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)**، (لبنان، دار العلم للملايين، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م).

مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، (مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط٥، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م).

مجموعة من المتخصصين، **نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، (السعودية، دار الوسيلة، ط٨، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م).

محمود، عبد الحليم، **في رحاب الكون مع الأنبياء والرسل**، (مصر، دار المعارف، ط٣، د.ت).

المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٨٥م).

المسدي، عبد السلام، **الأسلوبية والأسلوب**، (د.م، الدار العربية للكتاب . مكتبة لسان العرب، ط٣، د، ت)، **اللسانيات وأسسها المعرفية**، (الجزائر، الدار التونسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦م).

مسلم، بن الحجاج بن ورد بن كوشاذ، **صحيح مسلم**، تحقيق أحمد زهوة وآخرين، (لبنان، دار الكتاب العربي، د.ط، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠م)، مراجعة عبد الباقي، محمد فؤاد، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م).

المطيري، عبد الرحمن بن عبد الله، **السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير**، (السعودية، جامعة أم القرى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م).

مقاتل، **تفسير مقاتل بن سلمان**، تحقيق عبد الله بن شحاته، (لبنان، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م).

المقرن، منصور بن محمد، **الدعوة والتربية في ظلال القرآن**، (السعودية، دار طيبة، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م).

المقري، محمد بن علي الفيومي، **المصباح المنير**، (مصر، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م).

مكي، مجد بن أحمد، **المعين على تدبر الكتاب المبين**، (لبنان، الريان، د.ط، د.ت).

المناوي، عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق عبد الحميد بن صالح بن حمدان، (مصر، عالم الكتب، ط١، ٩٥٢هـ، ١٠٣١م).

ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، (مصر، دار ابن الجوزي، د.ط، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م).

مورجان، تشارلس، **الكاتب وعالمه**، ترجمة شكري بن محمد، (مصر، مؤسسة سجل العرب، د.ط، ١٩٦٤).

أبو موسى، محمد بن حسنين، **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية**، (مصر، دار الفكر العربي، د.ط، د . ت).

الميداني، عبد الرحمن بن حسن حبنكة، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، (دمشق: دار القلم، ط٢، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م)، **الوجيز في العقيدة الإسلامية**، (لبنان، مؤسسة الريان، ط٢، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م)، **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة**، (دمشق، دار القلم، ط١٥، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م).

الناصر، سعاد بنت عبد الله، **كتاب الأمة ـ بلاغة القص في القرآن الكريم وآفاق التلقي**، (قطر، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، العدد التاسع والستون بعد المائة، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م).

النجار، زغلول بن راغب، **موسوعة الإعجاز العلمي "السماء في القرآن الكريم"**، (لبنان، دار المعرفة، ط٥، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م).

النحاس، أحمد بن محمد، **إعراب القرآن**، (لبنان، دار المعرفة، ط٢، ١٩٢٩هـ، ٢٠٠٨م).

النحلاوي، عبد الرحمن، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، (د. م، دار الفكر، ط٢٥، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م).

النسائي، الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، **سنن النسائي الكبرى**، تحقيق حسن عبد المنعم، (لبنان: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م).

النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق يوسف بن بديوي وآخرين، (لبنان، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م).

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، **رياض الصالحين**، تحقيق جماعة من العلماء، تخريج محمد الألباني، (بيروت، دمشق، عمان، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م).

هارون، عبد السلام بن محمد، **الأساليب الإنشائية في النحو العربي**، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٥، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م).

الهاشمي، أحمد، **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، (لبنان، مؤسسة المعارف، د.ط، د.ت).

هيشور، محمد، **سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها**، (القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م).

يونس، محمد بن محمد، **مدخل إلى اللسانيات**، (لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م)، **المعنى وظلال المعنى**، (لبنان، دار المدار الإسلامي ط٢، ٢٠٠٧م).

مراجع شبكة الإنترنت:

رسائل جامعية:

أبو بكر، الوليد بن صديق بن خالد، **حوار الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، (السودان، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ٢٠٠٥م)، http://search.mandumah.com/Record/832164

البدوي، أحمد بن عباس، **أهم خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها**، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (السعودية، جامعة أم القرى، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م)، http://search.mandumah.com/Record/531976

التهامي، نفرة، **سيكولوجية القصة في القرآن**، رسالة دكتوراه، (الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع، د.ط، ١٩٧١م)، http://www.almeshkat.net/books/archive/books/sqqtn.rar

الجميعة، خالد بن جميعان بن مهدي وآخرين، **المضامين التربوية من قصة نوح في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، (السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠١٣م)،

http: //search.mandumah.com/Record/791796

الحميدي، عبده بن عبد الله بن محمد، **حوار الأنبياء مع أقوامهم في القرآن الكريم دراسة موضوعية**، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، (السودان، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ٢٠٠١م)، http: //search.mandumah.com/Record/831985

الطلحي، ردة الله بن ردة بن ضيف الله، **دلالة السياق**، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، (السعودية، جامعة أم القرى، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م)،

http://search.mandumah.com/Record/533702

عبد الملك، خديجة بنت محمد، **الدروس المستفادة من خطابات الرسل مع أقوامهم من خلال سورة هود**، رسالة ماجستير، كلية الدراسات الإسلامية، (السودان، جامعة إفريقيا العالمية، ٢٠١٧م)، http: //search.mandumah.com/Record/844278

الغرسلي، ريم، **حوار الرسل مع أقوامهم من خلال سورة هود**، رسالة ماجستير، المعهد الأعلى لأصول الدين، (تونس، جامعة الزيتونة لأصول الدين، ٢٠٠٥م)،

http: //search.mandumah.com/Record/928496

المطيري، عبد الرحمن بن عبد الله بن سرور الجرمان، **السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير**، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، (السعودية، جامعة أم القرى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م)،

http://search.mandumah.com/Record/532253

أبحاث ومقالات:

إسماعيل، محمد بن أحمد بن محمد وآخرين، **الأبعاد التربوية المتضمنة في الحوار القرآني وتطبيقاتها التربوية بين طلاب كليات التربية في بعض جامعات جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية**، (جامعة عين شمس، دراسات في التعليم الجامعي، العدد الثامن والعشرون، ٢٠١٤م)،

http: //search.mandumah.com/Record/675095

أحمد، علي بن بهلول بن علي بن أحمد، **حوار إبراهيم عليه السلام مع الآخرين في القرآن الكريم**، (جامعة أسيوط، المجلة العلمية لكلية الآداب، العدد الأربعون، ٢٠١١م)،

http: //search.mandumah.com/Record/350711

بصل، محمد بن إسماعيل وآخرين، **ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث**، (جامعة سمنان الإيرانيّة بالتعاون مع جامعة تشرين السوريّة، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، المجلد الخامس، العدد الثامن عشر، ١٣٩٣هـ، ٢٠١٤م)،

https://lasem.semnan.ac.ir/issue_164_166.html

تومي، غنية، **السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث**، (جامعة بسكرة، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد السادس، ٢٠١٠م)،

http://search.mandumah.com/Record/656084

الجنابي، سيروان بن عبد الزهرة بن هاشم وآخرين، **جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية: النص القرآني أنموذجًا**، (جامعة الكوفة، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد التاسع، ٢٠١١م)،

http: //search.mandumah.com/Record/233670

الجيوسي، عبد الله، **أسلوب الحوار في القرآن الكريم: خصائصه الإعجازية وأسراره النفسية**، (الأردن، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الأول، العدد الثاني، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م)،

http: //search.mandumah.com/Record/800282

حسن، إبراهيم بن حسن، **أساليب الدعوة في حياة بعض الرسل والأنبياء**، (أم درمان، جامعة أم درمان الإسلامية، العدد السادس عشر، ٢٠٠٩م)،

http: //search.mandumah.com/Record/498503

زيارة، فريد بن فرج بن سعيد، **مفهوم التعامل مع الناس في ضوء قصص الأنبياء: دراسة قرآنية**، أعمال المؤتمر الدولي: آفاق العمل الإسلامي المعاصر وضوابطه (فلسطين، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١٣)،

http: //search.mandumah.com/Record/772111

عبد الله، عودة، **الحوار في القرآن**، (د.م، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، العدد الرابع، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٢م)

http: //search.mandumah.com/Record/337738

آل سالم، عبد الزهرة بن إسماعيل، **حجاجية القصص القرآني: قصة نوح (عليه السلام) إنموذجاً**، (جامعة بغداد، مجلة كلية الآداب، العدد السابع بعد المائة، ٢٠١٤)،

http: //search.mandumah.com/Record/629618

سرور، نظمية بنت عمران وآخرين، **أثر السياق في القصص القرآني دراسة في تفسير في ظلال القرآن**، (جامعة مؤتة، مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثاني، ٢٠١٣م)،

http: //search.mandumah.com/Record/470170

آل الشيخ، عبد العزيز بن عبد الله بن محمد، **الحوار: مفهومه، حكمه، أصوله، وضوابطه في ضوء نصوص الكتاب والسنة وقواعد الشريعة**، (السعودية، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء، العدد السابع والتسعون، ٢٠١٢م)،

http: //search.mandumah.com/Record/415821

صواب، صالح بن يحيى، **معالم الدعوة في سورة نوح عليه السلام**، (جامعة القاهرة، مجلة كلية دار العلوم، العدد السادس والثلاثون، ٢٠٠٥م)،

http: //search.mandumah.com/Record/145096

الطحان، يوسف بن سليمان بن إسماعيل، **السرد في القصة القرآنية: قصة نوح علية السلام أنموذجًا**، (جامعة الموصل، مجلة كلية العلوم الإنسانية، المجلد الخامس، العدد العاشر، ٢٠١٠م)، http: //search.mandumah.com/Record/427888

عباس، فضل بن حسن، **قضية التكرار في كتاب الله**، (جامعة الكويت، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد الرابع، العدد السابع، ١٩٨٧م)،

http: //search.mandumah.com/Record/104149

فاخر، أمين بن محمد، **نظريات ابن جني في دلالة الألفاظ وموقف المحدَثين**، (جامعة قطر، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد الأول، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)،

https://quspace.qu.edu.qa/handle/10576/9040

القرضاوي، يوسف، **قيمة الإنسان وغاية وجوده في ضوء القرآن والسنة**، (جامعة قطر، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، العدد الخامس، ١٤١٠/١٤١١هـ، ١٩٩١م)،

https://quspace.qu.edu.qa/handle/10576/8638

المنيزل، تمام بن حمد بن عيد، **الوظيفة عند هاليداي: دراسة تحليلية**، (الأردن، المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية، المجلد الثاني، العدد الأول، ٢٠٢٠م)،

http://search.mandumah.com/Record/1043971

نوح، أحمد بن عبد الله، **الخطاب القرآني من السياق إلى الدلالة، دراسة تحليلية**، (مجلة آداب البصرة، كلية الآداب، العدد الثاني والستون، ٢٠١٢م)،

http: //search.mandumah.com/Record/319293

هديم، عائشة، **جدل الدلالة والتداول في جدال نوح مع قومه** (سورة هود)، أعمال الندوة المهداة إلى روح الأستاذ عبد الله صولة: الدلالة النظرية والتطبيقات، (تونس، جامعة منوبة – كلية الآداب والفنون والإنسانيات، ٢٠١٠م)،

http: //search.mandumah.com/Record/720019